القديس بولس الرسول

www.difa3iat.com

الرسالة الأولى

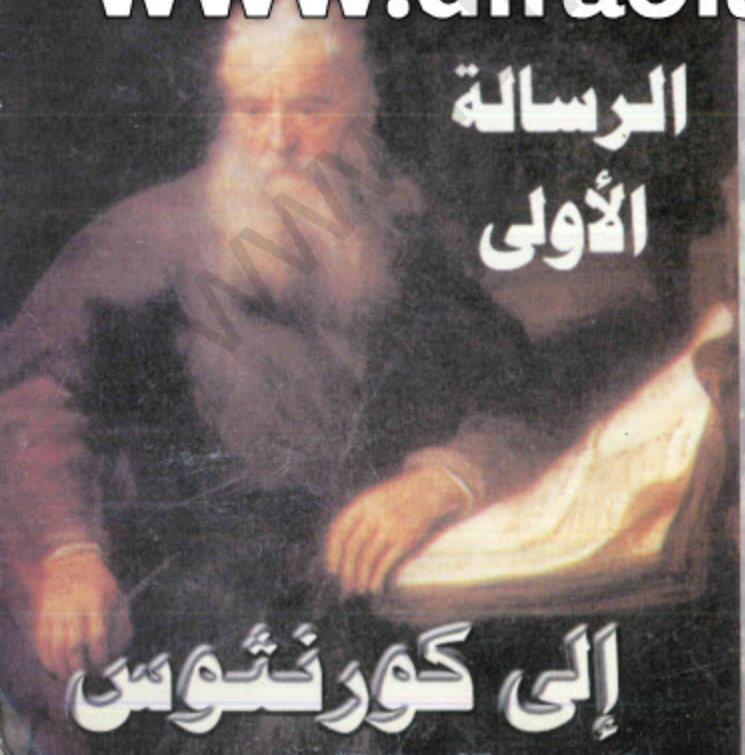

إلى كورنثوس

تقديم
نيافة الحبر الجليل
الأنبا متاؤس

اد
القس يعقوب حنا

www.dif3iat.com

رسالة بولس الرسول الأولى

إلى كورنثوس

دراسة روحية .. عقيدية .. تأملية

تقديم

نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس

إعداد

القس يعقوب حنا

www.difa3iat.com

الكتاب : رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس
(دراسة روحية .. عقيدية .. تأملية)
إعـــــداد : القس يعقوب حنـا
جمع تصويري : جي . سي . سنتر – مصر الجديدة
المطبـــــعة : مكتب النسر للطباعة – حلمية الزيتون
رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٣٨١ / ٩٢

www.difa3iat.com

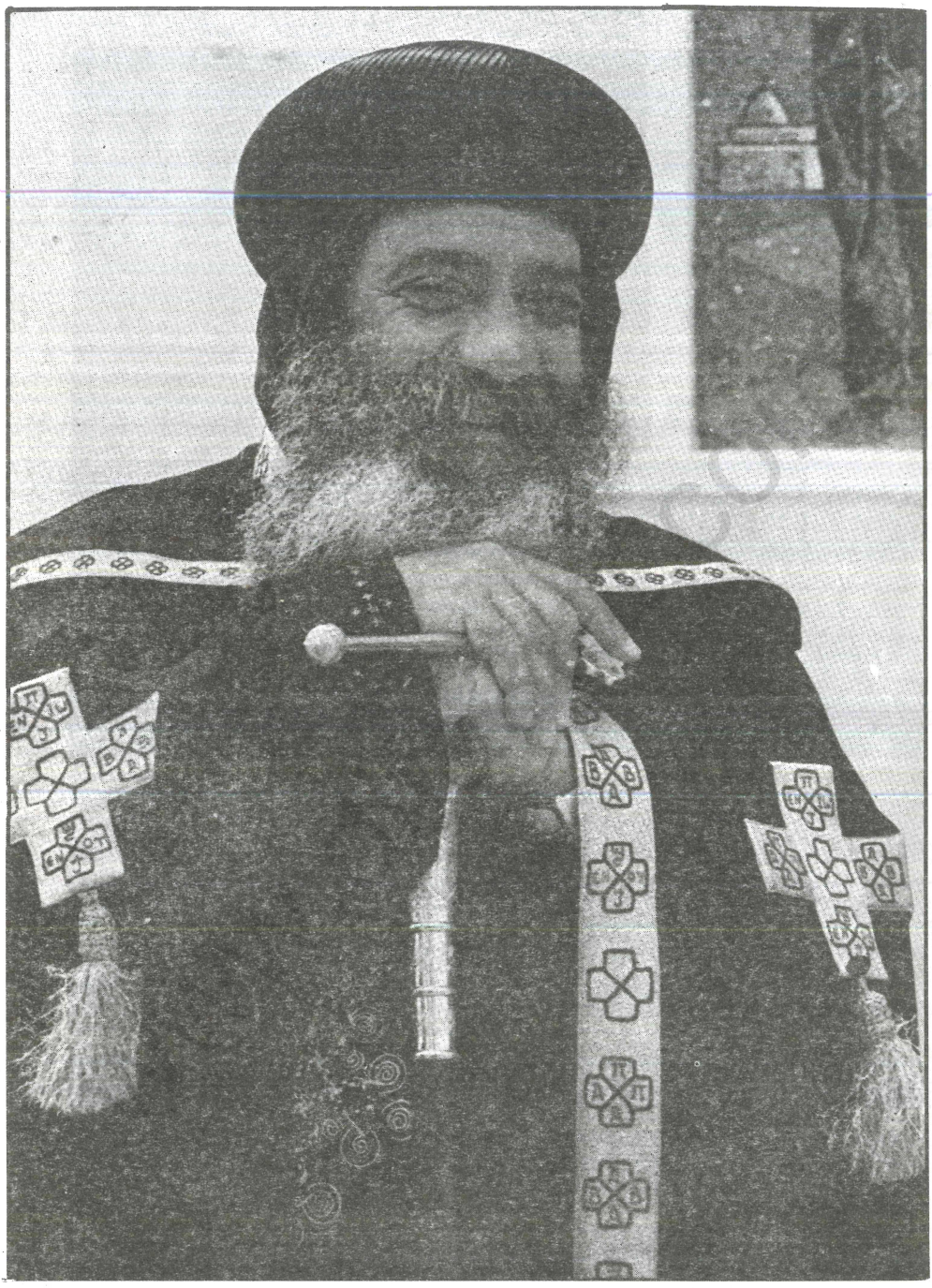

قداسة البابا المعظم الأنبا شنودَه الثالث

www.difa3iat.com

تقديـم

لنيافة الحبر الجليل الأنبا متـاؤس

رسالة معلمنا بولس الرسول الأولى إلى كنيسة كورنثوس من الرسائل الهامة التي كتبها معلمنا بولس الرسول، يجيب فيها على كثير من الأسئلة التي أرسلها إليه المؤمنون يطلبون الاجابة الشافية حتى يسلكوا بمقتضاها ويكون جهادهم قانونياً صحيحاً. لأنه لا يكلل أحد إن لم يجاهد قانونياً (٢تى ٢ : ٥).

كذلك يحذرهم الرسول من الإنقسامات التي تضر الكنيسة وتتعب الناس وتضيع منهم الهدف الروحي السليم. وكما نفعت هذه الرسالة مؤمني كورنثوس هى نافعة للمؤمنين في كل زمان ومكان خصوصاً للذين يدرسونها بعمق وفهم.

قام الأب الموقر القس يعقوب حنا عبد المسيح كاهن كنيسة الشهيد جورجيوس بأبي طاقية شبرا بتدريس هذه الرسالة في اجتماع درس الكتاب بالكنيسة، ولما رأى أن المكتبة القبطية تخلو من دراسة متسعة ومفصلة لهذه الرسالة الهامة أراد أن يقدم هذه الدراسة لكي يستفيد منها كل من يقرأها من أبناء الكنيسة حتى تعم الفائدة.

قرأت بعض أجزاء من هذه الدراسة فوجدتها مستفيضة ومشبعة.

الله يجعلها سبب بركة وتعمق في دراسة كلمة الله الحية الفعالة الأمضى من كل سيف ذي حدين.

بشفاعة أمنا الطاهرة القديسة مريم. وصلوات أبينا الطوباي المكرم البابا الأنبا شنودَه الثالث.

ونعمة الرب تشملنا جميعاً. آمين.

الأنبا متاؤس

الأسقـــف العـــام

صوم الميلاد ١٩٩١

مقدمة عامـة

موضوع دراسات روحية في رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس. ليس موضوع تفسيري في المقام الأول، بل هو محاولة للاستفادة الروحية منها. كتبت هذه الدروس على سبيل التحضير لدراسة الكتاب المقدس بالكنيسة ولكنها لم تكتمل. ولعل خلو مكتبتنا القبطية من تفسير لهذه الرسالة هو ما جعلني أحاول أن أضع بنعمة الرب يسوع مجرد محاولة متواضعة للغوص في كلام النعمة فيها، معتمداً على مراجع بسيطة مترجمة وقراءات روحية عامة تعالج نصوص الرسالة معالجة ضمنيـة.

وأنا لا أدعي أنها تفسير للرسالة بل مجرد دروس روحية حتى وإن اتخذت في بعض النصوص شكل المنهج التفسيري.

بين يدي الرب يسوع أضع هذا الكتاب طالباً من جوده ومراحمه أن يتعهده ويجعله سبب بركة روحية لمن يطالعه .

وأني لأقدم شكري العميق لنيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام لكنائس مصر القديمة، الذي تفضل بمراجعة الكتاب والتقديم له. وكذا شكري لكل الأخوة المباركين الذين تعبوا معي في نسخ الكتاب وطباعته وتوزيعه. الرب يعوض الجميع تعب محبتهم خيراً في ملكوته بصلوات أمنا السيدة العذراء مريم وشفيع خدمتي الشهيد مارجرجس وحضرة صاحب الغبطة والقداسة البابا شنودَه الثالث.

ولإلهنـا كل المجـد.

✠✠✠

مقدمة للرسالة

مدينة كورنثوس: عاصمة مقاطعة أخائية باليونان تبعد حوالي ٤٠ ميلاً غرب أثينا. وقد كانت قائمة على برزخ ضيق تتصل ببحرين. وكانت بذلك ميناءاً بمعنى مزدوج مما سهل تفشيها في الفساد الأخلاقي كطبيعة الموانئ التي تجمع كثير من الرواد الغرباء والبحارة والمسافرين الذين بسهولة يفرطون في أخلاقياتهم في مكان لا تطل إقامتهم فيه كثيراً ولا يعرفهم فيه أحد. لذلك صارت المدينة مضرب الأمثال في الفساد والزنا. كذلك كانت المدينة مكتظة بعدد هائل من العبيد الذين حسبهم العالم الوثني القديم أفضل قليلاً من البهائم فعاشوا في ظل نظام فاسد خلق في أوساطهم أبشع صور الفساد وأحط أنواع الإباحية والإستهتار. والرذائل التي أشار إليها بولس في (رو ١ : ١٨ – ٣٢) تلك الرسالة التي كتبها من كورنثوس إلى كنيسة روميه، إنما جاءت وصفاً لأنواع الفجور في تلك المدينة التي استشرى فيها الفساد.

هذا بالإضافة إلى هيكل للإلهة الإغريقية «الزهرة» إلهة العشق أو قل إلهة الشهوة وكذا هيكل لافروديت إلهة الحب عند اليونان. وقد التحق بهذا الهيكل حوالي الألف من الغانيات الراقصات ليكملوا تلك الطقوس الوثنية بشتى أنواع الفسق والزنا والعهارة. حتى صار مجرد الإنتساب إلى كورنثوس يعتبر سبه وشتيمة بل صارت كورنثوس نفسها كلمة مرادفة للفساد وحياة الفجور.

وحوالي سنة ٥٣ م. وفد إليها الرسول العظيم القديس بولس الرسول ضمن رحلته التبشيرية الثانية (أع ١٨). وهكذا بكرازته حدث تحول عظيم في حياة شعب هذه المدينة الوثنية. وأنها حقاً لمعجزة أن يتم هذا التحول العجيب الذي سماه أحد الكتاب «إنقلاب» من قمة الفساد الأخلاقي إلى أناس مروضين تبدو فيهم عظمة المعجزة الإلهية معجزة الخلاص.

زارها أيضاً بولس الرسول فيما بين سنتي ٥٤، ٥٧ م وفي هذه الفترة كتب رسالته إلى روميه ولم تذكر هذه الزيارة في سفر الأعمال ولكن تستنتج من (١كو ١٦ : ٦، ٧، ٢كو ١٢ : ١٤، ١٣ : ١).

الرسالـــــة: تلقى القديس بولس الرسول بعض الأنباء المزعجة عن الكنيسة في كورنثوس من بعض الأخوة الذين وفدوا إليه من هناك منهم خلـوى وهى سيدة ثرية كان في بيتها كثير من العبيد الذين آمنوا وكذا استفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس (١كو ١٦: ١٧). هذه الأخبار كانت تحكي أن الكنيسة هناك منقسمة إلى أحزاب أربعة (بولس وأبلوس وبطرس والمسيح)، ومثل هذا التحزب كان مكروهاً جداً من نفس الرسول ومازال مكروهاً في الكنيسة للآن.

وأمور أخرى كثيرة عن حال الكنيسة في كورنثوس أوصلها إليه هذا الوفد القادم منها وقد كان الرسول مقيماً وقتذاك في ربيع سنة ٥٧م، في أفسس وكتب منها رسالته إليهم وسلمها للوفد القادم إليه حتى يقرأوها في كنيسة كورنثوس.

قانونية الرسالة: عن صدق الرسالة وسلامتها ونسبها إلى الرسول بولس لم تثر أية شكوك، وقد كتب القديس أكليمنضس الروماني سنة ٩٧م رسالته وأشار فيها إلى رسالة كورنثوس الأولى قائلا «خذوا رسالة بولس الرسول المبارك. ماذا كتب لكم في بداية الإنجيل. الحق أنه اتهمكم عن نفسه وعن صفا وعن أبلوس لأنكم جعلتم من الكنيسة أحزاباً».

كذلك يشير إليها أكثر كتاب القرن الثاني وأيضاً تتفق جميع المعلومات التي وردت بها مع سفر أعمال الرسل إتفاقاً تاماً. وهناك اقتباسات منها في رسالة برنابا وكتابات هرماس وأغناطيوس وبوليكاربوس وإيريناؤس. كما وجدت في وثيقة موراتوري[١].

أهمية الرسالة: الرسالة إلى جوار كونها خطاب إلى أهل كورنثوس ضمنه بولس الرسول إجابات لبعض المشاكل الخاصة بأهلها والتي أرسلوا إليه يطلبون رأيه فيها. تحمل لنا الرسالة قيمة خاصة تصلح لكل العصور كطبيعة عمل الروح القدس. فهى تحوي تقريباً نظاماً متكاملاً لحياة المسيحي بعد المعمودية يحدد سلوكه ويبلور إيمانه تحديداً كاملاً.

فالأمور المختصة بالمشاكل والتحزبات. والمناقشات الدائرة حول الزواج، وتحارب الفساد والزنا. وكذلك العلاقة بين الفقراء والأغنياء وموقف المسيحي من المجتمع

---

(١) وثيقة موراتوري هى وثيقة تاريخية هامة جداً مثبت فيها الأسفار المشهود بقانونيتها. وسميت كذلك لأن أول من نشرها في سنة ١٧٤٠ هو العالم الإيطالي Muratori.

غير المسيحي وكذلك حسن استخدام المواهب ومكانة المرأة.. كل هذه أمور تهم المسيحي في كل وقت.. وأكثر منها أيضاً.. تعالجه الرسالة الأولى إلى كورنثوس في سياق مسيحي أصيل جعل منها مرجعاً أصيلاً يفيد كل من يريد العودة لما تنادي المسيحية به. خاصة لمن اهتدى إلى المسيحية مؤخراً بعد سلوكه سواء في عبادة أخرى أو حتى في ابتعاده فترة عن الكنيسة، سيجد أن كلام الرسالة إلى كورنثوس خير دليل لإعادة تقييم اتجاهاته وأسلوبه في الحياة وتقويمه في إتجاه روحي أصيل.

✠✠✠

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح الأول ﴾

مقدمة : يبدأ معلمنا بولس الرسول رسالته بالتحية التي اعتاد أن يكتبها ويفتتح بها رسائله والتي فيها يفتخر بدعوته رسولاً ليسوع المسيح ثم يهديهم سلام ونعمة الرب يسوع وبعد ذلك يدخل في موضوع الرسالة.

ورسالة كورنثوس الأولى تعتبر من الرسائل السريعة والمتنوعة في موضوعاتها بإنتقال سريع ولكن مدروس بين كل منها، ففي هذا الأصحاح مثلاً يتحدث الرسول بعد الإفتتاحية عن دعوتهم في القداسة ثم ينتقل للحديث عن المخاصمات. ثم بيان فساد كلام الحكمة الإنسانية ولذلك يمكن تقسيم هذا الفصل المبارك إلى التالي:

١- إفتتاحية والدعوة للقداسة (١- ٣)
٢- صفات الكنيسة في كورنثوس (٤- ٩)
٣- المخاصمات (١٠- ١٧)
٤- الحكمة الإنسانية والكرازة (١٨- ٢٥)
٥- تدبير الله العجيب في الكرازة (٢٦- ٣١)

أولاً : الدعوة لحياة القداسة : (١- ٣)

يرسل الرسول بولس إليهم داعياً إياهم قديسين أو مقدسين في المسيح، وقد كان يحلو له ذلك دائماً أن يذكرنا جميعاً بكوننا مقدسين في المسيح يسوع:

[١، ٢] «... إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع المدعوين قديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا»

كوننا قديسين في المسيح أو مقدسين فيه هو هدف وحقيقة دعوتنا لنعرف الله القدوس.. لأنه بقداسته لا يساكنه ولا يعرفه إلا المقدسين، والله إذ سبق وعرف حاجتنا للقداسة وضع فينا الروح القدس روح القداسة. وبذلك صار هدف معرفة الإنسان لله ليس فقط ليقبل عطاياه ومواهبه بل ليتغير إلى صورته في القداسة والبر.

وحياة القداسة كوصية قديمة قدم العلاقة بين الإنسان والله فهى المطلب الإلهي الدائم منا كقول الكتاب:

«أنا الرب الهكم فتتقدسون لأني أنا قدوس» (لا ١١ : ٤٤)

وهذا ما اقتبسه معلمنا بطرس الرسول وقاله:

«.. نظير القدوس الذي دعاكم كونوا قديسين في كل سيرة لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط ١ : ١٥)

ومعلمنا بولس الرسول يوضح هذا الأمر أكثر إذ يعرفنا أن القداسة هى إرادة الله دائماً من نحونا، أن نكون مقدسين وبلا لوم..

«.. لأن هذه هى إرادة الله قداستكم» (١ تس ٤ : ٣)

الله هو مقدسنا في المسيح يسوع: لما رأى الله أننا بدون القداسة لا يمكننا أن نعود إليه مرة أخرى، ولما رأى فشل البشرية كلها في إتباع سلوك القداسة هذا، أتى إليها بنفسه ليهبنا جميعاً كل من يؤمن به الفداء والخلاص. وبالتالي حياة التقديس والقداسة التي هى من أهم ثمار الخلاص وبركاته لخصها رب المجد يسوع حينما قال:

«... لأجلكم أقدس أنا ذاتي لكي يكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق» (يو ١٧ : ١٩)

وسبق أن علمنا أنه هو الحق ذاته:

«... أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤ : ٦)

«...قدسهم في حقك.. كلامك هو حق» (يو ١٧ : ١٧)

أما عبارة **«في المسيح»** فهى مفتاح كل بركات العهد الجديد بل والقديم أيضاً. فالسيد المسيح له كل المجد هو رجاء المجد والقداسة والبر، الأمور التي اشتهتها البشرية كلها منذ سقوطها وتغربها عن الفردوس. في العهد القديم كانت كل محاولات الإنسان ليتقرب إلى الله من خلال طقوس ورموز وظلال وكلها كانت إشارات لحدث التقديس العجيب الذي كان مزمعاً أن يحدث في العهد الجديد بذبيحة ربنا يسوع المسيح فوق الصليب.

ولعل هذا واضحاً جداً من إهتمام الله بإظهار أهمية طقس الذبائح التي بها يصل الإنسان إلى طهارة الجسد كعمل مصغر لقداسة وطهارة شاملة قصد الله أن يعطيها للبشرية في ذبيحة الأجيال الرب يسوع الذي فيه وبه نلنا قداسة وطهارة للروح والنفس والجسد بروحه الأزلي القدوس..

« .. وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءاً أبدياً لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد. فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي». (عب ٩ : ١٢– ١٤)

لأجل هذا لم ينل حياة القداسة إلا من ثبت في المسيح بطاعة وصاياه ومحبته من كل القلب والنفس والقدرة وفي عبارة أرثوذكسية من عرف كيف يجاهد جهاد القداسة كيما يحافظ على وديعة القداسة التي وضعها الله فيه بالمعمودية والميرون المقدس أعني عطية الروح القدس الذي نقول عنه في القداس الكيرلسي:

[واهب القداسة بسلطة بمسرتك للذين أحبهم وليس كالخادم، البسيط في طبيعته، والكثير الأنواع في فعله ينبوع النعم الإلهية] (سر حلول الروح القدس في القداس الكيرلسي)

حياتنا إذن هى جهاد روحي بمؤازرة نعمة الله القدوس. وسماع تبكيته داخل النفس والضمير لترك حياة الخطية والبعد عن كل شر وشبه شر لنبدأ ونكمل مسيرة القداسة حتى النهاية مفرحين إياه بتوبتنا الدائمة.

« ... لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء » (أف ٤ : ٣٠)

ذلك لأن عمل الروح القدس الدائم هو الحفاظ على تجديد الخلقة وجدة الطبيعة والحياة التي أخذناها في المعمودية. أيضاً هو يضع الإنسان في حالة قداسة، ذلك لأن عمل الروح القدس هو بحد ذاته عمل تقديسي بالدرجة الأولى يصل بالإنسان إلى حياة القداسة حتى لو ادخل الإنسان في صراعات وجهادات، فمثابرته واصرار الروح على تغييره يكمل تغيير الإنسان إلى صورة الرب يسوع في القداسة والبر:

«... أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور. وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله – بعمل الروح القدس – في البر وقداسة الحق » (أف ٤ : ٢٢– ٢٤)

معنى هذا أن علينا جهاداً صابراً. نبذل فيه كل اجتهاد لإعطاء الروح القدس فرصته أن يعمل فينا عمله:

« ... مكملين القداسة في خوف الله » (٢كو ٧ : ١)

هذا وحينما يتغير الإنسان بعمل الروح القدس إلى صورة المسيح له المجد كوعده:

« ... يأخذ مما لي ويخبركم » (يو ١٦ : ٤)

يتم حتماً تغييره إلى صورة الآب لأن المسيح هو صورة الآب المنظورة منا. وبهذا يكون الله قد أكمل عمله فينا وأعاد الإنسان مرة أخرى إلى السماء مخلوقاً على صورته في الصلاح والبر. وهذا المفهوم يعرضه لنا القديس كيرلس الكبير فيقول:

[إن ذلك يتم لكي يكون كل شئ من الآب بالابن في الروح القدس]

نعود الآن للرسالة لنجد الطوباوي بولس يعمم هبة القداسة ويقول لهم **« .. لهم ولنا »** فالله للكل يحب الجميع ويريد للبشر كلهم أن يحيوا حياة القداسة ويتمتعوا بهباتها. يريد الكل يخلصون يتوبون ويعودون إليه فيشفيهم، ولكن شرط نوال الإنسان هبة الله هذه هو الإيمان الحي بربنا يسوع المسيح:

«... بر الإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق » (رو ٣ : ٢٢)

ثانياً : صفات الكنيسة في كورنثوس : (١ : ٤ – ٩)

[١ : ٤ – ٧] «... أشكر إلهي من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في المسيح يسوع أنكم في كل شئ استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم كما ثبتت فيكم شهادة المسيح حتى أنكم لستم ناقصين في موهبة ما وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح...»

يشكر معلمنا بولس ربنا بسبب ما ناله الكورنثيون من نعم ومواهب بسبب دخولهم في الإيمان بالمسيح. ومعلمنا بولس تعود هذا الأسلوب الذي فيه يمدح محدثه قبل الحديث عن التوبيخات والتبكيتات التي ينوي الكلام عنها، فهو هنا .. في كورنثوس، يريد أن يحدثهم عن الإنشقاقات والتحزبات نراه يحدثهم عن كونهم في المسيح أولاً قديسين ومدعوين للقداسة. ثانياً قد استغنوا في كل شئ.. أي أن الله أعطاهم حين آمنوا ثمار ومواهب الروح القدس – في كل كلمة وكل علم – وكأنه فيما يكتب لهم هذا يذكرهم بحرارة الإيمان والعبادة التي كانوا فيها .. كيما يخجلهم حتى يبكتوا من داخلهم على الشر والفساد الذي سمحوا لأنفسهم ارتياده بعد ذلك.

كما ثبتت فيكم شهادة المسيح .. لست أنا – بولس – الذي ثبت فيكم شهادة ربنا يسوع –

أي الاعتراف والإيمان باسمه – أو أي خادم آخر – بل روح الله .. والرب يسوع نفسه هو الذي وهبكم حياة الثبات فيه. وهذا أيضاً كي يعلمهم أنهم استقوا حياة البر من واحد هو الرب يسوع، فعليهم أن يكملوا حياتهم في هذه الوحدانية نفسها بعيداً عن كل غيرة وتحزب.. وهذا ما سوف يحدثهم عنه فيما بعد.. (١كو ١ : ١٠ – ١٢)

طبيعة عمل الله: وهنا نلاحظ.. أن عمل السيد المسيح يعطي لنا **بغنى** .. ليس فقط .. أن نأخذ بركات بل نستغنى في تلك البركات لأنه

« ليس بكيل يعطى الله الروح » (يو ٣ : ٣٤)

وهذه من أعظم صفات عطايا الله لنا .. أن يفتح لنا بغنى دخولنا ملكوت محبته.

« لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي » (٢بط ١ : ١١)

« ... فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع » (فى ٤ : ١٩)

(أنظر أيضاً : ٢كو ٨ : ٩، أف ٢ : ٤، تى ٣ : ٦).

لذلك حينما يعطي الله الإنسان يجعله غير معوّز أي شئ – ليس ناقصاً في موهبة ما – ربما قصد هنا مواهب الروح القدس التي أعطاها الله في العصور الأولى في المسيحية سواء في التعليم أو الوعظ أو الألسن. الأمور التي تكلم عنها بولس الرسول في الأصحاح الثاني عشر والرابع عشر.

وربما تكون شهادة السيد المسيح قد تثبتت فيهم – وفينا – بتلك المواهب التي تشهد أن من يمتلكها.. يختلف عن باقي البشر – وهذه حقيقة – في كونه مولود من الله بالروح القدس والماء. لا يشاكل هذا الدهر.. لذلك أيضاً يريد معلمنا بولس أن يخجلهم بأن يذكرهم أن الله لم يتركهم محتاجين لموهبة واحدة من مواهبه بل أعطاهم كل شئ بغنى حسب مسرة مشيئته [١].

وأيضاً ربما تعني تكاملهم في حياة الجهاد والصبر وتوقع يوم مجئ الرب يسوع. **« .. وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح** – وكلمة استعلان لا تعني فقط مجرد ظهور ربنا يسوع إنما تعني ظهوره بقوة في حياتنا .. وإظهار مجده في الزمان الأخير في وقت نكون فيه نحن شهوداً لهذا المجد.

---

(١) الكلمة «موهبة ما» جاءت في الانجليزية "Single blessing (T.E.V.)" بمعنى أناس لم تنقصهم موهبة واحدة إلا وأعطاهم إياها الرب.

[١ : ٨، ٩] « ... الذي سيثبتكم أيضاً إلى النهاية في يوم ربنا يسوع المسيح أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا »

ذلك لأن السيد المسيح هو مصدر كل شبع وغنى – وعنده الينبوع الذي لا ينضب من الروحيات – فهو قد بدأ فينا عمله .. وهو وحده القادر أن يكمله .. ويحفظنا فيه حتى النهاية بلا لوم كما يقول بولس الرسول:

« ... واثقاً بهذا عينه أن الذي بدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (فى ١ : ٦)

فالذي ابتدأ العمل هو الله بالروح القدس – ونحن نضمن تكميل عمله فينا لأنه الله الأمين بصفة مطلقة، لأنه قد دعانا للطهارة والبر ورسم لنا طريقنا لهذا البر ووضع فينا بروحه إمكانية حياة القداسة – وديعة الروح القدس – بهدف أن نشترك جميعاً مع ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح بكوننا أخوة له – وأبناء لله – وورثة مع المسيح. حياة الشركة التي هى محور قصد الله من خلقتنا على صورته ومثاله:

« ... الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات. لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السماوات لأجلكم أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص (نهائي) مستعد أن يعلن في الزمان الأخير » (١بط ١ : ٣– ٥)

ولكن هذا ليس معناه الإتكال على أمانة الله في تكميل عمله فينا والبعد عن حياة الجهاد. صحيح **أن الله قد أكمل الخلاص**.. ونحن نضمن هذا الخلاص من جهة الله بذبيحته الكفارية غير المحدودة، ولكن لا نضمن أنفسنا أننا سوف نستمر أمامه بإستمرار بلا لوم.. حتى نؤهل لأن نرث هذا الميراث الأبدي المحفوظ لنا في السماء. لذلك قال معلمنا بطرس «بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير» لأننا بإيماننا الحي العامل وطاعتنا لله، نسعى نحو تكميل خطة الله لخلاصنا ناظرين للسيد المسيح كرئيس لهذا الإيمان ومكمل لهذا الخلاص حتى نؤهل في يوم ظهوره لأن نفرح بإستعلان خلاصه فينا.

« ... نحن الذين لنا باكورة الروح. نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا » (رو ٨ : ٢٣)

ففداء الأجساد هذا.. هو استعلان أولاد الله[١]، حينما يكونون قد جاهدوا جهاد الأمانة

(١) عن الولادة من الله والتبني والوراثة يمكنك الاستفادة من الشاهد فى (غلا ٣ : ٢٦ – ٤ : ٧).

الحسن.. وأكملوا سعيهم في خوف الله. ذلك لأن الإنسان كثيراً ما يرفض عمل الله بل ويعطل عمله فيه.. وبالتالي هذا الإنسان – رغم ولادته الثانية من الله – ونوال نعمة الروح القدس، معرض لفقدان خلاصه الأبدي إذا ما هو تكاسل عن الجهاد كيما يكمل خلاصه. ولعل قول بولس الرسول في (فى ٢ : ١٢، ١٣) أصدق دليل على ذلك:

« .. تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا » (فى ٢ : ١٢، ١٣)

فرغم أن الله هو العامل فينا عمله بحسب شدة قوته إلا أن هذا الخلاص يحتاج من الإنسان أن يجاهد بخوف ورعدة وإصرار حتى يكمله كما جاء في (٢كو ٧ : ١)

« مكملين القداسة في خوف الله »

ثالثاً : الخصومـــات : (١٠– ١٧)

[١٠] **« ... كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد..»**

القول الواحد الذي يطلبه معلمنا بولس الرسول هو الاعتراف بالواحد، بالمخلص الواحد يسوع المسيح.. امتداداً للتعبير عن مبدأ الوحدانية في المسيح يسوع.. لأننا جميعاً أعضاء في الجسد الواحد الذي له. لذلك يجب أن نكون كاملين في هذا الواحد لذلك يخاطبنا:

«... أطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم إليها.. مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل. جسد واحد وروح واحد. كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة» (أف ٤ : ١– ٧)

رباط الصلح الكامل هو محبتنا لبعضنا البعض كما علمنا إياها ربنا يسوع المسيح.

هذا يعني البعد عن الإنقسامات والتحزبات التي يمكن أن تنشأ في محيط الخدمة.. **(بولس – أبولـُوس** [١] **– صفا – المسيح...»**[١٢] ذلك لأن هذه التحزبات لا يمكن أن تخدم إلا مصالح

---

(١) أبلوس هذا يهودي اسكندري الجنس قابل بولس الرسول في أفسس، شهد عنه سفر الأعمال (أع ١٨ : ٢٤– ٢٨) أنه كان فصيحاً مقتدراً في الكتب خبيراً في طرق الرب ولكنه كان عارفاً بمعمودية يوحنا فقط. ولما سمعه أكيلا وبريسكيلا شرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق. ثم أرسلاه مع الإخوة إلى التلاميذ في أخائيه ومكث في كورنثوس، فبهر ببلاغته أهلها حتى تحزب له البعض (اقرأ أيضاً أع ١٩ : ١– ٦).

وأغراض عدو الخير .. لذلك قال لهم بولس الرسول «.. **هل انقسم المسيح**» ؟ [١٣] ما معناه أنه لا يمكن أن ينقسم المسيح كما جاء في الترجمة الإنجليزية "Christ can'nt be devided" (T.E.V.) بمعنى أن كل من هو مع المسيح فهو يجمع معه ثمر للحياة الأبدية: «**من لا يجمع معي فهو يفرق**».

أما من يجمع ثمراً لذاته مدحاً من الناس.. فهو لا يعمل مع المسيح ولا لبنيان ملكوته.

بإختصار نقول أن الخادم الحقيقي هو الذي يركز كل أهدافه في تكميل بنيان ملكوت الله على الأرض في نفوس المخدومين بعيداً عن حروب الذات والأنانية. ذلك لمعرفة أن الله يستطيع أن يعمل كل شئ بدون عملنا وما نحن إلا فعلة في كرمه، يستطيع هو أن يستبدلنا بآخرين إنما يتركنا نأخذ بركة لأنفسنا.

كما نقول أيضاً بولس الرسول:

«**ليس الغارس شيئاً أو الساقي شيئاً بل الله الذي ينمي**» (١كو ٣: ٧)

فثمر الخدمة متروك لله الذي ينمي حسبما يشاء. ثم بدأ يوبخهم أكثر إذ يقول:

[١٣] «**العل بولس صلب لأجلكم أم باسم بولس اعتمدتم**»

فإذا كنت أنا بولس مخلصكم وبإسمي قد اعتمدتم لكان لي الحق أن تكونون خاصتي أنا.. أما وقد صار ربنا يسوع المسيح هو **مخلصنا وفادينا**.. وليس اسم تحت السماء به ينبغي أن نخلص إلا اسم ربنا يسوع المسيح .. علام إذن تتعلقون بنا؟ كأننا - كخدام - قد متنا عنكم وأعطيناكم تعليماً أن تعمدون بإسمنا..

ثم ينفي عن نفسه ذلك بأنه لم يعمد كثيرين منهم حتى لا يدعي أحد انه في إنحراف الخدمة قد عمدهم باسمه لحسابه الخاص.

[١٤- ١٦] «**أشكر الله أني لم أعمد أحداً منكم إلا كريسبس وغايس حتى لا يقول أحد أني عمدت بإسمي. وعمدت أيضاً بيت اسطفانوس، عدا ذلك لست أعلم هل عمدت أحداً آخر**».

وليس بلا داع قال لهم أنه لم يعمد أحدا منهم.. بل ذكر ذلك لأهمية العلاقة بين العماد والصليب.. فالمعمودية والولادة الجديدة هى أيضاً من بركات الصليب.. الذي به دينت الخطية ومات الإنسان العتيق كيما يحيا بحسب الإنسان الجديد المخلوق بحسب صورة الله في المجد

والقداسة والبر..

« .. عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية » (رو ٦ : ٦)

[١٧] « .. لأن المسيح لم يرسلني لأعمد بل لأبشر »

حتى لا يظن أحد أنه يدعي لنفسه أن يجعل من عمدهم خاصة له.. قال أن المسيح لم يوكل إليه العماد بل التبشير .. والمقصود بهذا طبعاً ليس أنه لا يستطيع أن يعمد .. لأن عمل الكرازة هو واحد.. بل أن الله أعطى لكل واحد بحسب الموهبة المستمدة منه.. مواهب تعليم .. كرازة .. وعظ .. صلاة .. خدمة طقسية. فبالنسبة لبولس الرسول وهو من كان متعلماً فلسفات عصره.. استخدم الله هذه الإمكانية وطوعها لتخدم عمل الكرازة من جهة البشارة بإنجيل الملكوت.. أما موضوع العماد فقد كان لاحقاً للإيمان بحيث يقوم به آخرون.

[١٧] « لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح »

ولئلا يدعي بأن نجاحه في خدمته هو من قبيل فلسفة وحلاوة لسانه – قال ذلك .. كما كرره في الأصحاح الثاني :

« .. وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله » (١كو ٢ : ٤)

ويمكننا ملاحظة دور الحكمة الإنسانية في حديث بولس الرسول في اثينا عندما إستغل وجود مذبح لإله مجهول.. فكرز لهم بهذا الإله المجهول وإذا بحثنا عن ثمر هذه الخدمة سنجده..

« .. ديونيسيوس الإيوباغي وامرأة اسمها دامراس وآخرون معهما » (أنظر أع ١٧ : ٣٤)

بل ورأينا كيف استهتر الناس بالكرازة واستهزأوا بما سمعوه عن قيامة الأموات في حين أنه عندما تحدث للكورنثيين لا بحكمة كلام بل ببرهان الروح والقوة آمن به الناس، ودخلت المدينة كلها في الإيمان بعد حياة مليئة بالشر.. حتى يكون فضل القوة لله لا منا..

« .. لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا » (٢كو ٤ : ٧)

أما عن كيف يتعطل صليب المسيح.. فذلك لأن في الصليب صار الجمع بين متناقضاتٍ كثيرة وحلول لألغاز عديدة.. لا يمكن أن يصدقها عقل إن لم يكن الله هو المتكلم على ألسنتنا.

لأنه كيف يمكن لعقل بشري محدود .. أن يقتنع عقلياً بأن الله يمكن أن يأخذ جسداً بل ويصلب به أيضاً ويموت إن لم يعمل الله في هذا العقل كي يؤمن ويصدق؟

كيف يتألم الخالق؟ .. كيف يُمَجَد ويُحتَفى به كملكٍ وهو مخذول فوق خشبة العار؟ .. ما هى مظاهر القوة في شخصٍ استسلم للموت في خضوع شاةٍ تساق للذبح؟ .. وفي نفس الوقت نقول عنه انه الإله القادر على كل شئ؟

ولكن كل هذه المتناقضات جمعها الله على الصليب.. وأعطى لنا نعمة أن نؤمن وأن نصدق.. ووضع في ألسنة خدامه برهان الروح والقوة ما يجعلهم به قادرون على الخدمة والكرازة..

« .. لا يستطيع أحد أن يقول المسيح رب إلا بالروح القدس » (١ كو ١٢ : ٣)

« .. أما ثمر الروح فهو محبة .... إيمان » (غلا ٥ : ٢٢)

يتعطل صليب المسيح بمعنى أن موضوع الإيمان به لا يأخذ في قلوب السامعين أي بعد .. أي تصير الخدمة بلا ثمر..

رابعاً : الحكمة الإنسانية والكرازة : (١٨- ٢٥)

[١ : ١٨] « ... لأن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة أما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله»

عند الهالكين ليس من دُعوا للهلاك.. كما يقول البعض خطأً أن ابن الهلاك للهلاك يُدعى.. بل المقصود بها من ازدرى بتعليمنا عن الصليب ورفض قبول فكرة أنه يمكن لله أن يتجسد ويتألم ويموت موت اللعنة هذا كيما يعطينا الخلاص.

والمقصود بكلمة الصليب هنا ليس فقط الصليب بل حقيقة موت السيد المسيح على الصليب كما جاءت في الإنجليزية (T.E.V.) (Christ's death on the cross) .. هى التي لا يقبلها البعض وبالتالي لا يؤمنون بها ويحرمون أنفسهم من عطية الحياة الأبدية والخلاص الأبدي.

أما عندنا نحن المخلصين – الذين قبلوا وآمنوا بالسيد المسيح وحقيقة صلبه وموته – فالصليب هو قوة الله وقدرة الله الأبدية بل صار لنا كل الفخر بسبب صلب السيد عليه .. وتحول الصليب من خشبة للعار.. إلى موضوع بهجة وافتخار.. بقوة الله..

«.. حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صُلِب العالم لي وصُلبت أنا للعالم» (غلا ٦ : ١٤)

« مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان. إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غلا ٢ : ٢٠)

وهذا تجسده الكنيسة حينما تحتفل بعيد الصليب.. إذ تحتفل به مرتين في السنة ١٧ توت – ١٠ برمهات. بطريقة مفرحة جداً وتجعل من تذكار ظهور الخشبة المقدسة عيداً كبيراً نفرح فيه وكأننا نستقبل الملك، وهى الحقيقة التي أشار إليها المزمور **«الرب ملك على خشبة»** (مز ٩٦ : ١٠)، وكذلك مزامير الساعة التاسعة كلها..

[١٩، ٢٠] «.. لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء أين الحكيم أين الكاتب أين مباحث هذا الدهر»

هذا ما أشار إليه إشعياء النبي:

«.. هأنذا أعود أفعل بهذا الشعب عجباً وعجيباً فتبيد حكمة حكمائه ويختفي فهم فهمائه» (اش ٢٩ : ١٤)

«.. أين الكاتب أين الجابي أين الذي عد الأبراج» (اش ٣٣ : ١٨)

وكذلك أرميا النبي:

«.. خزي الحكماء ارتاعوا وأخذوا ها قد رفضوا كلمة الرب فأي حكمة لهم» (أر ٨ : ٩)

واضح هنا أن الله لم يخز حكمة الحكماء ظلماً منه لهم أو تحدياً دون داعٍ لكونهم حكماء.. ولكن الكتاب يعلمنا أن هؤلاء الحكماء رفضوا الطاعة لكلمة الله.. وظنوا أنهم بحكمتهم البشرية يستطيعوا أن يحيوا بعيداً عن الله، لذلك تكون حكمتهم لا للخير بل للشر.. وقديماً رأينا أهل بابل حينما فكروا في بناء البرج.. هرباً من قصاص الله وخوفاً من أن يكرر معهم ما فعله في الطوفان وكيف أن الله نزل وبلبل ألسنتهم لذلك يعلمنا الكتاب أيضاً: **«.. رأس الحكمة مخافة الله..»** (أم ٩ : ١٠).

وبذا تكون مخافة الله وطاعة وصاياه هى الحكمة الحقيقية القادرة أن تعرف الإنسان طريق الحياة الأبدية وتضمن له عدم إنحراف مسيرته نحو الله.

«.. على فهمك لا تعتمد..» (أم ٣ : ٥)

« لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص. تخرج روحهم فيعودون للتراب» (مز ١٤٥ : ٣)

لذلك يستطرد معلمنا بولس يقول: .. أين هؤلاء الحكماء الآن؟.. أين من كانوا يظنون في أنفسهم أنهم قادرون؟.. أين هم إذا قورنوا بالله؟.. وأين حكمتهم إذا وضعت في الميزان مع حكمة الله..؟ يقول ذلك في أسلوب استنكاري نفهم منه زوال تلك الحكمة وبطلان هذا العلم.

[٢٠] **«.. ألم يَجهّل الله حكمة هذا العالم»**

وهذا أيضاً ليس تجبراً من الله.. بل المقصود به أنه حينما ظهر الله بحكمته الإلهية السامية.. وعلمه الإلهي الكامل كان من الطبيعي أن لا تثبت أمامه حكمة هذا العالم. وبالتالي تكون حكمة الله قد حكمت ضمنياً على جهل حكمة العالم جهلاً كاملاً.

«.. لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم واظلم قلبهم الغبي وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء» (رو ١ : ٢١، ٢٢)

وهنا صورة أخرى للإنسان الرافض معرفة الله وحكمة الله، كلما يسمع عنه يزداد زيغاناً منه.. وكلما يرى عظمة الله وقدرته في خليقته لا يمجد الله أو يشكره. ليس لأن الله ناقصاً في المجد ويحتاج لتمجيد منا، ولكن بمعنى أن الإنسان لا يعترف لله بعظمة قدرته.. وتنحني نفسه أمام خالقه بل يستمر في عناده ويظلم قلبه.. ويرفض معرفة الله الحقيقية.. وبالتالي يعرض نفسه لغضب الله الموصوف في (رو ١ : ٢٣– ٢٨) حيث أسلمهم الله للذهن المرفوض لفعل مالا يليق. وهنا لا يجد الإنسان سنداً من حكمته وعلمه الذي سبق ووضع كل رجائه فيه وبالتالي يصير جاهلاً جهلاً شديداً.

«.. وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله لذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (رو ١ : ٢٨)

هكذا رأينا أنه إذا ما قارنا بين حكمة العالم التي يقدمها لنا وبين حكمة الله.. حكمنا على حكمة العالم بالجهل الكامل. وبأنها لا يمكن أن توصل الإنسان إلى معرفة حقيقية لله – **لم يعرف الله بالحكمة.**

[٢١] **«.. لأنه إذا كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة إستحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة»**

هذه المعرفة الحقيقية هى هدف الله من كل تدبير الخلاص، التعرف على شخص المسيح المبارك.. والإيمان به.. لما عرف الله أن البشرية لا يمكن أن تعرفه بعلمها وحكمتها.. وجد أنه من الأفضل لنا – استحسن أن نخلص بجهالة الكرازة، أي بالإيمان البسيط والتصديق القلبي لكلمة الله[1]. وبذلك يكون الإيمان هو وسيط الخلاص والتصديق هو المدخل الطبيعي الوحيد لمعرفة الله «.. من آمن واعتمد خلص».

[٢٢] «.. لأن اليهود يسألون آية واليونانيون يطلبون حكمة».

وهنا يبدأ بولس الرسول يتكلم عن ما تطلبه نوعيات البشرية، اليهود لا يصدقون إلا حينما يرون آية، وكثيراً ما طلبوا من ربنا يسوع المسيح أن يعطيهم آية.

«.. يا معلم نريد أن نرى منك آية» (مت ١٢ : ٢٨)

ومرتين يعطيهم آية يونان النبي ويحكم على الجيل الطالب آية بأنه جيل شرير وفاسق (مت ١٢ : ٣٨– ٤١، مت ١٦ : ١، مر ٨ : ١١، لو ١١ : ١٦).

أما اليونانيون – وهم أحفاد الفلاسفة – فأنهم يطلبون حكمة.. أي يرغبون أن يخضعوا الإيمان بالله.. وعمل الخلاص كله لحكمتهم البشرية ويظنوها طريقاً لخلاصهم.. وكما سبق ورأينا أنه عبثاً يحاول الإنسان أن يعرف الله بحكمته الذاتية بعيداً عن حكمة الله. لذلك رأينا أن كلا الفريقين لم يعرف الله.. وصار السيد المسيح وحقيقة الصلب والموت وقضية الخلاص – نقول صار لمن لم يؤمن به ويصدق بها قلبياً بإيمان الطفل – عثرة لليهود .. وجهالة لليونانيين..

[٢٣] «.. ولكننا نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانين جهالة»

فبالنسبة لليهود اعثروا جداً في شخص المسيح المصلوب.. حينما رأوه ضعيفاً بالجسد.. وأخيراً مهاناً فهوق الصليب.. ومائتاً موت اللعنة والعار.. لم يقبلوا هذا التدبير الهادئ لخلاصهم.. لأنهم كما نعلم كانوا يريدونه مسيحاً من نوع آخر قوي في العالم، يستطيع أن يعطيهم الخلاص لا من عبودية إبليس بل من عبودية الرومان. ويعتقهم لا من سلطان الخطية بل من سلطان قيصر. رغم أن كتب آبائهم سبقت وأشارت عنه كثيراً.. ويكفيهم ما قاله اشعياء النبي في الأصحاح الثالث والخمسين :

---

(1) God decided to save those who believe" (T.E.V.)

«.. قدسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتي إسرائيل وفخاً وشركاً لسكان أورشليم» (أش ٨ : ١٣، ١٤)

وحينما حدثهم عن جسده ودمه الإلهي في يوحنا ٦ .. نراهم أيضاً يعثرون به.

«.. فعلم يسوع أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم أهذا يعثركم» (يو ٦ : ٦٠، ٦١)

أما حقيقة صلب السيد المسيح فهى بالنسبة لليونانيين هى جهالة لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموها بحكمتهم وأرادوا أن يخضعوا الإيمان للعقل.. وهذا طبعاً مستحيل لذلك قال عنه بولس الرسول:

«.. ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحياً» (١كو ٢ : ١٤)

والمقصود بالإنسان الطبيعي هنا.. الإنسان الذي يحيا حسب المنطق الجسدي في كل أمور حياته – من علاقات بالآخرين وبالماديات وأيضاً بمن يعبده.. هذا الإنسان لا يستطيع أن يقبل كما قلنا المتناقضات في الصليب.

بعد ذلك يرجع بولس الرسول ليقرر حقيقة هامة جداً وهي مفهوم الفداء والصليب لنا نحن المخلصين أو المدعوين قديسين فيقول:

[٢٤] «.. وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله»

المدعوون هم المقدسون.. أي من قبلوا الإيمان والمدخل الطبيعي له من تصديق قلبي سواء كانوا يهوداً أو يونانيين.. فكرازتنا لهم هو المسيح قوة الله وحكمة الله. بل قل مصدر القوة ومصدر المعرفة أو مفتاح المعرفة لأن فيه مخبأة كل كنوز الحكمة والمعرفة. فالمسيح قوة الله أمر لا يحتاج إلى برهان. يكفي لنا للدلالة على ذلك نظرة عابرة على معجزات السيد التي فعلها فترة حياته بالجسد على الأرض.. ثم تكميل الفداء بقوته العجيبة التي بدت في الصليب حينما تألمت الطبيعة ذاتها لتألمه.. واحتجبت الشمس حزناً منها على خالقها.. أي قوة هذه..!!

«.. الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب ١ : ٣)

أما ما رآه البشر في المسيح من حيث الضعف والهوان.. الأمور التي وضحها لنا أشعياء النبي في (اش ٥٣) .. هذه الأمور هى ما يبدو فقط للناظرين.. الذين لم يتعودوا السلوك بالإيمان

والنظرة العميقة التي ترى يد الله تعمل بإستمرار. أما المؤمنون أو قل المدعوين بالقداسة فقد رأوا في السيد وهو مصلوب منتهى القوة والجبروت لذلك اعتدنا أن نقول في أسبوع الآلام:

(.. لك القوة والمجد والبركة والعزة..)

بل وفي صلاة الساعة التاسعة التي فيها نتذكر موت الرب فوق الصليب، نعترف به كملك الملوك ورب الأرباب ونقول له:

«.. الرب قد ملك فلتتهلل الأرض» (مز ١٦ : ١)

«.. الرب قد ملك فلترتعد الشعوب» (مز ٩٨ : ١)

وفي يوم الجمعة العظيمة.. صلاة الساعة الثانية عشر، التي فيها نتذكر إنزال جسد السيد من فوق الصليب ودفنه نقول له:

«كرسيك يا الله إلى دهر الدهور.. قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك» (مز ٤٥ : ٦)

ذلك لأن الصليب صار هو العرش الإلهي الذي من فوقه صار للمسيح الحق أن يملك على قلوبنا بملء إرادتنا وحريتنا..

[٢٥] «.. لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس»

بمعنى أنه ما يبدو للناس بخصوص الله أنه جهل هو بالحقيقة أحكم بما لا يقاس من حكمة البشر.. وما يبدو لهم أنه ضعف منه هو بالحقيقة أقوى أيضاً بما لا يقاس من الناس.

خامساً : تدبير الله العجيب في الكرازة : (٢٦- ٣١)

[١ : ٢٦] « ... فأنظروا دعوتكم أيها الاخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء. ليس كثيرون شرفاء»

أنظروا ماذا كنتم قبل الإيمان بالمسيح ودعوتكم لاسمه المبارك، ماذا كنتم حتى يدعي أحدكم أن بحكمته، أو بقوته الجسدية، أو حتى بشرف نسبه الأرضي، قد استحق الدخول لبركات العهد الجديد اعتماداً على كونه كذلك. لذلك قال لهم لم يكن فيكم كثيرون حكماء أو أقوياء أو شرفاء حسب الجسد. ومع ذلك استحققتم الإيمان بالسيد المسيح والدخول في رعويته المقدسة ودعوته للحياة الأبدية وبذلك يكون الله كعادته دوماً:

[٢٧، ٢٨] «.. بل إختار الله جهال العالم ليخزي بهم الحكماء وإختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء.. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود»

ذكرنا قبلاً، أن حكم الله بجهالة حكمة العالم.. وضعف قوة العالم وبطلان ما هو موجود ليس من قِبَل تحدي الله للبشر.. بل هذا ما يستحقه الإنسان من جراء اعتماده على حكمته وقوته، ووجوده الذاتي منفصلاً عن حكمة الله وقوة الله والإعتراف بالله من جهة تدبيره للكون كله الذي سبق وخلقه.

وكانت وسيلة الله لذلك هى استخدام كل ما يناقض ما يقدمه العالم لنا، فمن جهة الحكمة اختار الله جهال العالم.. ولنا في ذلك مثال معلمنا بطرس الرسول.. الصياد الأمي الذي لا يعرف شئ في نظر العالم جاهلاً.. ولكن بإعترافه بأن المسيح هو ابن الله الحي استحق التطويب من الرب يسوع، وبذا صار من أحكم حكماء الأرض.. ذلك لأن لحماً ودماً لم يعلنا له ذلك بل الآية من السماء وبهذا صارت حكمته إلهية من فوق.

ويكفي النظر لعظته يوم الخمسين التي بها خلص حوالي ثلاثة آلاف نفس حينما كلمهم كلاماً كرازياً يكاد يخلو من كلام الحكمة البشرية المقنع.. ولكن لا يهم المهم أن يكون ممتلئ بالروح القدس.. ومقود بحكمة الله حينما يضعها في أفواهنا.

ومن جهة القوة، أنظروا القلة من التلاميذ والرسل الذين مع ضعفهم الجسدي قيل عنهم:

«.. في كل المسكونة خرجت أصواتهم وإلى أقطار الأرض صار منطقهم» (مز ١٩ : ٣، ٤)

وهؤلاء هم من سبق وقيل عنهم: **«الذين لم تسمع أصواتهم»**، بل وأكثر من ذلك.. تسمية السيد المسيح لنا بالقطيع الصغير، القلة في العالم .. المضطهدة.. المتعبة.. التي نظن فيها أنها ضعيفة.. الأصغر في ملكوت السماوات منها.. قادر أن يرعب من يظنوا في أنفسهم قوة جسدية.

تأمل ارتعاب فيلكس الوالي من كلام بولس الرسول.. تأمل جهادات الشهداء الأبطال الذين دوخوا الامبراطورية الرومانية وجعلوها في النهاية تضطر إلى الإعتراف بالمسيحية دين رسمي للدولة بسبب ثبات هؤلاء الشهداء..

ومن جهة شرف النسب الجسدي لم يركز الله في اختياره على من هم شرفاء في النسب ويكفينا نظرة لتسلسل أنساب السيد المسيح الذي فيه راعوث المؤابية (الوثنية).. وراحاب (الزانية) وثامار (الزانية) ويوسف النجار.. فالله حينما يخلصنا.. ويفكر في دعوتنا لا يستند على حكمتنا أو

قوتنا أو شرف نسبنا.. كل ما ينظر إليه هو حقيقة إيماننا القلبي وفي هذا يتساوى الجميع وبالتالي لا يكون لأحد الفضل في كونه قديساً مدعواً للقداسة في كنيسة الله، بل الكل أمام الله معترفون بفضله هو، وهذا هو ذات ما ذكره بولس الرسول:

«.. لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا» (٢كو ٤ : ٧)

وقديماً قيل عن الله:

«.. الرافع المسكين من التراب.. والبائس من المزبلة ليجلسه مع رؤساء شعبه»
(مزمور ١١٢) (١صم ٢ : ٨)

ولكي يؤكد بولس الرسول قصد الله من هذه الاختيارات يكرر عبارة: **«اختار الله»**. ثلاث مرات حتى يؤكد أن ما يحدث في دعوتنا التي تبدو أمام الناس أنها جهالة وضعف وتحقير إنما هى من الله حتى يبطل حكمة العالم وقوة العالم. وكل كرامة وشرف نسبٍ يقدمه لنا العالم..

ذلـــك..

[٢٩] «.. لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه»

أي كل ما هو من الجسد لا يثبت في إفتخاره بجسده أمام الله. سواء بحكمته الجسدية.. أو قوته الجسدية.. أو شرف نسبه الجسدي[١].

[٣٠] «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء»

يريد أن يقول لنا.. أنه مهما كانت أمورنا وأوضاعنا الجسدية قبل الإيمان صرنا بالمسيح يسوع وعمله الفدائي.. أحباء لله بل وأولاد له بالتبني ذلك لأن السيد المسيح – الكرمة الحقيقية التي طعمنا فيها – هو حكمة الله .. وبر الله.. وقداسة الله.. وهو نفسه الفداء الذي صنعه كيما يعيدنا للآب ويصير لنا الحق في الدخول إلى حكمته وبره وقداسته.

صار المسيح حكمة لنا من قبل الله.. لأن بمجيئه له المجد لعالمنا أعلن إرادة الآب من جهتنا ولأجلنا..

«.. العمل الذي قد أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يو ١٧ : ٤)

---

(١) معنى الآية في الانجليزية يدل على تضاؤل الافتخار الجسدي بصفة مطلقة إذا ما قارناه بافتخارنا بالله وحكمته:
"No body can boast in God's presence" (T.E.V.)

«.. طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني» (يو ٤ : ٣٤)

«.. هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣ : ١٦)

هذا ويمكننا الربط بين هذا الجزء ورسالة معلمنا بولس إلى روميه هكذا:

البـــــر ← (رو ١ – ٤)

«.. ولكن الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً»(رو ٤ : ٥)

القداســـة ← (رو ٥– ٧)

«وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً للبر فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية» (رو ٦ : ٢٢)

+ **الفـــــداء** (رو ٨)

«.. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت لأن ما كان الناموس عاجزاً عنه فيما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد» (رو ٨ : ٢، ٣)

وبالتالي يبقى الافتخار أمام الإنسان هو أن يفتخر فقط بما فعله الرب وما يفعله معنا وفينا.

[٣١] **«حتى كما هو مكتوب من افتخر فليفتخر بالرب»**

«.. هكذا قال الرب لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغني بغناه بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاءاً وعدلاً في الأرض لأني بهذه أُسر يقول الرب» (أر ٩ : ٢٣، ٢٤)

وبذا صار الإفتخار الوحيد هو بالرب وعمله.. عين ما قاله بولس الرسول:

«.. حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وصلبت أنا للعالم» (غلا ٦ : ١٤)

﴿ الأصحاح الثاني ﴾

مقدمة : بعد أن وضح الطوباوي بولس كيف دبر الله خلاص البشرية وبشراه لنا وكرازته بجهالة الكرازة اعتماداً فريداً على حكمة الروح القدس وقيادته وإرشاده للرسل، يعود ويدافع في هذا الفصل المبارك عن هذا المبدأ مظهراً نفسه خاضعاً له، متكلماً لا بكلام الحكمة الإنسانية بل ببرهان الروح والقوة. ثم يدعوهم ويدعونا معهم إلى سلوك نفس الطريق حيث يركز على الأمور الروحية وإنتقالنا من مجرد كوننا أرضيين -- انسان طبيعي – إلى كوننا أبناء الله نسلك بالروح وبالتالي يجب أن نعطي الروح القدس فرصته أن يعمل ويقودنا ويعلمنا.

١- برهان الروح والقوة (١- ٥)
٢- أزلية الحكمة الإلهية (٦- ٩)
٣- الروح القدس روح الحكمة والاعلان (١٠- ١٣)
٤- الإنسان الطبيعي والإنسان الروحي (١٤- ١٦)

أولاً : برهان الروح والقوة : (١- ٥)

[١، ٢] «... وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة. أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مناديا لكم بشهادة الله لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً»

بعد أن أوضح لنا معلمنا بولس بطلان كلام الحكمة البشرية.. وبلاغة اللسان البشري، يوضح لهم الآن أنه ضمن من اختارهم الله من ضعفاء العالم.. وجهال العالم.. والمزدرى وغير الموجود ليوصلوا كلمة الحياة للآخرين. حتى لو كان هو شخصياً يملك من المؤهلات ما يجعله من أهل الحكمة والقوة وشرف النسب، إلا أن الله لم يستخدمه إلا عندما رآه يطرح جانباً كل هذه المؤهلات

البشرية ويقول للرب ماذا تريد يارب أن أفعل؟ (أع ٩ : ٦)

ثم يدلل لهم على سلوكه هذا بأنه لم يكن يريد أكثر من أن يرى يسوع المصلوب مصوراً فيهم. أي إيمانهم الكامل بموت السيد المسيح فوق الصليب، الحقيقة الكبرى التي لا يمكن أن يقبلها انسان إلا ببساطة الإيمان والتصديق القلبي. لذلك ينتفي إعتماد الرسول أو الكارز على أي حكمة بشرية.

[٣- ٥] «... وأنا كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة وكلامي وكرازتي لم يكونا بعد بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله»

القوة والشجاعة الجسدية تناسب انسان يعتمد على ذاته سوف يستخدم قوته وشجاعته وعدم هيبته لأحد في خدمته. ولكن وجودي في وسطكم لم يكن هكذا بل كنت في ضعف وخوف ورعدة كثيرة، ليس عن عدم ثقة في الله الذي يكرز باسمه ويعمل لحساب ملكوته.. بل حرصاً من الرسول على عدم اقحام ذاته في الخدمة. وخوفاً على العمل التبشيري من ذاته نفسها ومحاولتها العمل بعيداً عن الله ولاسيما وهى تملك من القدرات والفلسفات والمنطق الشئ الكثير.

لذلك صارت كرازته ليست بكلام الحكمة الإنسانية المقنع جسدياً، بل ببرهان الروح والقوة. كلام الحكمة الإنسانية إنما يقنع بأمور جسدية أو موضوعات يُحكَم فيها جسدياً، أما العمل الروحي.. فهو عمل إلهي بالدرجة الأولى لا يلزمه إلا برهان الروح والقوة التي من الله. ولا مانع عند الله بعد ذلك أن يستخدم كلام الحكمة الإنسانية ولكن بعد أن يطوعه تماماً في مدرسة الإتضاع والطاعة وإنكار الذات.

ذلك لأن محاولة استخدام الإنسان لمواهبه الجسدية وحكمته البشرية لن تخرج عن كونها استعراض لهذه المواهب والقدرات، وكأن الإنسان يدعو الناس للإيمان به والإلتفاف حوله بسبب حلاوة لسانه وقوة منطقه. وبالتالي لا يستطيع أن يقود الناس إلى الإيمان بقوة الله.

ثانياً : أزلية الحكمة الإلهية : (٦- ٩)

[٦- ٨] «... لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون. بل نتكلم بحكمة الله في سرٍ. الحكمة

المكتومة والتي سبق فعينها قبل الدهور لمجدنا التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد»

الكاملون هنا، هم المسيحيون الذين صارت لهم الحواس مدربة.. المتقدمين إلى الكمال (عب ٦ : ١). أي الذين لم يرضوا أن يبقوا أطفالاً في المسيح (١كو ٣ : ١).

وقد يكون الكاملون هنا من لهم بساطة الإيمان والتصديق القلبي وبهذا يكونون قد بدأوا مسيرة الكمال بحسب ما يرضي الله لأنه مكتوب.

«.. بدون الإيمان لا يمكن ارضاؤه» (عب ١١ : ٦)

وأيضاً :

«.. كل ما ليس من الإيمان فهو خطية» (رو ١٤ : ٢٣)

هذه الحكمة التي تناسب الكاملين هى ليست من هذا الدهر ولا ما يتفق مع حكمة عظماء هذا الدهر.. لأنهم وحكمتهم «يبطلون» والفعل هنا مبنى للمجهول، ولكن واضح لنا من الأصحاح الأول أن الله أبطل حكمة العالم وقوة عظماء هذا الدهر.. بحكمته وقوته (راجع ١كو ١ : ١٩ – ٢١) لترى أن الله هو الفاعل.

ولكننا نؤمن ونتكلم بحكمة الله ذاتها.. إلا أن قوتها تظل سرٌ يُخفى عن الإنسان الجسدي الطبيعي .. ولكن يستعلن للإنسان الكامل – أو قل الساعي نحو الكامل – ذلك في حياته وعلاقته مع رب المجد يسوع المسيح لأن موضوع الإيمان والخلاص يُسلَّم كحياة وليس مجرد كلام.

وهذا السر هو حكمة الله.. أو تدبير الله للخلاص الذي أقره وعينه قبل الدهور لمجدنا. والمقصود هنا طبعاً هو تجسد ربنا يسوع المسيح وموته وفداء البشرية على الصليب وكل بركات هذا الفداء من قيامة وصعود ومجد:

«.. للقادر أن يثبتكم حسب انجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية» (رو ١٦ : ٢٥)

« .. قد أعطى لكم – للتلاميذ – **أن تعرفوا أسرار ملكوت الله – السموات – أما لأولئك فلم يُعط»** (مت ١٣ : ١١)

ويمكننا فهم موضوع هذا السر المكتوم والمعين قبل الدهور لأجلنا من مطالعتنا للأصحاح

الأول من رسالته إلى أفسس (أف ١ : ١ – ١٤).

عندئذ سنكتشف حقيقة كوننا في المسيح. حائزين على كل المجد والنعيم والبهاء، تلك الأمور التي يعجز عن إدراكها من يظن في نفسه أنه قد صار شيئاً وهو بعيد عن الله وحكمته وبساطة الإيمان به.

بعد ذلك يذكرهم بولس الرسول بعظماء اليهود والرومان الذين ظنوا في أنفسهم القوة والحكمة والجبروت وتجاسروا وصلبوا السيد.. يقول عنهم أنه لو أدركوا عظمة هذا السر المخفي.. وفي حقيقته معلن لليهود في كتب آبائهم.. لو أدركوا ذلك لما صلبوه.. وجلبوا على أنفسهم وعلى أولادهم دم ابن الله.

«.. دمه علينا وعلى أولادنا..» (متى ٢٧ : ٢٥)

وهنا يعود أيضاً لموضوع الصليب.. إصراراً منه على تقرير هذه الحقيقة.. ان الصليب صار هو الطريق الوحيد للملكوت.. والمعبر الوحيد للأمجاد السماوية.. وأنه الحقيقة الكبرى التي تصطدم بها عقول عظماء هذا الدهر ومع هذا هو مدخلهم للمجد ان أرادوا وتخلوا عن حكمتهم أو بالحري جهلهم. هذه الأمجاد التي لم يعرفوها هم.. وعرفناها نحن وهى :

[٩] **«.. كما هو مكتوب ما لم تره عين ولم تسمع أذن ولم يخطر عل بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه»**

على وجه الدقة لا نعرف من أين اقتبس بولس الرسول هذه الجملة بحرفيتها، إنما ربما يكون قد كونها من الآيات التالية: **«.. ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا لم تر عين إلهاً غيرك يصنع لمن ينتظره»** (اش ٦٤ : ٤)

وأيضاً **«.. لأني هانذا صانع سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال..»** (اش ٦٥ : ١٧)

عموماً.. هذه هى طبيعة الحياة في السماء.. وقد لخصها ربنا يسوع المسيح في صلاته للآب.

«.. هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧ : ٣)

حيث نلبس عدم الفساد وعدم الموت.. ندرك بنوع ما.. أننا في حضرة الله الغير محدود.. الذي لم تره عين.. ولكننا حتماً سنشعر بوجوده وبمجده الموهوب لنا. وما سبق وأعده ورتبه لمن يحبونه..

ويحفظوا وصاياه:

«.. من يحبني يحفظ وصاياي – ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي» (يو ١٤ : ١٥)

ذلك لأن حفظ الوصايا من أهم دلائل محبة الإنسان لله.. وثبات الإنسان في هذا الحب..

ثالثاً : الروح القدس روح الحكمة والاعلان : (١٠- ١٣)

كل هذا المجد والنعيم أعلنه لنا الله بروحه.

[١٠] **«... فأعلنه لنا الله نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله»**

بمعنى أن كل حياتنا هى عمل للروح القدس في قلوبنا.. فهو المعزي الماكث معنا.. الذي يعلمنا ويرشدنا ويقودنا.. ويبكتنا إن أخطأنا رغبةً منه في إثارة نفوسنا ***للتوبة والنقاوة*** وبالتالي ***معاينة*** الله.

«.. طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (مت ٥ : ٨)

والروح القدس أخذناه في سر الميرون.. سر التثبيت، حتى يجدد فينا بإستمرار انسان المعمودية الجديد.. ويحافظ على هذه الخلقة الجديدة.. والحياة الطاهرة الجديدة. في اختصار يحافظ على صورة السيد المسيح الذي لبسناه في المعمودية.

«.. كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح» (غلا ٣ : ٢٧)

فالروح القدس والحال هذه يضع فينا باستمرار الاشتياق لهذه الحياة الممجدة، يعلنها لنا حتى نشتهيها.. يرينا مذاقه ملكوت السماوات هنا حتى نستحث الخطى سعياً للسماء.. وترك أرض الشقاء والألم.. لذلك سُمىً سكنى الروح فينا بعربون الملكوت (انظر ٢ كو ١ : ٢٢).

هذا طبعاً بسبب كونه روح الله القدوس.. الواحد مع الآب والابن في الجوهر.. وبالتالي القادر أن يفحص أعماق الله.. أي يعطينا بلا مجهود كل ما نريده من الآب.. وإذا قلنا أن ما نريده هو حياة السيد المسيح فينا.. أو حياتنا في المسيح فهذا هو عين ما قاله رب المجد عن الروح القدس.

«.. أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع به – أعماق الله – **يتكلم به ويخبركم بأمور آتية** – يعلن لنا سر حكمة الله المكتوم منذ الدهور – **ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»** (يو ١٦ : ١٣، ١٤)

بعد ذلك لا يغفل بولس الرسول أنه يكلم أرباب الفلسفات والحكمة، فيورد لهم قرينة يثبت بها إضطلاع روح الله القدوس بكل ما يختص بالحياة في الروح مع الله فيقول لهم:

[١١] «.. لأن مَن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه هكذا أيضاً أمور الله لا يَعرفها أحد إلا روح الله»

فإن كنتم وأنتم جسديون – بروحكم الإنسانية المحدودة – تستطيعون أن تميزوا تماماً الأمور الحادثة منكم ولكم بسهولة وبساطة، فكم وكم يستطيع روح الله أن يميز ويعرف ويرشد ويعلم الأمور التي تختص بالله؟!

وبالتالي يبطل تماماً اعتماد الإنسان على ذاته من جهة علمه أو حكمته أو قدرته الذاتية، في أن يعرف الله ويقترب إليه.. وفي نفس الوقت يتأكد للإنسان أن الوحيد المسئول عن العمل الروحي في حياتنا هو الله ذاته من قبيل سكنى روحه القدوس فينا بالمعمودية والميرون لذلك قال:

[١٢] «.. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله – روح الله – لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله»

فكل ما يستطيع العالم تقديمه لنا – روح العالم – هو الاعتماد على الذات البشرية والاعتداد بها.. وبالثقافات والإختراعات والحكمة البشرية التي كثيراً ما أبعدت الكثيرين عن معرفة الإله الحقيقي ولكن بما أن الأشياء التي سبق الله ووهبها لنا هى عطايا إلهية.. لذلك لن نستطيع اكتشاف وقبول كل هذه الهبات إلا وقد أخذنا داخلنا الروح الذي من الله – الروح القدس، ذلك لأنه وحده القادر أن يفحص أعماق الله – لأنه روحه – وبالتالي هو وحده القادر على جعلنا ندرك أبعاد محبة وعطايا الله لنا.

[١٣] «.. التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات»

فنفس هذه الأشياء التي وُهبَت لنا من قبل الله.. هى التي نفتخر بها.. ونُعلِّم بها ولكن طالما هى روحيات.. وهبات سماوية فالأمر متروك لا لحكمتنا البشرية بل لما يضعه الروح القدس نفسه في أفواهنا.. وما يعمله هو عن طريقنا – قارنين الروحيات بالروحيات .. ذلك لأن الجسديات لا يمكنها أبداً أن تفتح الإنسان على ما يختص بالروح.. ذلك لكثافة الجسد..

رابعاً : الإنسان الطبيعي والإنسان الروحي : (١٤- ١٦)

[١٤] «..ولكن الإنسان الطبيعي - الجسدي - لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة. ولا يمكنه أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً»

فالجسد - بعيداً عن الروح والذهن - لا يستطيع أن يستقبل هبات الله هذه كما قلنا لكثافته[١]. وأيضاً لأن إهتمام الجسد بعيد تمام البعد عن اهتمام الروح. كما قال معلمنا بولس:

«.. لأن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فيما للروح. لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام. لأن اهتمام الجسد هو عداوة الله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع - لأن الوصية يجب أن تطاع أولاً في الفكر والإرادة والعاطفة - الأمور التي يحركها ذهن الإنسان المقود بالروح القدس والمستقبل داخل كيان الإنسان كل ما هو إلهي - **فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله..»** (رو ٨: ٥- ٨)

ذلك وكلمة جهالة المذكورة هنا (١كو ٢: ١٤) ليس معناها التصديق والإيمان كما جاء في الأصحاح الأول.. ولكن معناها الجهل وعدم الإدراك لكل ما يعمله الروح القدس.. وهذا ما نراه في كثير من الأحيان عن أناس قرأوا في الكتاب المقدس وقاموا بممارسات روحية عديدة.. من أصوام وجهادات.. ولكن تجدهم يشكون للآن أنهم لم يصلوا لمعرفة الله.. ولم يدركوا الكنز الروحي الثمين الذي زرع فيهم. وذلك لأنهم انحصروا في مفهوم الجسد.. والجسديات.. فلم يستطيعوا أن يروا ما وراء غلاف المادة هذا من مجد.. وبركات سماوية دبرها الله لنا.. علينا أولاً إزاءها قبولها بالروح.. والحكم فيها بالروح القدس الساكن فينا..

[١٥] «.. وأما الروحي فيحكم في كل شئ وهو لا يُحكَم فيه من أحد»

هذا بالطبع ناتج من أن كل ما هو روحي فهو مقود بروح الله.. أو قل له إمكانيات تجعله قادراً على الحكم في كل شئ بما يناسب روح الله، وذلك بجعل الوصية الإلهية وكلمات الروح القدس - سواء في الكتاب المقدس أو في أي وسيلة من الوسائل الروحية - جعلها المقياس الإلهي

---

(١) المعنى في الانجليزية ليس فقط يقبل بل يستقبل (T.E.V.) "Can not receive" وهذا المعنى يكرس مفهوم أن الذهن - وهو وسيلة إدراك النفس لأمور الروح - متى اظلم لا يستطيع توصيل أمور الروح - أمور الله للجسد. هذا والذهن يظلم هكذا متى جُذِبَت النفس إلى الأمور الجسدية.

للسلوك. وهذا هو عين ما قاله لنا رب المجد عن الروح القدس:

«.. أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم – كل ما هو من الجسد – **أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه** – لأن عنده جهالة – **أما أنتم** – المولودين من الروح القدس – **فتعرفونه** – صرتم مدربين على ذلك – **لأنه ماكث معكم ويكون فيكم** – بالمعمودية والميرون» (يو ١٤: ١٦، ١٧)

«.. أما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شئ – كل ما يختص بالروح والجسد الذي تقدس نتيجة سكناه فيكم – **ويذكركم بكل ما قلته لكم»** (يو ١٤: ٢٦)

أما عن ما هو **لروح الله القدوس** فلا أحد يستطيع أن يحكم فيه – لا يُحكَم فيه من أحد، لأنه روح الله. وكل من يحاول أن يخضع الله وأعماله لفكر الجسد.. سيرجع خائباً صفر اليدين. وهناك أدلة كثيرة على ذلك في الكتاب المقدس منها:

«.. من قاس روح الرب ومن مشيره يعلَمه» (أش ٤٠: ١٢– ١٧)

«.. لأنه من وقف في مجلس الرب ورأى وسمع كلمته من أصغى للكلمة وسمع» (أر ٢٣: ١٨)

ومعلمنا بولس نفسه يقتبس الآية في أش ٤٠: ١٣ ليدلل على كلامه فيقول:

[١٦] **«.. لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه»**

وهو بذلك يضع الجميع في اختبار صعب.. بهذا التصريح الخطير.. من له فكر الرب.. عليه أن يعلَمه للآخرين.. من استطاع أن يصل ويدخل داخل عقل الله.. ويجلس في حضرته.. ويسمع منه فماً لأذن.. ليعلمنا ما هو يختص بالله والروح والروحيات.. الإجابة طبعاً أن لن يستطيع كل من هو من الجسد أن يفعل هذا.. لذلك أستطرد يقول:

[١٦] **«أما نحن فلنا فكر المسيح »**

فالله في محبته.. لما رآنا لا نستطيع أن نقترب إليه بسبب نجاساتنا.. وآثامنا.. تنازل هو بالتدبير.. كيما يخلصنا.. ويضع فينا كل ما للمسيح .. ليس فقط فكر المسيح بل عقل المسيح كما جاءت الترجمة الإنجليزية.

"But we have the mind of Christ" (N.I.V.)

وهذا ليس بكثير علينا كبشر بسبب محبة الله لنا.. وليس بكثير على الله كإله لأنه وكونه إلهاً قادراً على كل شئ.. وفي جسارة هذه الثقة – من جهة الله – يجاهر بولس الرسول ويقول:

«.. لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح » (غلا ٣ : ٢٧)

ليس فقط فكر المسيح.. أو حتى عقل المسيح – بل المسيح ذاته بالمعمودية بمعنى أن كل من ولد من الله .. قادر ان هو أطاع .. وأعطى للمسيح الذي فيه .. أن يعمل به .. ويتكلم على لسانه. نقول قادر أن يعلم فكر الرب. كما قال بولس أيضاً لهم في الرسالة الثانية:

«.. إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيّ الذي ليس ضعيفاً لكم بل هو قوي فيكم» (٢كو ١٣ : ٣)

بذلك يكون معلمنا بولس الرسول قد قضى تماماً على الفكرة التي تقول أن الإنسان بحكمته وعلمه وثقافته قادر أن يعرف الله، وفي نفس الوقت أثبت لنا أن كل ما يريده الله لنا يوصله إلينا بروحه. وليس علينا إلا أن نطيع صورة التعليم التي تسلمناها ببساطة الإيمان وعمق الإختبار الروحي لحياة التسليم. حينئذ نستطيع أن نكتشف هبات الله .. الكنز المخفي فينا.

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح الثالث ﴾

مقدمة : في هذا الأصحاح يعود الرسول بولس ويتحدث عن الشقاقات والتحزبات الحادثة بينهم، ذلك بسبب خطورة هذا الأمر على تقدمهم الروحي ونموهم في معرفة ربنا يسوع المسيح. ثم يلقي معظم العبء على خدام الله مبيناً أن عمل كل خادم سيمحص أمام الله حتى يستثير حماسهم ويستثمره لبنيان المؤمنين. هذا ويمكن تقسيم الأصحاح على النحو التالي:

١- السلوك الروحي والسلوك الجسدي (١-٤)
٢- حقيقة الخدمة (٥- ٩)
٣- مكافأة الخدمة (١٠ - ١٥)
٤- هيكل الروح القدس (١٦- ١٧)
٥- الفطام من الخدام للإرتباط بالمسيح (١٨- ٢٣)

أولاً : السلوك الروحي والسلوك الجسدي : (١- ٤)

[١، ٢] «... وأنا أيها الأخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال في المسيح. سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون»

وهذا هو الإنسان في بدء علاقته بالله.. طفلاً في المسيح.. لا يملك بعد الحواس المدربة على التمييز بين الخير والشر.. تلك الحواس التي يمتلكها الإنسان البالغ روحياً كثمرة لجهاده الروحي مع الله. وهذا هو نفس الكلام الذي كلم به العبرانيين:

«.. صرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البر لأنه طفل. أما الطعام القوي فاللبالغين الذين بسبب التمرن صارت لهم الحواس

مدربة على التمييز بين الخير والشر» (عب ٥ : ١٢ – ١٤)

وهنا استعار بولس الرسول هذا التشبيه.. ذلك لأن الطفل جسدياً لا يمكننا السماح له بأكل اللحم مثلاً وإلا أضعنا حياته بسبب ثقل الطعام الذي نعطيه إياه. يتساوى في هذا تماماً الإنسان الجائع عموماً، إذا أجلسناه أمام مائدة مليئة بكل أصناف الطعام من لحوم وخضروات وفاكهة وخبز وتركناه يأكل: حتماً ستمتلئ بطنه بسبب جوعه الشديد.. ولكنه سيكتشف في النهاية أنه متخم متعب يحتاج إلى طبيب لأنه لم يعتدل في أكله.. وترك نفسه تقوده غريزة الجوع والشبع يأكل ما يشاء بلا خبرة في خطورة هذا الأمر.. فبات يطلب الطبيب.

هكذا الإنسان البعيد عن الله.. لا يمكننا أبداً لمحاولة تقريبه إلى الله وربطه بالكنيسة أن نعطيه مثل هذه الوجبات الدسمة في الروحيات.. نقصد بها الاجتماعات الكثيرة المتنوعة وأنواع النشاطات الكثيرة.. ومحاولة إقحامه في الخدمة بداعي احاطته بوسط روحي يقلعه من عاداته وممارساته الخاطئة. هذا الهدف وإن كان صحيحاً في ذاته.. لكنه يجب أن يكون تطبيقه بهدوء وتدريج وحكمة تجنب هذا الإنسان مضرة عسر هضم هذه الوجبات، لأننا ان تركناه هكذا.. سيشعر بشبع وقتي.. ونمو روحي زائف لا يلبث أن تدب فيه الشيخوخة مبكراً لأنه بلا رصيدٍ من جهادٍ معتدل وصلوات وممارسات هادئة ليست عنيفة من شأنها أن تقود الإنسان خطوة بخطوة في طريق القداسة. تماماً مثل طفل يعلمه أبوه العوم.. أو كما يعلم النسر فراخه الطيران والإعتماد على نفوسهم.. كل شئ يجب أن يأخذ وقته وفرصته في النمو والتقدم.

وحينما يصير للإنسان هذه الحواس المدربة بنعمة الروح القدس على التمييز بين الخير والشر – بين الطعام الجيد والطعام الردئ – بين النور والظلمة .. نستطيع أن نقول عن هذا الإنسان أنه بدأ يبلغ قامة روحية يستطيع معها تحمل الطعام القوي.. نكلمه في الروحيات العالية.. ونسند إليه بعض الخدمات. ونحن مطمئنين على سلامته وسلامة الخدمة أيضاً. لذلك قال بولس الرسول:

«.. لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن وكطفل كنت أفتكر ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل» (١كو ١٣ : ١١)

هذا الكلام قاله لهم عن بدء كرازته عندهم وتقديم اللبن لا الطعام الكامل ثم نجده يستطرد ويقول أنهم حتى الآن أيضاً هم لا يستطيعون أن يحتملوا ما يقدم لهم من طعام روحي قوي بسبب كونهم جسديون. أي يسلكون بحسب متطلبات ودوافع الجسد إذ يقول:

[٣، ٤] **«.. لأنكم بعد جسديون فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين**

وتسلكون بحسب البشر لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلوس أفلستم جسديين»

الحسد والخصام والإنشقاقات إلى آخر سلوكيات الجسد التي تقودها شهواته من إنتقام وعدم إحتمال وأنانية وجهل، إن دلت على شئ فهي توضح أن الإنسان لم يبلغ بعد الثقافة الروحية التي ترضي الله.. وتكمل عشرته معه. ذلك لأن هذه الصفات تناسب أهل العالم، أما أولاد الله فهم ليسوا من هذا العالم تجد بينهم الروح الواحد والفكر الواحد والقلب الواحد.

تأمل قوله لهم «**بحسب البشر**».. وكأن من يبتعد عن الخصام والحسد والإنشقاقات ليس من البشر.. وهذه هى حقيقة.. حصلنا عليها في المعمودية حينما ولدنا ثانية من الله.

«.. المولود من الجسد جسد هو. والمولود من الروح روح هو» (يو ٣ : ٦)

ونصل إليها حينما نسلك كروحيين .. معطين الفرصة للروح القدس الماكث فينا أن يحافظ على تجديد الطبيعة هذا الذي أخذناه في المعمودية.

ثانياً : حقيقة الخدمة : (٥ - ٩)

بعد ذلك يتحدث إليهم عن حقيقة العمل في الكرازة والخدمة ودور الخدام في ذلك فيقول لهم:

[٥] **«... فمن هو بولس ومن هو أبولس. بل خادمان آمنتم بواسطتهما وكما أعطى الرب لكل واحد..»**

ذلك في أسلوب إستنكاري يكاد يسلبهما كل كرامة. فهما خادمان آمنتم بواسطة كلامهما. ثم يستطرد مباشرة ويقول أنهما لم يعطيانكم شيئاً من عندهما بل تكلما بما وضعه الرب في فميهما حسب الموهبة التي حباهما الله بها.. فأي فضل لبولس في الخدمة حتى تتعلقوا به.. وأي امتياز لأبلوس حتى تذهبوا وراءه وتتركوا المسيح.. أساس كل عمل حجر الزاوية في كل بنيان.

وكما أعطى الرب لكل واحد من مواهب في الخدمة سيشرحه لهم بالتفصيل في الأصحاح الثاني عشر عند الحديث عن مواهب الروح القدس. ولكنا نكتفي بذكر الشاهد:

«.. فإنه لواحد يعطي بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد والآخر إيمان بالروح الواحد ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر

تمييز أرواح ولآخر أنواع ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء » (١كو ١٢: ٨- ١٢)

فالخادم لا ينظر أبداً لذاته.. كأنه من ذاته يتكلم ويعلم ومن ثقافاته ومواهبه الجسدية يقود.. بل لننظر إلى معطي هذه النعم والمواهب ونعمل بها كخدمٍ في كرمه الذي لا نستحق حتى مجرد أن يدعى علينا اسمه الحسن.

بعد ذلك إمعاناً في أن ينكر على نفسه تماماً أمامهم وعلى أبلوس فضل أي خدمة يقول لهم:

[٦- ٩] «.. أنا غرست وأبلوس سقى ولكن الله كان ينمي إذاً ليس الغارس شئ ولا الساقي شئ بل الله الذي ينمي. والغارس والساقي هما واحد ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه»

أنا كلمتكم عن المسيح وألقيت فيكم - قلوبكم - كلمة الكرازة والإيمان. وتركتكم وذهبت لحقل جديد أكرز فيه باسم المسيح، ثم جاء بعدي أبلوس يروي بذرة الإيمان هذه بفصاحته واقتداره أيضاً حسب الموهبة المعطاه له من قبل الله. ولكن إيمانكم الحي بالله سببه ليس في غرس بولس في ذاته أو سقي أبلوس، لأنه ما المنفعة في كل تعبهما.. إن كان الله لم يعط لكلماتهما الحياة؟ والنماء من شخصه لأنه هو رب الحياة ذاتها..!!

« .. أنا هو الطريق والحق والحياة » (يو ١٤: ٦)

فدعونا إذن من الحديث عمن يغرس ومن يسقي.. لأن المهم من سيعطي الحياة للبذرة ومن سيتعهدها بإستمرار بكل مقومات الحياة كما تعطى الثمر المرجو للحياة الأبدية.

لنلاحظ أن بولس هنا يخاطب أناساً قال عنهم أنهم جسديون، ولكن في حقيقة الأمر .. عندما تكلم أناس روحيين سوف لا نذكر تفصيل لعمل الله هكذا كما ذكر .. غرس .. سقى.. والله ينمي.. بل سوف نقول: أن الله بشخصه المبارك هو الذي يغرس ويسقي وينمي ويفعل كل شئ.. وذلك من كلمات الرب نفسه في مثل الزارع:

« خرج الزارع ليزرع.. سقط البعض على الطريق..... » (أنظر مت ١٣، مر ٤، لو ٨)

فالزارع هو ابن الإنسان - الرب يسوع نفسه - والبذار التي هى كلمات الخلاص تسقط من ذاتها أي أن الوصية حية في ذاتها تسقط أيضاً بإرادتها على كل أنواع قلوب البشر ومنها من يستجيب ومنها من يرفض حسب صلاحية التربة ومدى استعداد القلب.

ما هو عمل الخدام إذن؟ .. قل مساعدين في الكرم ولكن يفعلون فقط إرادة صاحب الكرم، قل فعالون لا يملكون من ذواتهم شئ.. يعملون فقط ما يثقلهم به سيدهم.. أو قل أنهم يتفانون في محبته لثقتهم فيه ويعملون أقصى طاقاتهم ولهم في أنفسهم شعور الإتضاع وإنكار الذات.

«.. لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا » (٢كو ٤ : ٧)

وطالما كان الله هو الذي ينمي، ليستد كل فم ولا ينطق بشئ. الله هو القائم بالعمل فما دورك أيها الإنسان؟ مهما تعددت وظائفنا كخدام فنحن واحد بمعنى إننا لا نقدم شئ من ذواتنا - أي عملنا واحد - عبيد مطيعون. ولكن الله في محبته سيعطي كل واحد فينا أجرته بحسب تعبه.. وتعبه هذا هو مقدار أمانته في توصيل كلام الله للناس وإتجاره في الوزنة التي سبق الله وأعطاها له ليتجر بها.

[٩] «.. فإننا نحن عاملان مع الله. وأنتم فلاحه الله بناء الله »

ما أجمل هذا التعبير أن نكون عاملين مع الله.. ما أعظمها كرامة أن يعمل الإنسان ليس فقط عند الله كصاحب للعمل، بل مع الله.. في رفقته.. أي تنازل من الله ذاك الذي يجعله يقبلنا في ضعفنا وحقارتنا ويدعونا أن نعمل معه؟ وأي كرامة لنا نحن المزدرى وغير الموجود أن يختارنا الله -كخدام - عبيد بطالون ويعطينا الفرصة أن نكون في معية دائمة معه؟

هذه الكرامة منشأها تنازل السيد المسيح كلمة الله الوحيد الجنس ليشترك معنا في هذا اللحم والدم كواحد منا ما خلا الخطية وحدها.. وبترفق للجنس البشري كله أعطانا الدالة أن نكون اخوة له بالنعمة وأبناء الله بالتبني كما قيل:

«.. لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده - صاحب الكرم - **لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي »** (يو ١٥ : ١٥)

أي مجد وكرامة أن يعلمني ابن الله بكل ما سمعه من أبيه؟! وأيضاً في كلام الرب بعد قيامته للمجدلية:

«.. اذهبي وقولي لأخوتي أن يذهبوا إلى الجليل هناك يرونني » (مت ٢٨ : ١٠)

أنظر أيضاً:

«.. إذاً لست بعد عبداً بل إبناً وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح » (غلا ٤ : ٧)

ومجال عمل الله.. وحقل كرازته هو أنتم.. فلاحة الله وبناء الله بمعنى أنكم محور إهتمام

الله ومركز عمله، لأجلكم خصيصاً جاء ابن الله بالجسد كيما يعطيكم معرفة الحياة الأبدية بالخلاص بدمه.

هذا ويوضح بولس الرسول مفهوم أننا فلاحة الله وتعب الله فينا كأرض حينما يقول:

«.. لأن أرضاً قد شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة – كلمات النعمة وعمل روح الله كفعل سماوي يمطر – يظل الله يقرع على تلك الأرض حتى تفتح قلبها وتعطي استجابة وثمر – وأنتجت عشباً صالحاً للذين فلحت من أجلهم تنال بركة من الله» (عب ٦ : ٧)

صحيح أن المقصود هنا الخدام الذين أعدهم الرب للخدمة.. ولكن لا يفرق عن المخدوم بكونه أرضاً أعدها الله لعمل ما. وقديماً قال الرب على لسان نبيه أرميا:

«.. يا أرض يا أرض يا أرض اسمعي كلمة الرب» (أر ٢٢ : ٢٩)

وليس أدل على هذا المفهوم أكثر من مثل الزارع.. والكرم والكرامين ومثل الحنطة والزوان (راجع متى ١٣).

هذا وموضوع الأرض موضوع قديم قدم الخليقة، إذ قال الكتاب:

«كانت الأرض خربة وخاوية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه» (تك ١ : ٢)

هي حالة كل قلب لم يعرف الله – خراب وخواء وظلمة، ولكن روح الله مصدر كل حياة يجهز هذا القلب حتى يصير إليه كلمة الله (الرب يسوع) خالق كل الأشياء.

أما تعبير بناء الله .. فيعتبر مقدمة في منتهى الذكاء الروحي الذي تميز به معلمنا بولس الرسول. فهو يمهد هنا للحديث عن الكنيسة كجسد سري للمسيح بصفة عامة، وعن كل فرد فينا كهيكل لروح الله القدوس كما سيجئ. وهو لا يغفل أبداً هذه الحقيقة في معظم رسائله لأن هذا هو حجر الزاوية في إيماننا – أي اننا بناء الله – هيكله .. والسيد المسيح نفسه رأس الزاوية..

«.. مبنيين على أساس الرسل والأنبياء – ما سبقوا وعلموكم إياه – ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية – أهم حجر في البناء – الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح» (٣ ف ٢ : ٢٠– ٢٢)

ثالثاً : مكافأة الخدمة : (١٠- ١٥)

[١٠] «... حسب نعمة الله المعطاه لي كبنّاء حكيم قد وضعت أساساً وآخر يبني عليه ولكن فلينظر كل واحد كيف يبني عليه »

رغم تحذير بولس الرسول لنا من استخدام الحكمة الإنسانية والثقافة الجسدية. نجده هنا يجاهر بأن يصف نفسه أنه بناء حكيم قادر أن يضع أساساً مؤسساً يصلح بأن يبني فوقه من يأتون بعده من خدام، هذا طبعاً قاله إعتماداً على نعمة الله التي تسند الخدام وتعطيهم الحكمة في التصرف «.. حسب نعمة الله المعطاه لي »

ولنلاحظ أن النعمة لم تعط له كبناء حكيم – بل أنه أصبح بناء حكيم بعد عمل النعمة فيه وإلا تكون النعمة عن إستحقاق الإنسان وحالته وبالتالي لا تصبح نعمة بل أجراً – وحرف (ك) هنا لا يصف حالة بولس قبل النعمة .. بل حالته وهو يضع الأساس «.. كبناء حكيم قد وضعت » بعد حصوله على النعمة والقوة من الله.

«.. أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين » (رو ٤ : ٤)

ثم يعود ويعلمنا أنه رغم أهمية الأساس الراسخ إلا أنه كبناء كامل يتأثر بمن يبني فوق هذا الأساس وبنوعية ما يبنيه. ذلك لكي يبين – دفاعاً ضمنياً عن نفسه – أهمية الجهاد والحرص من الإنسان أو الخدام حتى يقام البناء قوياً ولا يعود الإنسان لأركان العالم الضعيفة رغم حصوله على قوة التغيير في حياته. مثلما فعل ديماس الذي تركه إذ أحب العالم الحاضر، لأن كثيرين بدأوا بالروح – كأساس – وكملوا بالجسد (كبناء) فلم يثبتوا.

فهنا يخاطب الخدام – إحترزوا في بناء مخدوميكم أن تبعدوهم عن طريق خلاصهم، استمروا في البناء بحكمة إلهية وبأمانة تليق وتناسب قوة الأساس الموضوع.

وفي هذا أيضاً يقول لنا معلمنا بطرس الرسول:

«.. ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة. إن كان أحد يتكلم فكأقوال الله. وإن كان أحد يخدم فكأنه من قوة يمنحها الله لكي يتمجد الله في كل شئ بيسوع المسيح » (١بط ٤ : ١٠، ١١)

ونلاحظ أن لفظة (ك، كأنه) لا تفيد التشبيه بل تفيد أهمية أن تتطابق خدمة الإنسان مع أقوال الله والقوة التي يعطيها الله. وإذا أطاع الإنسان عمل الله داخله يتمجد بذلك يسوع المسيح أو الله بيسوع المسيح بكونه كلمة الله.. وقوة الله بكونه ابن الله. وسنرى الآن أن ربنا يسوع المسيح

هو الكل في الكل – وأساس كل عمل – في حقل الله ذلك لأنه:

[١١] «.. لا يستطيع أحد أن يضع أساساً غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح »

لا يستطيع أي خادم أن يضع من ذاته أساساً لعمل روحي ما، غير الذي وضعه الله أي يسوع المسيح. فيسوع المسيح ابن الله الوحيد هو الذي كرسه الله (الآب) وخصصه لعمل الخلاص والفداء لعلمه أنه لا عودة لنا إليه إلا من خلال ابنه..

«.. إن قال الهه لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذي قدسه[1] – خصصه، كرسه – الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له أنك تجدف لأني قلت أني ابن الله » (يو ١٠ : ٣٥، ٣٦)

ذلك لأن ربنا يسوع المسيح هو صخرة الدهور التي تثبت عليها إيماننا كشهادته هو عن نفسه:

«... أنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦ : ١٨)

بالطبع لا يقصد بالصخرة بطرس كما يدعي البعض بل يقصد صخرة الإيمان القوي الذي نطقه بطرس:

«... أنت هو المسيح ابن الله الحي » (مت ١٦ : ١٦)

«.. مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء ينمو مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً للرب » (أف ٢ : ٢٠، ٢٢)

هذا ويوضح إشعياء النبي بروح النبوة ما سيفعله الله من تدبير لخلاص البشر فيقول:

«.. لذلك هكذا يقول السيد الرب هأنذا أؤسس في صهيون حجراً. حجر إمتحان. حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً. من آمن لا يهرب.» (إش ٢٨ : ١٦)

وصهيون هى الكنيسة وهى نفس كل واحد فينا كهيكل لله يحل فيه الروح القدس. والسيد المسيح هو ذاك الحجر الكريم – حجر الزاوية – أهم حجر في البناء. وسمى حجر امتحان أو عثرة أو صخرة عثرة كما جاء في إش ٨ : ١٤ بسبب عثرة اليهود فيه عند دخوله إلى عالمنا:

---

(١) اللفظ قدّس من العبرية « قَدَشَ » وتعني خصص أو كرس.

«.. قدسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم ويكون مقدساً وحجر صدمه وصخرة عثرة لبني إسرائيل وفخاً وشركاً لسكان أورشليم فيعثر بها كثيرون ويسقطون فينكسرون ويعلقون فيلفظون.» (إش ٨: ١٣- ١٥)

وقوله في (إش ٢٨: ١٢) **«.. من آمن لا يهرب.»** يعني أنه من وثق فيه عليه أن يصبر حتى لو تألم ولا يهرب بسبب أي عثرة ظاهرية تبدو في علاقته بالله لأنها ستكون موجهة نحو هدف سام هو إبادة أهواء الإنسان وتنقية ذاته كي يصبح الصخرة هو أساس البنيان في العهد الجديد (ربنا يسوع).

واضح الآن أنه لا يقدر بشرٌ مهما كان علمه وثقافته أن يجعل من نفسه أساساً لعمل الله. ذلك لخطورة هذه المجازفة وبذا يصبح الله هو الكل في الكل. يضع بذاته أساس الهيكل ويعطي نعمة من ذاته أن يكمل خدامه العاملون معه بنيان هذا الهيكل، ويتابعهم ويحضر بإستمرار أعمالهم إلى الفحص والمراقبة حتى يتقوم طريقهم بإستمرار ويقود شعبه لنفسه بلا لوم ولا ضعف. ولا يسكت عن أن يؤدب خدامه.. ويمحصهم تمحيص الفضة والذهب حتى لا يعملون إلا إرادته نحو أولاده التي هي خلاصهم ، لذلك قال بولس الرسول:

[١٢- ١٣] «.. ولكن إن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهباً. فضة. حجارة كريمة. خشباً عشباً قشاً. فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه. لأنه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو».

لا يستطيع الخادم أن يخفي عمله عن أعين الله الساهرة ليلاً نهاراً يرقب الكون كله. حتى لو استطاع أن يخدع نفسه والآخرين بظهوره بمظهر خدام الله الأتقياء. سيأتي اليوم الذي نقف فيه جميعاً أمام الله ونقدم فيه حساب وكالاتنا التي أوكلها إلينا الله.

«.. لا تحكموا بشئ قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله». (١كو ٤: ٥)

ونلاحظ أن بولس الرسول قد قسم نوعية البناء إلى قسمين احدهما لا تقو عليه النار بل تزيده صقلاً ونقاوة.. **« - ذهبصا. فضة. حجارة كريمة»**. والآخر تبيده النار **«خشباً. عشباً. قشاً»**. ذلك لأن نار الله هى التي ستقوم بعمل التنقية والتمحيص هذا. لأن الهنا نار آكلة. وفي هذا يقول ملاخي النبي:

«.. من يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره. لأن مثل نار المحص. ومثل أشنان

القصار فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة. فينقى بني لاوي ويصفيهم كالفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة للبر». (ملا ٣ : ٢ ، ٣)

«.. هوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشاً ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنوب فلا يبقى لهم أصلاً ولا فرعاً». (ملا ٤ : ١)

لاحظ ذكر بني لاوي هنا (ملا ٣ : ٣) لكونهم كانوا خدام الخيمة والهيكل والسبط الذي اختار الرب نصيباً لهم يخدمونه كل أيام حياتهم.

في ذلك اليوم ستظهر نتيجة أعمالنا.. أن أجيزت في النار ولم تحترق سنأخذ أجرة كخدام. ولكن ان كانت زائفة أبادتها النار سنخسر مكافأة الخدمة،و وخلاصنا نفسه سيصعب كما قال بولس:

[١٥] «.. إن بقى عمل أحد قد بناه عليه - على الأساس - سيأخذ أجرة إن احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو فيخلص ولكن كما بنار»

الفضة والذهب والحجارة الكريمة هم المخدومون الذين صاروا بخدمتنا لهم اشداء وأقوياء في الرب لا تهزهم التجارب ولا تطفئ محبتهم للرب نيران الشهوات والاضطهادات. أما الخشب والعشب والقش هم المخدومون الذين بسبب ريائنا في الخدمة وجمعنا الثمر لأنفسنا جعلناهم مثل أوراق شجرة التين المعلونة من الله. لهم صورة التدين والتقرب من الله وفي حقيقة ذواتهم غير مثمرين بالفضائل والسجايا الإلهية بسبب انقلابهم الداخلي للخطية ومحبتهم لها حتى لو صاروا خدام لله. هؤلاء لا يستطيعون الثبات أمام الله عندما يحضر كل أعمالنا للدينونة.

«.. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً وإن كان شراً» (جا ١٢ : ١٤)

لنلاحظ أن الأجرة هنا هى مكافأة الله لخدامه وهى أجر إضافي عن جهادهم الشخصي لخلاص أنفسهم. فمن سيحترق عمله. سيخسر هذا الأجر ولكن هو نفسه سيخلص كما بنار بمعنى أن فرصة خلاصه ضعيفة جداً وجهاده كي يخلص - أثناء حياته على الأرض - صعب جداً لأننا لا نستطيع أن نفصل جهاد الخادم الشخصي عن عمله في الخدمة. بالتالي قليلون هم الذين يستطيعون الخلاص مع كونهم أهملوا في خدمتهم. كخروجهم من النار سيكون خلاصهم!! (كما بنار)!

أما عن مخدوميهم فالله أمين وعادل. سيدين الإنسان عما تعلمه وعرفه عن الرب وليس عما

لا يعلمه وإلا يكون الله ظالم. وقديماً قال الله:

«.. الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم - الخدام - أنتم أكلتم الكرم. سَلْبُ البائس في بيوتكم. ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين يقول السيد الرب». (أش ٣ : ١٤ - ١٦)

أي أن الله سيُحضر أعمال الخدام أولاً إلى الدينونة قبل أعمال المخدومين.

وعن دينونة شعبه يقول:

«.. من أجل أن بنات صهيون يتشامخن..»

عن هذا اليوم قال دانيال النبي:

«.. كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي والفاهمون سيضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (دا ١٢ : ٢، ٣)

الفاهمون هنا هم الخدام الذين بناؤهم كان ذهباً، فضة، حجارة كريمة وأجرتهم أن يضيئوا كضياء السماء.. وكالكواكب إلى أبد الدهور. أما من كان عمله قشاً.. فسيخسر هذه المكافأة ولكن نفسه تخلص *إن كان قد جاهد* في حياته الخاصة ولكن بسبب **صعوبة جهاده** هكذا قيل.. **«.. كما بنار»**.

يمكننا القول أيضاً أن اليوم المقصود في (١كو ٣ : ١٣) هو كل جلسة يجلس فيها الخادم إلى ذاته ويعطي حساباً عما يفعله في خدمته. هذه الخلوة مع النفس تعطي الفرصة للروح القدس - الناري - أن يكشف للخادم عمله. سيشعر بلذة وتعزية وفرح ورجاء في الروح إن كان أعماله ذهباً أو فضة أو حجارة كريمة، أما ان كانت أعماله قابلة للاحتراق فسينفذ كل احساس بالفرح والتعزية في خدمته بسبب زيف هذه الأحاسيس التي يفضحها الروح القدس. ويشعر الإنسان بالخسارة الفادحة التي تنتظره إن هو استمر في خدمته بهذا السلوك، والخادم المطيع هنا عليه أن يجاهد لتقويم خدمته. وبمقدار تمسكه بذاته في الخدمة سيكون جهاده سهلاً أو عنيفاً. إن كان يجمع لنفسه كما قال حزقيال النبي:

«.. رعى الرعاة أنفسهم» (خر ٣٤ : ٨)

وليس للأب **«.. يجمع ثمراً للحياة الأبدية»** (يو ٤ : ٣٦) سيتعب جداً في هذه الجلسة

بسبب تبكيت الروح القدس له. أي أنه باختصار نقول:

يفرح بالرب من كانت أعمال خدمته نقية ونتيجة عمله يرضاها الله. ويفقد عزائه وفرحه من كان في خدمته يعمل لذاته ولا يرضى الله عن أعماله وإن جاهد عليه أن يتوقع صعوبة ذلك كما لو كان يجتاز في النار. ولكن رغم صعوبة هذا الجهاد فإنه سيخلص إن هو أصلح في طرقه.

نقول هذا لئلا يظن أحد أن المقصود بالنار في هذا الجزء نار المطهر التي ينادي بها أخوتنا الكاثوليك[1].

رابعاً : هيكل الروح القدس : (١٦- ١٧)

[١٦، ١٧] «... أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو»

بعد أن بين لنا معلمنا بولس الرسول كيف إننا ـ كمؤمنين ـ فلاحة الله وبناء الله (١كو ٣: ٩). يخبرنا الآن إننا لسنا كذلك فقط بل هذا البناء ليس فقط محور عمل واهتمام الله، بل هو مسكن الله نفسه. فأي أناس يجب أن نكون نحن والحال هذه؟ منذ الخليقة الأولى وشهوة قلب الله أن يرتاح في الإنسان.. يستقر فيه بالحب ويسكن فيه في علاقة النقاوة والطهارة والبر ولكن تاريخ البشرية الطويل أوضح لنا تعب الله ومشقة عمله حتى يوصلنا إلى هذه النعمة – أن يكون فينا.

في هذا الموضوع يرى القديس كيرلس الكبير ـ أباء القرن الخامس ـ أن النفخة التي خرجت من فم الله في خلقة آدم لم تكن فقط مجرد الحياة الطبيعية الخارجة من الله أصل وعلة كل حياة، بل كانت أيضاً روحه القدوس الذي وضعه في الإنسان حتى يستطيع أن يحيا في القداسة والبر. لأنه كمخلوق ترابي ليس له قداسة في ذاته بل كل ما هو طاهر فيه فهو من الله معطي القداسة. وكانت مسرة قلب الله أن يرى الإنسان يحيا في حبه.. وبنقاوته يعاين الله من وقت لآخر أثناء زياراته في الجنة (الفردوس) لأبوينا الأولين.

ولكن حينما سقط الإنسان.. فقد بساطته وطهارته وقداسته.. وبالتالي فقد آدم الروح القدس..

---

(١) أفاض قداسة البابا شنوده الثالث في شرح هذه النقطة في كتابه (لماذا نرفض المطهر؟) يستحسن الرجوع إليه ص ٥١..

لأنه لا يستطيع أن يسكن في خليقة فسدت. وفقدت البشرية أيضاً في آدم هذه النعمة والقوة الموهوبة لها من الله في آدم.

ومنذ ذلك الحين والله يرغب في عودة الإنسان.. لحالته الأولى من القداسة فتعهدنا بأنبيائه القديسين على مر التاريخ القديم.. وفي آخر الأيام ظهر لنا نحن الجالسين في الظلمة وظلال الموت بسبب الخطية ومفارقة روح الله لنا ـ ظهر لنا في ابنه ربنا يسوع المسيح. ذلك حينما رأى أن هذه هى الوسيلة الوحيدة التي بها يمكن للبشرية أن تتقرب إلى الله ثانية.. في ابنه يسوع. وكان هذا تدبير الخلاص الثمين الذي كلف الله بذل ابنه الوحيد على عود الصليب. كيما يعطي للبشرية المائتة بالخطايا والآثام.. يعطها الحياة منه كرب الحياة ذاتها حينما يموت على الصليب.

ولذلك يفسر لنا القديس كيرلس ـ عمود الدين ـ أن النفخة التي نفخها ربنا يسوع المسيح في وجه تلاميذه القديسين عشية أحد القيامة حينما قال:

«.. إقبلوا الروح القدس» (يو ٢٠ : ٢٢)

يقول أن هذه النفخة هى الخليقة الجديدة التي خلقنا الله عليها بعد موته وقيامته.. عَوْدٌ على ما صنعه الله حينما خلق آدم.

«.. نفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية» (تك ٢ : ٧)

فكما أخذ العدم والتراب الحياة من النفخة الأولى في الفردوس هكذا نفخ المسيح نفس الروح القدس في وجوههم ليعطيهم أيضاً الحياة الجديدة. ويهبهم تجديد الطبيعة الذي أعطوه بدورهم لنا من خلال طقس المعمودية وسر حلول الروح القدس في سر الميرون المقدس حتى الآن. وبذلك صارت البشرية محبوبة لله من جديد متوافقة معه في القداسة بعمل المسيح وسكنى الروح القدس فينا وتحقق بذلك قصد الله أن يكون في وسطنا.. يسكن بيننا ونكون له شعباً وهو لنا إلهاً:

«.. أجعل مسكني في وسطكم ولا ترذلكم نفسي وأسير بينكم وأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً» (لا ٢٦ : ١١، ١٢)

وهذا ما أشار إليه الله كثيراً على لسان أنبياء العهد القديم كله.. وكذا في تدبير الله لقيادة شعبه قديماً.. حتى وان تعددت الرموز والوسائل إلا أن مفهوم حلول الله وسط شعبه كان هو المقصود بها في كل مرة..

نراه في حياة نوح البار.. حينما خرج من الفلك يبني مذبحاً ليرفع عليه محرقات لله.. والله يقبلها.. نرى المذبح أيضاً علامة حضور الله في حياة أبينا إبراهيم وإسحق ويعقوب. نرى الحجر

الذي نصبه يعقوب وصب عليه زيتاً – ودشنه كنيسة وقال:

«ما هذا إلا بيت الله وهذا هو باب السماء» (تك ٢٨ : ١٧)

ولذلك سمي المكان ببيت إيل أي بيت الله.!! وكانت هذه الحادثة من أقوى المشجعات في مسيرة أبينا يعقوب في غربته والذي تحول إلى مذبح بعد عودته من الغربة. (انظر تك ٣٥ : ١)

إلى أن أعطى الله لموسى الأمر ببناء خيمة الإجتماع.. التي سماها الكتاب المسكن أو الخباء (شاكيناه) علامة سكنى الله معهم..

«.. وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلهاً» (خر ٢٩ : ٤٥)

وكان هذا ممثلاً في تابوت العهد الموضوع في قدس أقداس الخيمة رمز السماء.

+ بعد ذلك نرى هذا المفهوم يأخذ وضعاً أكثر استقراراً حينما فكر داود النبي في بناء الهيكل.. وقام سليمان ابنه بهذا العمل.. (١مل ٨، ٩) ولكن نسمع في مراسيم تدشين هذا الهيكل ما يؤكد لنا.. أن الله لا يسكن في مصنوعات الأيدي.. اشتياقاً منه لهيكل من نوع آخر:

«.. لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض. هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت» (١مل ٨ : ٢٧)

وهذا هو عين ما سبق وأخبر به الله داود النبي عندما فكر في بناء بيتاً لإسكان التابوت فيه إذ يقول لداود على لسان ناثان النبي:

«.. أأنت تبني لي بيتاً للسكنى لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت إسرائيل إلى هذا اليوم بل سرت من خيمة إلى خيمة ومن مسكن إلى مسكن» (٢صم ٧ : ٥)

وفي (١أى ١٧ : ٤) نجد نفس العبارة وأيضاً في سفر أشعياء يقول:

«.. السماوات كرسيي والأرض موطئ قدمي أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي»

(آش ٦٦ : ١)

ما يريد الله تقريره هو أنه لا يسكن في مصنوعات الأيدي.. أو أن قصده الإلهي هو أن يسكن ويرتاح ويستقر في صنعته هو.. وجبلة يديه.. التي سر أن يخلقها ووجد كل شئ حسن جداً عندما أكمل خلقها.

وبذلك تكون كل اشارات العهد القديم عن سكنى الله وسطنا.. قد اجتمعت معاً لتؤكد هذه الحقيقة.. إنه في ملء الزمان سيردنا الله إليه.. ويسر بنا ثانية ويفرح فينا.. ويعود من جديد ويحيي الجنس الفاسد.. بنفس نفخة القداسة التي وضعها في الخليقة الأولى التي فسدت بالخطية.

لذلك رأينا مصير الهيكل الذي بناه سليمان الملك ينتهي إلى خراب على مراحل متعددة. ذلك بسبب شر الشعب.. وعدم طاعتهم للوصية.. وفي هذا أيضاً كانت إشارة إلى خراب كل ما يحاول الإنسان أن يبنيه ويظن أنه بذلك قد أرضى الله واستحق سكناه فيه ولكن بسلوكه ينكر هذا الظن تماماً مثلما حدث مع سليمان الملك باني الهيكل إذ قال الله له:

«.. هذا البيت الذي أنت بانيه. إن سلكت في فراضي وعملت أحكامي وحفظت كل وصاياي للسلوك بها فإني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به إلى داود أبيك.. وأسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل» (١مل ٦ : ١١)

بعد ذلك رأينا كيف زاغ سليمان نفسه عن عبادة الله.. وكيف سقط الشعب مع توالي ملوك يهوذا وإسرائيل وأتبعوا العبادات الوثنية وأغاظوا الرب فسلمهم للسبي وخرب الهيكل وتم كلام الرب لسليمان لأن لم يسمع هو وبقية المملكة لقول الرب. وقد تم ذلك في سنة ٥٨٧ ق.م. في زمن صدقيا الملك ملك يهوذا. وفي سنة ٥٣٨ ق.م صدر مرسوم كورش الفارسي بالعودة من سبي بابل ـ بعد سقوط بابل في أيدي الفرس ـ وبناء الهيكل فعاد زربابل القائد ومعه خمسون ألفاً من يهود السبي لمحاولة إعادة بناء الهيكل المتهدم في نفس مكانه وتم بناءه بعد وقت طويل حتى سنة ٥١٥ ق.م وكان هذا الهيكل أضخم من هيكل سليمان الذي خرب في السبي ولكن كانت مواده أقل تكلفة. (أنظر أسفار عزرا ونحميا وزكريا).

لم تمض بعد ذلك خمسة قرون حتى سنة ٢٠ ق.م إلا وقد كان هذا الهيكل قد تداعى ودب فيه الخراب من جديد ففكر هيرودس الكبير في ترميمه وسمي بهيكل هيرودس وقد تم إكتمال بناءه في عهد أغريباس الثاني سنة ٦٤م. وهذا الهيكل الأخير هو الذي دخله السيد المسيح وعلّم فيه. ولكن بسبب شر وعصيان الشعب أيضاً وعدم ايمانهم بالمسيح، تم خراب هذا الهيكل أيضاً وأورشليم معه، ذلك على يد تيطس الروماني سنة ٧٠ ميلادية. ذلك تحقيقاً لكلام الرب الذي قال عنه:

«.. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت ٢٤ : ٣٥)

فقد رأى شر الشعب.. ورثى لهم.. وعلمهم.. ولكن دون جدوى فقال لهم مرثاته الخالدة:

«.. يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها. كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا.. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً»
(لو ١٣ : ٣٤، ٣)

أجل.. فلم يعد بيته هو.. بل بيتهم.. لم يعد مسكنه.. بل مغارة لصوص. لم يعد يطيق السكنى فيه والنظر إليه بسبب شرهم.. فتركه لهم خراباً.. ولم تأت سنة ٧٠م. إلا وكان هذا الهيكل أنقاضاً.. لم يبق فيه حجر على حجر.. كقوله له كل مجد:

«.. الحق أقول لكم أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض» (مت ٢٤ : ٢)

ولكن قبل خراب ذلك الهيكل.. وبالتحديد سنة ٣٠م. كان قد تأسس هيكل من نوع آخر.. واكتمل لنا موعد الآب.. وتمت سكناه فينا كما أشتهى هو.. ذلك بحلول الروح القدس.. ونشأة كنيسة العهد الجديد.. ليس كالمسكن الأول.. بل بيتاً روحياً.. حجارة حية.. ناطقة.. والسيد المسيح فيها حجر الزاوية (أنظر أع ١، ٢).

«.. أما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة (سماوي) **وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد** – أسس – **فداءاً أبدياً»** (عب ٩ : ١١، ١٢)

هذا في مقارنة بين خيمة الاجتماع وبالتحديد قدس أقداس الهيكل القديم وبين السماء.. حتى يرينا بولس الرسول تحقيق ما رمزت إليه اشارات المسكن في العهد القديم. هذا عن موضوع الفداء..

أما عن سكنى الرب.. فقد صارت الكنيسة عروسه المجيدة التي اشتراها لنفسه بدمه الغالي.. وصارت له جسداً مقدساً.. سرياً.. وهو رأس لهذا الجسد يسوسه ويقوده ويدبره في رحلة غربتها في هذا العالم.

«.. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد.. لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥ : ٢٣، ٣٠)

هذا على المستوى الجماعي للكنيسة (تى اككلسيا) التي تعني حرفياً اجتماع المؤمنين بعضهم مع بعض وفوق الكل اجتماع الله بهم. كل فرد فينا عضو من أعضاء هذا الجسد وكلنا في خضوع أعضاء الجسد لهيمنة العقل – مدبر وقائد الجسد – نخضع في رضا وفرح لرأسنا الممجد.. رئيس كل الخليقة ورأسها ربنا يسوع المسيح (١ كو ١٢).

ولكن ما تم للكنيسة بصفة عامة في حلول الروح القدس يوم الخمسين تم لكل فرد فينا على مستواه الشخصي في سر الميرون المقدس لأنه في المعمودية نخلع الإنسان العتيق – الفاسد – بموتنا ودفننا مع المسيح وقيامتنا معه خليقة جديدة وبنفخة الكاهن في سر الميرون:

«.. باسم ربنا يسوع المسيح اقبل الروح القدس»

نصير هيكلاً خصوصياً للآب يحل فينا بروحه القدوس استمراراً للنفخة المقدسة التي خرجت من فم ربنا يسوع المسيح لتلاميذه في العلية عشية أحد القيامة وتوالت إلينا بوضع اليد أو النفخة إذ بواسطتها يحل الروح القدس.

وبذا يكون بولس الرسول قد أوضح لنا بأكثر تدقيق ما معنى كوننا بناء الله (١كو ٣: ٩) فنحن بيته الخاص.. شعبه وخاصته كما قال أيضاً في (عب ٣: ٦)

«.. أما المسيح فكإبن على بيته وبيته نحن»

قيل هذا في مقارنة بين أمانة موسى النبي في قيادة بني إسرائيل – بيته وشعبه – وبين ربنا يسوع المسيح. وفيها أيضاً إشارة ضمنية لضمان وإستمرار عمل الله معنا إذ يقول:

«.. كل بيت يبنيه انسان ما ولكن باني الكل هو الله وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم – وليس كصاحب بيت – **شهادة للعتيد أن يُتكلم به** – ربنا يسوع المسيح»
(عب ٣: ٤، ٥)

وهذا لا يمكن أن يتأتى إلا إذا سكن فينا الله بروحه القدوس من جهة علاقته بالآب فهو ابنه. ومن جهتنا نحن فنحن هيكله وبيته الخاص ليس مثل موسى الخادم.. أو بني إسرائيل المنتسبين جسدياً إلى موسى بعيدين عن علاقة البنوة الحادثة لنا بنعمة التبني في العهد الجديد.

الآن وقد قرر لنا بولس الطوباوي.. كوننا هيكل لله.. وروحه القدوس يسكن فينا.. يريد أن يوضح أي مجد لنا.. وقد صرنا هكذا حينما نرى الله يغار جداً لهيكله ومسكنه حتى أنه يقول.. بما أنكم بناء الله وهيكل الله.. فمن يتجاسر ويفسد هيكل الله.. سيفسده الله..

[١٧] «.. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله. لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو»

صعب أن نرى الله يفسد هيكلاً خاصاً به.. سُر في يوم من الأيام أن يسكن فيه.. ولكن حينما يعطينا الروح القدس أن نفحص من هو المسئول عن فساد الهيكل.. سنرى الله كم هو محب..

وعادل جداً.

في البداية يمكننا أن نفهم قول بولس هنا أنه يتكلم عن الخدام الذين بسبب خدمتهم الرديئة.. يفسدون هيكل الله سواء بالتعاليم الغريبة أو بقيادتهم غير الحكيمة وغير السوية للمخدومين. كما سبق وقال لنا عمن يبنون قشاً أو خشباً أو عشباً.. وبالتالي يكون قول الرسول بولس – يفسده الله – واقع عليهم – الخدام – وليس الرعية.

ولكن الأرجح أن يكون فساد الهيكل مسئولية الإنسان نفسه الذي صار في نعمة العهد الجديد جديراً بأن يدعى هيكل الله ومسكن الله. ذلك بسلوكه الردئ.. وعدم طاعته والحياة بعيداً عن متطلبات تقديس هذا الهيكل كما سنرى.

هيكل الله مقدس.. وهذه الصفة لسنا بحاجة أن نتعلمها لأن من البديهي والمنطقي أن يكون هيكل الله.. بل وكل مكان يحل فيه الله ويسكن أن يكون مقدساً. ذلك لأن الله قدوس بطبعه لا يطيق الشر.. بل والسماء ذاتها ليست بطاهرة أمامه ولملائكته الأطهار ينسب حماقة (أي ٤ : ١٨).

ولكن بولس الرسول يلفت نظرنا إلى هذه البديهية – ليعلمنا أنه بأعمال الإنسان وجهاده وطاعته يمكنه الشعور بقداسة الهيكل وتكميل هذه القداسة أو فقدانها نهائياً. كما يقول في (١كو ٦) حينما يتكلم عن الزنا:

«.. الذي يزني يخطئ إلى جسده – يتسبب في فساده – أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله» (٢كو ٦ : ١٩)

كذلك في رسالته الثانية لهم قال وكأنه يؤكد لهم أهمية حياة الطهارة:

«.. أية موافقة لهيكل الله (أجسادكم) مع الأوثان. فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً»
(انظر ٢كو ٦ : ١٤ – ١٦).

وبذا يضع الإنسان أمام هذه المسئولية .. محاولة الجمع بين محبة الله .. ومحبة الخطية.. بين النور والظلمة.. الأمور التي تعتبر من ضروب المستحيل.. فبالتالي ينبغي للإنسان أن يحافظ على كرامة هيكله ولا يسمح بشئ من خطايا أو زلات أو محبات غريبة أن تفسد هيكله لئلا يحرم من بركات حلول الله في هيكله.. ومن سكناه معنا .. وسيره بيننا وكونه لنا إلهاً وملجأنا الوحيد ونحن له شعباً وخاصته.

هذا ويجدر بنا في هذا السياق أن نتأمل لماذا اختار بولس تسميته الهيكل.. لماذا لم يقل بيت وكفى؟! أو حتى مسكن..! في الحقيقة وراء التسمية تكمن كل مسئولية الإنسان عن حفظه لقداسة هيكله أو فساده كما يعلمنا بذلك بطرس الرسول:

«.. كونوا أنتم أيضاً مبنين كحجارة حية. بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١ بط ٢ : ٥)

فنحن من ناحية، لسنا كحجارة الهيكل القديم.. جماد لا يدرك.. بل حجارة حية.. والحياة المقصودة هنا ليست الحياة الطبيعية فينا بالروح الإنسانية.. بل الحياة الناشئة عن حياة روح الله في داخلنا وبعدنا عن الخطية التي تجلب على الإنسان الموت.. كأجرة لها.. ونتيجة أيضاً لأنها انفصال عن الله أصل الحياة.

نحن أيضاً بيتاً روحياً.. لسنا نسلك حسب الجسد بل حسب الروح..

«.. لأن المولود من جسد جسد هو.. والمولود من الروح هو روح ..» (يو ٣ : ٦)

منذ أن ولدنا ثانية في المعمودية صرنا أبناء الله.. بالتبني.. كل أفكارنا روحية.. وكل إشتياقاتنا سماوية حتى ولو كنا نحيا في الجسد. في هذا يقول القديس أغسطينوس. يقرر لنا مسئوليتنا عن حفظ كرامتنا كهياكل لله ينبغي أن تكون مقدسة بالسلوك الروحي:

«.. من ليس روحانياً حتى في جسده يصير جسدانياً حتى في روحه»

من صفات الهيكل أيضاً أن ترفع فيه الذبائح لله.. وهذه أيضاً مسئولية الإنسان أن يرفع لله ذبائح روحية من صلوات وتسابيح وترانيم.. بل وأكثر من ذلك إلى حد تقديم الجسد كله ذبيحة لله على مذبح الحب الإلهي الذي وهبنا كل هذه البركات:

«.. أطلب اليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» (رو ١٢ : ١)

فنحن نقدم أجسادنا ذبيحة حية حينما نجتاز كل يوم حكم الموت فينا بسبب مرارة الجهاد وشدة الحرب علينا.. أو بسبب ما يتطلبه الجهاد من أعمال نسك وزهد من صوم وصلاة وغصب للإرادة وقهر للذات..

«.. من أجلك نمات كل النهار. قد حسبنا مثل غنم للذبح» (مز ٤٤ : ٢٢، رو ٨ : ٣٦)

ونقدم أيضاً عبادة عقلية.. هى أن تكون أفكارنا كلها كل وقت منحصرة في الروح والروحيات.. لنا بإستمرار فكر المسيح وعقل المسيح (١كو ٢ : ١٦)..

«ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢ كو ١٠ : ٥)

العبادة العقلية تعني أيضاً كما سبق وقلنا حياة التسبيح والشكر والتمجيد الدائم لله.

والآن لا يبقى حتى يكتمل هيكل الجسد إلا أن يتواجد من يصعد هذه التقدمات.. أي يتبقى وجود الكاهن (خادم الهيكل).. حتى هذه أيضاً لم يغفلها بطرس الرسول إذ قال أنكم كهنوتاً (روحياً) مقدساً.

فكل واحد فينا.. عقله وإرادته هو الكاهن على مذبح قلبه في هيكل جسده، هو المسئول عن جمع أفكاره وحصرها في المسيح.. وقيادة الكيان كله لمعرفة ربنا لرفعه ذبيحة مقبولة أمام الله.. كما قال داود النبي:

«.. لتستقم صلاتي – عبادتي العقلية – **كالبخور قدامك** – **في هيكلك** – **وليكن رفع يدي** – بصفتي كاهن على هيكل جسدي – **ذبيحة مسائية»** (مز ١٤٠ : ٢)

في هذا أيضاً نفهم كون جميع المؤمنين ملوك وكهنة كما ذكر سفر الرؤيا:

«.. جعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة» (رؤ ٥ : ١٠)

بعض أقوال الآباء :

[[المسيح صيرنا ملوكاً وكهنة وأبناء في نفس الوقت. الآن نحن الثلاثة معاً ملوك لأننا نتمتع بالملكوت وكهنة لأننا نقدم أجسادنا ذبيحة. وأبناء لأن ما لم تره عين ولم تسمع به أذن قد أعلن لنـــا]] (القديس يوحنا ذهبي الفم)

[[أنتم جنس كهنوتي ولهذا حقّ لكم أن تدخلوا الأقداس. فلكل منا ذبيحة هى ذاته، ويستطيع أن يوقد فيها النار وأن يحتفظ بها مشتعلة في كل حين. إذا تخليت عن كل ما أملك وحملت صليبي وتبعت المسيح فقد قدمت محرقة على المذبح. وإذا سلمت جسدي حتى أحترق عن حب ونلت مجد الإستشهاد فقد قدمت نفسي محرقة على المذبح، إذا أحببت حتى استطعت أن أضع نفسي لأجل الأخوة، ولو جاهدت لأجل البر والحق حتى الموت فهذه محرقة أشعلت على المذبح، إن أقمعت جسدي عن شهواته فقد قدمت ذاتي على مذبح الرب وصرت بالفعل كاهن تقدمتي]] (العلامة أوريجانوس)

أما عن الأسرار الكنسية المقدسة والأمور الطقسية وترتيبها في الكنيسة فالأمر يختص بالكهنوت المعطى بوضع يد آباء الكنيسة ليكونوا خدام المذبح والأسرار وهذا ليس لكل المؤمنين بل لمن دعوا من الله كما قال بولس أيضاً:

«.. لا يأخذ أحد هذه الوظيفة (الكرامة) **بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضاً** – كدعوة هرون–» (عب ٥ : ٤)

عرفنا الآن مفهوم كوننا هيكل لله.. ومسكن للروح القدس.. والواجب علينا عمله حتى نحافظ على كرامة ومجد هذا الهيكل.. حتى لا نعرض أنفسنا لفساد هيكلنا.. بإهمالنا العمل الإيجابي اللائق فعله لهذا الهيكل.. أما عن كيف يفسد الهيكل؟ فهذا ما سوف ندرسه الآن :

يعرض الإنسان لهذا المصير المظلم.. فساد الهيكل – عدم طاعته لدعوة التقديس التي يقوم بها الروح القدس داخل القلب وهذا ما يسميه الكتاب إحزان الروح وإطفاء الروح بمعنى عدم طاعته ورفض الإزعان لتبكيته داخل النفس الأمر الذي يتساوى تماماً مع رفض القداسة لأن فعل الروح وعمله داخلنا هو تقديسنا المستمر وتغييرنا المستمر إلى صورة الله في القداسة والبر. كما قال ربنا يسوع المسيح:

«.. يأخذ مما لي ويعطيكم» (يو ١٦ : ١٤)

وكما يقول القديس كيرلس الكبير – آباء القرن الخامس :

«.. الروح القدس يغيّرنا إلى صورة الابن – يأخذ مما لي ويعطيكم – الذي هو صورة الآب المنظورة لما حجب في الجسد ، وبالتالي يصير عمل الروح فينا تغييرنا إلى صورته في القداسة والحياة الطاهرة وإلى صورة الابن والآب أي يطبع فينا بعمله صورة الله وبذا نعود لخلقتنا على صورة الله ومثاله. الوضع الأصيل الذي فقدناه بالسقوط»

فالروح القدس يظل يعمل فينا:

«.. يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة» (يو ١٦ : ٨)

مريداً لنا حياة القداسة هذه:

«.. إرادة الله قداستكم » (١تس ٤ : ٣)

ومكملها لنا بسهولة إن لم نرفضها نحن. أما إذا رفضنا وأحببنا الظلمة أكثر من النور بسبب أعمالنا الرديئة يبدأ الروح بعد محاولاته المستمرة والمُصرة على تغييرنا. يبدأ يفتر عمله داخل النفس تدريجياً وهذا الفتور ضـد طبيعته النارية التي لا تهدأ.. لذلك يحزن الروح..

«.. لا تحزنوا روح الله الذي به ختمتم ليوم الفداء . ليرفع من وسطكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث» (أف ٤ : ٣٠)

وحتى هذه الحالة يمكن تداركها والعودة بالروح إلى حالة الفرح والعمل الملتهب في القلب إن أطاع الإنسان وأصلح من طريقه. أما إن إستمر في عناده وقساوة قلبه أمام نداءات الروح المحيية والمحرّضة على حياة البر..

«.. إن سمعتم صوته لا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ٧، ٨)

نقول أن استمرار الإنسان في ذلك يعرض نفسه لما هو أخطر أعني إطفاء الروح..

« .. لا تطفئوا الـــروح » (١تس ٥ : ١٩)

وإطفاء الروح ليس معناه تغيير طبيعته لأنه النور الحقيقي الذي لا يدنى منه بصفته روح الله. وطبيعته الأزلية الدائمة هى الحياة والإنارة حتى أنه سمى روح الإستنارة. ولكن إطفائه تعني هنا صمته عن العمل وإسكاته رغماً عنه حزيناً بسبب عدم رغبة الإنسان تقديس نفسه وهذا ما معناه فساد الهيكل. وفي تعليم القديس أثناسيوس الرسولي، فساد الهيكل هذا يعني مفارقة روح الله للإنسان. الحالة التي تتساوى مع التجديف على روح الله بمفهوم الرفض المستمر المعاند والدائم لعمل روح الله داخل النفس لأجل تقديسها.

ومما يؤكد هذا الرأي أنه إذا كانت القداسة التي نحياها هى بسبب سكنى الروح القدس فينا.. تصير مفارقته لنا فساداً أكيداً لهيكلنا بسبب كونه روح القداسة. وفي هذا يتساوى أن يفارق الروح هيكله أو يصمت ويطفأ ولا يعمل فالنتيجة واحدة وهى فسادنا.

وهنا يتضح لنا أن الله ليس له دورٌ في فساد الهيكل حتى لا نظن أن الله يترصد لنا الأخطاء كيما يفسدنا. كلا فهذا ضد طبيعة الله «الذي يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ولكن كلمة سيفسده الله المقصود بها سيتركه الله لعناد قلبه يجني ثمار ضلاله ورفضه حياة القداسة. وهذا الأمر واضح جداً في رسالة بولس الرسول لأهل روميه عندما يتحدث عن شرور الأمم في ثلاث مراحل عجيبة من سقوط الإنسان تحت وطأة هذا المصير المخوف إذ يقول:

(١) احزان الروح :

«.. لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي.. وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والزحافات. لذلك أسلمهم الله في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق...» (رو ١ : ٢١- ٢٥)

إهانة الأجساد هى الزنا والنجاسة الناشئة عنه كما قال بولس الرسول أن من يزني يخطئ إلى جسده. ولكنهم رغم ذلك لم يتوبوا.. ويعودوا إلى الله فيشفيهم بل زادوا في عناد قلوبهم ونجاساتهم الرديئة.

(٢) اطفاء الروح :

«.. لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان. لأن إناثهم إستبدلن الإستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة وكذلك الذكور أيضاً تاركين إستعمال الأنثى الطبيعي اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم الحق »
(رو ١ : ٢٦، ٢٧)

وهذه درجة ثانية لفساد الهيكل بسبب إصرارهم على رفض القداسة رغم إستعداد الله لذلك.. وفي تصعيد ثالث لمستوى الرذائل وبالتالي لتيار فساد الهيكل يقول الكتاب:

(٣) فساد الهيكل :

«.. كما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله لذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق» (رو ١ : ٢٨)

أي أنهم بإرادتهم رفضوا الله.. وطردوه من معرفتهم.. ولم يُسَّروا بطريقه. هذا العصيان المؤكد دفع الله - كلي القداسة - أن يتركهم - دون رغبة منه - لعنادهم ولفكرهم العاصي المرفوض أمام الله بسبب كبريائهم.. وكانت النتيجة الحتمية لذلك هى ارتكاب كل ما لايليق بكرامة الهيكل وبالتالي فساده.

«.. مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً. نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة» (رو ١ : ٢٩- ٣١)

هذه كلها سبب ونتيجة لفساد الهيكل في آن واحد. بل والأكثر من ذلك أنهم:

« .. إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقد بل أيضاً يسرون بالذين يعملون » (رو ١ : ٣٢)

أي أنه بإختصار، قد صاروا فساداً متنقلاً إن لم يفعلوا هم شروراً ، يشجعون الآخرين على إرتكاب المعاصي.. متجاهلين تماماً نهايتهم الأكيدة وموتهم العتيد أن يكون أبدياً بسبب فساد قلوبهم.

ويليق بنا هنا أن نختم هذا الحديث عن الهيكل وكرامته بقول جميل للقديس مار اسحق السرياني:

[[أتجرأ مثل بولس وأقول « اننا هيكل الله » (١كو ٣ : ١٦). أنه طاهر فلنطهر هيكله حتى يشتهي السكنى فيه. فلنقدسه لأنه هو قدوس. لنزينه بكافة الأعمال الصالحة الشريفة. ولنبخره ببخور راحة مشيئته بالصلاة النقية القلبية التي لا يمكن اقتناؤها وسط الضوضاء العالمية المستمرة. بهذا تظلل النفس غمامة مجده ويسطع نور عظمته داخل القلب فيمتلئ جميع سكان بيت الله فرحاً ومجداً]]

خامساً : الفطام من الخدام للإرتباط بالمسيح : (١٨- ٢٣)

الآن بعد أن بيَّن لنا بولس الرسول ماهية أجسادنا وكيف أننا هيكل للروح المقدس.. ويجب علينا أن نسلك واضعين هذا المبدأ نصب أعيننا حتى لا نتسبب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في فساد هيكلنا حين يرفضنا الله ويتركنا لفساد تصوراتنا بسبب شرِّنا. يعود الآن مرة أخرى ليحدثنا عن حكمة العالم وفلسفة العالم فيقول:

[١٨- ٢٠] « .. لا يخدعن أحد نفسه. إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً لأن حكمة هذا العالم جهالة عند الله لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم وأيضاً الرب يعرف أفكار الحكماء أنها باطلة»

المتأمل في هذه الآيات يظن للوهلة الأولى أنه لا علاقة بينها وبين الحديث عن الجسد كهيكل للروح القدس.. لكن هناك ارتباط شديد جداً بينهم يعطينا الرب أن نفهمه.. يريد الرسول أن يعلمنا بوسيلة أخرى عدم نفع الحكمة الإنسانية ولكن بطريق آخر غير الذي سلكه في الأصحاح الأول والثاني حينما حدثنا عن بطلان الحكمة البشرية.. فهو هنا يقول لنا أنه إن كنتم

هيكل للروح القدس وقد ارتضى أن يسكن فيكم.. وإن كان الله بالروح القدس هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة (فى ٢ : ١٣). إن كان الأمر كذلك هل هناك اذن إحتياج أو اضطرار لروح الله كيما يحيينا في القداسة؟! نقول هل له إضطرار لإستخدام حكمة العالم.. ؟! هذا ما يريد بولس الرسول أن يقوله.. لذلك قال: «**لا يخدعن أحد نفسه**» لأن من الحماقة أن نظن أن الله وهو كلي الحكمة والقدرة والمعرفة يحتاج لحكمة انسان ضعيف.. محدود في فكره وحكمته ومعرفته.. حتى ولو كان الأمر يختص بتقديس هذا الإنسان. لأن هذا من صميم عمل الله.. ولعلمه له المجد بهذا التدبير.. وضع فينا روحه القدوس حتى لا يصير لنا أدني إحتياج أو إهتمام أن نكون حكماء عند أنفسنا ولنا اتكال على ذواتنا من جهة جهادنا في طريق القداسة.. يكفينا هنا أن نذكر كلام رب المجد عن عمل الروح معنا:

«.. لأني أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها»
(لو ٢١ : ١٥)

فإن كان قد قال هكذا عن العمل الخارجي للروح القدس من جهة إحتجاجنا ودفاعنا عن عقيدتنا أمام الآخرين.. فما بالنا بالشهادة الداخلية القلبية للروح القدس نفسه داخلنا. في هذا نقول أنه لن يستطيع الروح القدس أن يتكلم على أفواهنا بهذا الفم وهذه الحكمة إن لم يكن له في الداخل ذلك الموقف الحاسم والكياني الذي يتضح معه أن الإنسان قد أسلم له تماماً زمام النفس دون أدنى اعتماد على المعرفة البشرية، لذلك قال ربنا يسوع المسيح:

«.. ضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا» (لو ٢١ : ١٤)

ذلك لأن من يهتم ويغتم بسبب هذا الإحتياج هو إنسان يخدع نفسه ومن قبل قد خدعته حكمته وظن أنها تعينه في مراده هذا.. ولكن دون جدوى فلن يسنده إلا شهادة الروح القدس وعمله الكامل داخل النفس وخارجها أيضاً لأن كل الأمر ملك لله كما نقول عن الروح القدس في القداس الكيرلسي:

« واهب القداسة بسلطة ومسرة للذين أحبهم وليس كالخادم » (سر حلول الروح القدس)

نعود الآن ونقرر أن ليس المقصود بأن أصير جاهلاً هو أن أترك العلم.. ولا أطرق أبواب المعرفة.. وأحيا جاهلاً ليس لي من المؤهلات العقلية أي شئ.. ليس هذا هو المقصود.. إنما نريد القول.. تثقف كما تريد وإدرس كيفما شئت.. وأحصل على أعلى الدرجات العلمية.. ولكن حينما تأتي للحديث عن دعوتي الجهاد والقداسة.. ضع كل هذا جانباً.. وقل لله أنا ملك لا.. لا أستطيع بذاتي أن أفعل شئ.. لي كل الثقة في روحك القدوس وليس لي أي إيمان بذاتي أن تقدر أن تفعل

شئ بدونك.. لنتأمل في كلام (المزمور ٧٣ : ٢٢ – ٢٥) :

« .. أنا بليد ولست أعرف. صرت كبهيم عندك ولكني دائماً معك. أمسكت بيدي اليمنى برأيك تهديني وبعد إلى مجد تأخذني. من لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً على الأرض»

أعتقد أن من يقول هذا الكلام يكون قد اقتنى الحكمة التي من فوق.. حتى لو كان جاهلاً بليداً لا يعرف مثل داود النبي في بساطته.. ووداعته .. واتضاعه.

بمعنى آخر، إن رفض الحكمة الإنسانية ومعرفة العالم في موضوع الخلاص يدخل في مفهوم إنكار الذات الذي هو شرط التبعية للمسيح والتلمذة له:

« .. من أراد أن يكون لي تلميذاً فلينكر نفسه – يكفر بذاته – **ويحمل صليبه ويتبعني »**
(انظر مر ٨ : ٣٤ – ٣٨)

ولكن رغم عدم جدوى هذه الحكمة البشرية إلا أن الله يسمح في بعض الأحيان باستخدامها بشرط واحد هو أن يسلمها الإنسان له.. ويثق أنه ليس بسبب حكمته الذاتية أو بره الشخصي قد فعل الرب هذا الأمر.. وأن يكون لسان حاله بإستمرار قول الرب:

« .. لا بالقدرة ولا بالقوة – الجسدية – **بل بروحي قال رب الجنود »** (زك ٤ : ٦)

وهذا الأمر واضح جداً في خدمة بولس الرسول نفسه أكثر من كتبوا عن بطلان الحكمة الإنسانية – في العهد الجديد – فقد حدث أن قبضوا على بولس وسيلا في فيلبي .. وأرسل الولاة إلى حافظ السجن أن يطلقهما ليلاً ولكن بولس قال له في ذكاء:

« .. ضربونا جهراً غير مقضى علينا ونحن رجلان رومانيان وألقونا في السجن أفالآن يطردونا سراً. كلا. ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا » (أع ١٦ : ٣٧)

وقد كان هذا الكلام سبب ارتباك للولاه الجلادين حتى أنهم جاءوا وتضرعوا لهما أن يخرجا من المدينة!!!

مرة أخرى حينما أعدوه للسياط في أورشليم بسبب هياج اليهود عليه نراه يقول لقائد المئة المكلف بالأمر:

« .. أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضى عليه » (أع ٢٢ : ٢٥)

فكونه يتذكر في هذا الموقف بالذات. حقيقة أن له الجنسية الرومانية هو بوضوح إستخدام الله

لحكمة بولس الرسول وثقافته بل وذكائه الشخصي. ولا نتعجب إذن إذا رأينا أنه بسبب هذه الجملة وقف بولس أمام أمير الكتيبة في أورشليم يكلمه عن كيفية أخذه للرعوية الرومانية وهو من دفع فيها مبلغاً كبيراً كيما يقتنيها وأنتهى الأمر بوقوف بولس حراً من قيوده يحاجج اليهود في المجمع وبحضور الأمير نفسه!!!

بل وفي هذه الوقفة أيضاً نجده يستخدم ذكاءه حينما علم بوجود فريسيين وصدوقيين. يقول لهم:

« .. أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم.. » (أع ٢٣ : ٦)

وكانت النتيجة حدوث مشادة بين الفريقين، الفريسيين والصدوقيين، الفريق الأول يدافع عنه لإيمانهم بالقيامة والثاني يحتجون لأنهم لا يؤمنون بالقيامة. اسمع الفريسيين يقولون:

« .. لسنا نجد شيئاً رديا في هذا الإنسان. وإن كان روح أو ملاك قد تكلم فلا نحاربن الله» (أع ٢٣ : ٩)

ولكي يوضح لنا روح الله رضى الآب عن هذا المسلك الحكيم من بولس الرسول نجده يقول لبولس :

« .. في الليلة التالية وقف به الرب وقال: ثق يا بولس لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً » (أع ٢٣ : ١١)

عند هذا الحد بالذات. كلام الحكمة الإنسانية – بمعزل عن الله – يوقع بولس في الخوف بسبب ذهابه إلى رومية. ولكن ما حدث كان عكس ذلك تماماً. ففي تصعيد الأحداث في هذا الأصحاح (أع ٢٣) وحتى آخر حياة بولس الرسول نراه يرفع دعواه لقيصر (أع ٢٥ : ١١) رغم علمه الأكيد بأنه لن ينصفه بسبب طغيانه. ولا يخلو الأمر في الطريق من شهادة للمسيح أمام فيلكس الوالي (أع ٢٥ : ١١) وأغريباس الملك (أع ٢٦ : ٢٨) وعند وصوله رومية وكمال تبشيره لهم (أع ٢٨ : ٣٠، ٣١) يأخذ أكليل الشهادة سنة ٦٥م. على اسم المسيح.

نعود الآن للرسالة لنراه يستشهد بآية من سفر أيوب الصديق:

« .. الآخذ الحكماء بحيلتهم فتتهور مشورة الماكرين في النهار يصدمون ظلاماً ويتلمعون في الظهيرة كما في الليل » (أي ٥ : ١٣)

ولكنه لا يتهم كل من هو حكيم ومتعلم في العالم بأنه ماكر محتال بل يقصد كل من يحاول عن عمد.. إستخدام حكمته وحيلتة في موضوع الخلاص لذلك أعقب قوله السابق بآية من المزمور ٩٤ يقول فيها:

« .. الرب يعرف أفكار الإنسان أنها باطلة » (مز ٩٤ : ١١)

وكلمة باطلة لا تعني فاسدة بل تعني بالتحديد انها غير نافعة من قريب أو بعيد.. ولعلمه له المجد بذلك لا يسمح للإنسان دوماً بإستخدام حكمته أو فكرة بل في حدود ما يتفق مع إرادة وحكمة الله.

والآن إذا كان العمل هو بناء الله.. والجسد هو هيكل للروح القدس. والحكمة الإنسانية لا تفيد.. علام إذن تمسككم بالخدام وارتباطكم بهم كأنكم قد قسمتم المسيح؟

[٢١] « .. إذن لا يفتخرن أحد بالناس – الخدام – فإن كل شئ لكم »

لماذا تفتخرون وتظنون أنه حق لكم أن تتشيعوا فريقاً منكم لبولس والآخر لأبولس وكأن هذا هو كل ما في موضوع التدين والعلاقة مع الله:

« .. فأنا أعني هذا أن كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبلوس وأنا لصفا وأنا للمسيح هل إنقسم المسيح » (١كو ١ : ١٢)

إن كان بولس قد خدمكم وأبلوس قد أكمل خدمة بولس فسلوك كل منا تجاهكم هو سلوك العبيد لكم.. ننفذ ما يريده الله منا في عمله.. لذلك قال ليس فقط بولس لكم أو أبلوس لكم بل **كل شئ لكم.**

وهذا هو نفس ما قاله في (٢كو ٤ : ٥):

« .. فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً. وبأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع» (٢كو ٤ : ٥)

بمعنى أن هدف خدمتنا لكم لم يكن تمجيدنا، أو الإلتفاف حولنا في هذا التشيع والتحزب المرير بل كان لمجد المسيح ولكي يتصور المسيح فيكم إلهاً ورباً ومخلصاً وفادياً حتى لو كان على حساب ذواتنا كعبيد لكم.

ولكي يعمق في أذهانهم هذا المفهوم أكثر يقول لهم ليس فقط بولس وأبلوس بل كل شئ ثم يعدد كل شئ هذا:

[٢٢] «.. أبولس أم أبلوس أم صفا أم العالم أم الحياة أم الموت أم الأشياء الحاضرة أم المستقبلة كل شئ لكم »

فكل أمور الحياة تخدم خلاصكم.. كل من خدموكم هدفهم معرفتكم لله.. حتى العالم نفسه مسخّر تحت أقدامكم لتقتربوا إلى الله. ملك لكم لتستخدموه في التقرب إلى الله ولكن دون أن يحيا العالم فيكم ويبعدكم عن معرفة الله..

يريد بولس الرسول هنا أن يرجع بأذهاننا للمجد القديم الذي كان لآدم حين كان سيداً لكل الخليقة.. للعالم كله.. بل سيداً للموت بكونه قادراً على التمييز بين ما يجره للموت وما يقربه للحياة.. وسيداً للحياة بكونه في استطاعته الأكل من شجرة الحياة ولكنه لم يفعل بإرادته أيضاً.. الحاضر في يده يحياه في قداسة العشرة مع الله. والمستقبل أيضاً في يده قادر أن يصنعه بما يفعله في حاضره من طاعة لله أو رفض له. كل شئ إذن للإنسان تحت يده موضوع لخدمة خلاصنا.. والسيد المسيح قد أعاد لنا كل هذا المجد السليب حينما أعطانا خدمة المصالحة مع الآب وأصبح لنا الدالة والجرأة أن نقترب إليه في ثقة وحب لذلك قال:

[٢٣] «.. أما أنتم فللمسيح والمسيح لله »

فإن كان المسيح قد صنع لنا كل هذا الخلاص فلا أقل من أن نكون له.. حتى لو بصورة عبيد للطاعة له.

«.. أنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وأرواحكم التي هي لله .. » (١كو ٦: ١٩، ٢٠)

فالسيد المسيح اشترانا فعلاً بدمه المدفوع فينا لنصير له. واللفظ اشترى المذكور هنا في أصل اللغة اليوناني αγοραζω (Agorazo) يقصد به المشتري من سوق العبيد فالمسيح نزل سوق العبيد – عالم الأرض والفساد واشترانا منه لنصير له أحياء.. عبيداً بالحب له.. حتى ولو متنا فاقتنائه لنا يمتد حتى الأبد لذلك قال بولس الرسول:

«.. لأنه ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته. لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن» (رو ١٤: ٧، ٨)

ذلـــك: «.. لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات » (رو ١٤: ٩)

هذا المفهوم توضحه لنا أكثر الآية التالية:

«.. وهو – المسيح – مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل الذي مات لأجلهم وقام» (٢كو ٥ : ١٥)

ولكن ليس إنتسابنا للمسيح هو كل ما في موضوع خلاصنا.. هناك بعد آخر.. إذ نحن في المسيح ننتمي أيضاً للآب.. لأن السيد المسيح نفسه بكونه ابن الله ونحن جميعاً فيه قد مارس نوعاً من الطاعة والخضوع للآب لذلك قال بولس «.. والمسيح لله» وهذا المفهوم أوضحه بولس في (١كو ١١ : ٣) حينما قال:

«.. رأس كل رجل هو المسيح أما رأس المرأة هو الرجل. ورأس المسيح هو الله»

وأيضاً قوله في (١كو ١٥ : ٢٨):

«.. الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل»

الأمر الذي سنبنيه في دراستنا للأصحاح الخامس عشر من الرسالة.

ولكننا بإختصار شديد نقول هنا أن كلنا في المسيح سنخضع للآب كأب لنا. وأن خضوع السيد المسيح كابن لله. لا يمكن أن يتساوى مع خضوعنا له كعبيد. لأن خضوع الابن للآب هنا سيكون بكونه لا يحمل إرادة تخالف إرادة أبيه وهذا في حد ذاته خضوع رغم تساويهما في الجوهر ووحدانيتهما فيه. كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم.

وهكذا رأينا كمال تدبير الله لخلاصنا.. أن نصير للآب لنا قدوم لديه بواسطة دم المسيح.

«.. لأن به – بالمسيح – لنا كلينا قدوماً في روح واحد – الروح القدس – إلى الآب»

(أف ٢ : ١٨)

✠...✠...✠

﴿ الأصحاح الرابع ﴾

مقدمة : الآن بعد أن شرح الرسول بولس ماهية الخدمة ودور الخدام ومعرفة الله بكل أمورهم كفاحص للقلوب والكلى وكممحص لخدمتهم بناء على ما بنوه. يوضح لهم الآن حقيقة خدمته المملوءة تعباً وفرحة الشخص بهذا التعب إذ يعتبره من أعظم ثمار الخدمة المرضية أمام الله. في أسلوب شيق ومؤثر جداً يخاطبهم كأب محذراً إياهم في خوف عليهم من الإنسياق وراء المتحزبين وبالتالي سقوطهم في الإدانة وبالأخص الخدام.

١- خطية الإدانة (١- ٥)
٢- مثال الخدام المتضعين (٦- ١٣)
٣- بولس الأب (١٤- ٢١)

أولاً : خطية الإدانة : (١-٥)

[١] «... وهكذا فلحسبنا الإنسان كخدام للمسيح ووكلاء سرائر الله»

يقول لهم ان كنت قد كلمتكم ان كل الأشياء هى لكم لخدمة خلاصكم العتيد أن يكمل بجهادكم.. ومن بين هذه الأمور بولس وأبلوس.. لذلك اعتبرونا خدام للمسيح عندما نكلمكم ونتعامل معكم. وهو هنا لا يطلب مجد نفسه بل يذكرهم بنفس ما قاله لهم من قبل في الأصحاح الأول أنه وأبلوس خادمان آمنوا بواسطتهما.

وهنا في معرض حديثه إليهم عن الخدمة يقرر أنها خدمة للمسيح نفسه حتى وان كانت في ظاهرها موجهة لأبنائه. فالخادم عليه أن يرى السيد المسيح في كل مخدوميه.. في كل مريض يزوره.. أو حزين يعزيه.. أو مسكين يعطف عليه كما قال رب الخدمة نفسه **ان فعلتم بأحد اخوتي هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم**، وهذا المفهوم يعطي للخادم دفعة عظيمة تجاه استمرار الجهاد والغيرة

المتقدة طالما وضع نصب عينيه رؤية الرب يسوع في كل هؤلاء. ويعطيه أيضاً أن يراعى في كل سلوكياته هذا المبدأ حتى لا يكون سبب عثرة للعالم. وذلك من نفس كلام بولس الرسول لهم في الرسالة الثانية:

«.. لسنا نجعل عثرة في كل شئ لئلا تلام الخدمة بل في كل مرة نظهر أنفسنا كخدام لله» (٢كو ٦: ٣، ٤)

في كلماتنا .. في سلوكنا .. أعمالنا.. مظهرنا الخارجي من ملبس ومعاملات الناس في أي مكان يجب أن تكون لنا صورة الخادم الأمين داخل الكنيسة كما هو خارجها. الشخص الوديع الهادئ داخل الكنيسة يجب أن يظل هكذا خارجها وفي أي مجال يحل فيه. والخادم الذي نراه في الكنيسة قد تعود حياة الاحتمال وعدم الغضب يجب أن لا نراه غير ذلك في عمله يشتم ويسب ويوبخ ويثور لأقل سبب. بحيث تختفي صورة الخدمة وينتفي منها توجهها لمجد المسيح وكأننا يجب أن نشهد فقط أمام أولادنا في الكنيسة!!

وبهذا المفهوم نستطيع أن نقول ان كل فرد فينا هو خادم للمسيح سواء خدمنا خدمة محددة رسمية في الكنيسة أم لا.. كل منا يجب أن يظهر للعالم صورة المسيح الذي يعرفه ويعبده حتى يكون سبباً لمجد الآب وظهور عمله وسط العالم، هذا هو مفهوم أن المسيحي المؤمن العادي وليس الخادم فقط – نوراً للعالم وملح للأرض. علينا جميعاً أن نكون رائحة المسيح الذكية، يشتمها الناس منا فيقتربوا من الله بسبب معاشرتهم لنا ونحن نوصل الصورة الحية الجميلة عن الله في كل سلوكياتنا:

«لكن شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح في كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان. لأننا رائحة المسيح الذكية لله. في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة» (٢كو ٢: ١٤– ١٦)

نلاحظ في هذا الجزء أن بولس الرسول يريد منا أن نكون جميعاً كما كان المسيح للأب رائحة ذكية، بمعنى أنه كما قدم حياته بالجسد ومماته بالصليب رائحة ذكية اشتمها أبوه وتنسم منها رائحة الرضا ورفع غضبه عن العالم الفاسد.. علينا نحن أيضاً أن نكون هكذا، نقدم ذواتنا ذبائح حية لله. حتى يسر بنا عندما يرانا في خدمة الحب هذه مستعدين ليس فقط أن نتعب ونبذل. بل نفعل هكذا حتى النفس الأخير.

(هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة) [1].

ويعطينا بولس هنا فكرة عن عملنا جميعاً هنا كخدام، فنحن بالمسيح الذي فينا سنكون سبب بركة وخلاص للذين يقبلون الكلمة ويتفاعلون مع سلوكنا الإلهي الطاهر بينهم. وسنكون شهادة على كل من رآنا ولم يتقبلنا وبالحري لم يتقبل المسيح الذي نشهد له في العالم.

وبرفضه هذا يرفض الحياة ويقتل رائحة المسيح داخله ولا يستفيد منها وبذا يموت.

خدمتي للمسيح في نفس الوقت هى خدمة للإنجيل بسبب مسئولية الكرازة والتبشير وأيضاً خدمة الكنيسة بكونها عروس السيد وخدمة لأخوتي أولاد سيدي كما قال بولس نفسه في (كو ١ : ٢٣- ٢٥).

«إن ثبتم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الانجيل الذي سمعتموه المكروز به في كل الخليقة التي تحت السماء. الذي صرت أنا بولس خادماً له. الذي الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة. التي صرت خادما لها حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم لتتميم كلمة الله»

بعد ذلك يطلب منهم بولس الرسول أن يحسبوهم أيضاً إلى جانب كونهم خدام المسيح فهم وكلاء سرائر الله. نعم .. فالخادم وكيل لله.. استلم من الله أمانة العمل في كرمه.. ومتابعة الفعلة في هذا الكرم الذين هم نحن جميع المؤمنين بكوننا جميعاً خدام للمسيح بنوع ما نظهره بأعمالنا في كل مكان، ذلك ما أوضحه ربنا يسوع المسيح في مثل الوكيل الأمين المذكور في انجيل معلمنا لوقا البشير (لو ١٢ : ٤١- ٤٧) فهو وكيل على عبيد سيده.. يعطيهم طعامهم في حينه.. مثال بولس الكارز والمبشر.. في اهتمامه بعبيد سيده حين يكلمهم ويخدمهم حتى يجعلهم جميعاً خداماً أمناء ينتمون في اخلاص وولاء لسيدهم.

والوكالة هنا ليست على أشياء مادية توزع عليهم بل على سرائر الله. وكالة على العمل السري الخفي الذي لروح الله داخل قلوب الناس. كما قال هو عن نفسه في (كو ١ : ٢٦)

«.. لتتميم كلمة الله. السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال لكنه الآن قد أظهر لقديسيه الذين أراد الله أن يعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد الذي ننادى به - كوكلاء عليه - منذرين كل انسان ومعلمين كل انسان بكل حكمة

---

(١) لحن فاي إيتآف يقال في أعياد الصليب وخميس العهد والجمعة العظيمة.

– خادمين – لكي نحضر كل انسان كاملاً في المسيح يسوع. الأمر الذي لأجله أتعب مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة»

هذا ومعلمنا بطرس الرسول يبين لنا ذلك بأكثر قوة إذ يقول:

«.. ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله – عمل الروح القدس الداخلي فينا – **المتنوعة»** (١بط ٤ : ١٠)

هنا ولا يفوتنا أن نؤكد الاشارة الهامة للكهنوت في قوله «وكلاء سرائر الله». فبولس يعتبر نفسه – وهو هكذا فعلاً – كاهناً يقدم ذبيحة العهد الجديد .. ويتمم سرائر الله (أسرار الكنيسة). لأن الكاهن هو وكيل أسرار الله. وهناك اشارة صريحة لخدمة بولس الكهنوتية جاءت في (رو ١٥ : ١٦) « حتى أكون خادماً (وصحتها باليونانية كاهناً Leitourgos وليست Diacono) ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لانجيل الله ككاهن (عاملاً بالكهنوت – حرف الكاف غير موجود في اللغات الأصلية) ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس» (١).

والآن بعد أن أوضح لنا بولس الرسول خطورة عمله كخادم للمسيح ومطلب أمانته كوكيل لسرائر الله يبدأ في اعطائهم درس عن كيفية التعامل مع الخدام بعيداً عن روح التعصب والتشيع والادانة.

[٢] «.. ثم يُسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً..»

بمعنى تُفحَص تعاليمهم في ضوء ثمر خدمتهم من جهة مطابقتها للهدف الأصيل الذي لأجله أُرسلوا. وتُختبر أمانتهم من جهة الخدمة والتعب والكرازة وتوصيل كلمة الحياة للناس.. ولكن هدف هذا الفحص وسؤال الوكلاء ليس الادانة.. والحكم على الخدام بل لأجل تقويم الخدمة ذاتها.. حتى يصير هناك دائماً مقياس أمانة إلهي نقارن به أنفسنا كخدام باستمرار حتى نقوِّم كل اعوجاج فينا ونتعلم الأمانة والجهاد في العمل، إن كنا متراخين.

هذا طبعاً سيعرض الخادم لحكم الناس عليه.. ولحكمه هو على نفسه حتى يكون أميناً باستمرار.. وهنا يستطرد بولس الرسول كي يوضح لنا أنه كخادم أمين يرحب بكل من ينقده.. ويناقش خدمته.. ولكن وفي أسلوب بديع جداً يقودنا لنعرف كيف نحكم حكماً عادلاً ليس حسب الظاهر فقال لهم:

---

(١) لاحظ ما فعله الاخوة البروتستانت من تغيير لكلمات لا تتفق مع عقيدتهم. ولكن اللغات الأصلية تفضح كل ذلك.

[٣] «.. أما أنا فأقل شئ عندي أن يُحكَم فيَّ منكم أو من يوم بشر. بل لست أحكم في نفسي أيضاً»

كونكم تحكمون عليَّ.. هذا بالشئ الهين البسيط لدي لأنه ما أسهل أن يحكم الإنسان على الظاهر ولكن هذا ليس المهم.. كذلك أيضاً أنا مستعد أن أمثل أمام محكمة بشرية وتحكمون فيما أفعله حسب المقياس البشري الذي تُقـدّرونه. حتى حكمي أنا في نفسي لا أتخذه فرصة لتبرئتي أمامكم لأننا جميعاً بشر ضعيف ليس لنا أن نعرف دوافع الإنسان وخفايا القلب العميقة لذلك حتماً ستكون أحكامنا ظاهرية وحسب خارج الإنسان. فطالما هى هكذا فهي ليست صالحة أو منصفة أو عادلة.. حينذاك من المحتمل أن نمدح من يستحق التوبيخ ونُحَقّـر من يستحق الكرامة. لهذا دعانا ربنا يسوع لهذا الحكم العادل حينما قال:

«.. لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكماً عادلاً» (يو ٧: ٢٤)

وكونه هنا لا يعتد بحكم التبرئة لا يعني أبداً تجاهل آرائهم ومشاعرهم تجاهه إنما يريد أن يقودهم بعيداً عن السقوط في خطية الادانة ان هم تعودوا الكلام ببساطة عن أخطاء الخدام الظاهرية ناسين كل واحد منهم أخطائه الشخصية وما يجب أن يركز فيه جهاده واهتمامه.

ونلاحظ قوله بحكم فيَّ وليس يحكم عليَّ.. ذلك أن الثانية تعني انساناً مداناً – متهماً – معرض لصدور حكم عليه. انما الأولى تعني افحصوا أعمالي.. التي لم تعرفوا للآن ان كنت لأجلها أستوجب ادانة أم لا.. لذلك قال أيضاً:

[٤] «.. فإنني لست أشعر بشئ في ذاتي لكني بذلك لست مبرراً»

لست أشعر أنني قد أذنبت بشئ تجاهكم وضميري لا يؤنبني على شئ خاطئ فعلته نحوكم. وهذا ليس كبرياءً أو تعاظماً بل بسبب صدقه في خدمته.. وسعيه مستنداً على حكمة الله جعله يجاهر ويقول أنه لا يشعر بخطأ ما في عمله لذلك استطرد قائلاً حتى لا يعطي لإبليس الفرصة كي يستغلها في عقولهم التي تعودت فحص أمور الخدام والحكم عليها .. «.. لكني بذلك لست مبرراً»

فرغم كل ذلك.. حكمكم أنتم فيَّ.. حتى حكمي أنا في نفسي لا يكفي لتبريري.

وبولس الرسول في كثير من كلماته يستند على شهادة ضميره الحي.. على أعماله وخدمته. وكثير من الأحيان تبدو شهادة الضمير هذه صادقة ان أطاع الإنسان عمل الله وفعل ما يرضيه.

«.. فتفرس بولس في المجمع وقال: أيها الرجال الأخوة أني بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم» (أع ٢٣ : ١) وأيضاً: **«... لأن فخرنا هذا شهادة ضميرنا اننا في بساطة واخلاص لله لا في حكمة جسدية بل في نعمة الله قد تصرفنا في العالم ولاسيما من نحوكم»** (٢كو ١ : ١٢).

فهذا الضمير الذي يحكى عنه. لا يمكن أن يقال عنه انه صالح.. إن لم يكن سالكاً في بساطة تصديق المحبة.. وفي نفس الوقت عمل كل ما يرضي الله في اخلاص تام لكلمتة ووصاياه والسلوك ليس حسب الجسد وأعماله وحكمة بل بمقتضى نعمة الله وما تتطلب من الإنسان عمله. حينئذ يستطع الإنسان – الخادم – أن يقول «لست أشعر بشئ في ذاتي» وضميري لا يتعبني أو يؤنبني.

الآن، وحتى شهادة هذا الضمير رغم صدقها في حياة شخص مثل بولس الرسول إلا أننا نجده لا يتخذها ذريعة لتبريره.. لأننا إن فعلنا كل البر فنحن عبيد بطالون.. يريد أن يعلمنا أنه حتى و إن قال كل الناس فينا حسناً وعن صدق رؤيه ، و إن حكمنا نحن على أنفسنا بشهادة ضميرنا الصالح بنعمة الله. إن فعلنا ذلك فلن يستطيع أحد أن يجسر ويقول أنه مبرراً أي بريئاً من كل خطية وشر إذا ما وقفنا أمام الله بل وأمام الناس أيضاً. فأمام الله يعلمنا هذا داود النبي حينما يخاطب الله ويقول:

«.. إن كنت للآثام راصداً يارب من يثبت (يتبرر) **لأن من عندك المغفرة»** (مز ٢٩ : ٣١)

وأيضاً:

«.. لا تدخل في المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتزكى (يتبرر) **قدامك كل حي»** (مز ٤٢ : ٣)

ذلك لأنه لا يستطيع أحد أن يقول أنه بلا خطية طالما هو يحيا في الجسد.

أما أمام الناس فما هو احتياجي أن اتبرر أمامهم وفي نظرهم ؟ ليس هذا هو المهم بل أهم من ذلك كله أن يكون مدحي وتبريري من الله لا من الناس لذلك قال بولس الرسول:

[٤] **«.. ولكن الذي يحكم فيّ هو الرب»**

ذلك لأن الله هو وحده الديان العادل.. القادر أن يظهر كل خفايا الإنسان بكونه الله الغير محدود والذي لا يعسر عليه أمرٌ ما. وربنا يسوع المسيح نفسه أوصى كثيراً بعدم الوقوع في خطية الإدانة لأنها تعتبر سلب لحقٍ من حقوق الله وحده:

«.. لا تدينوا لكي لا تدانوا لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون. وبالكيل الذي تكيلون يكال لكم» (مت ٧: ١- ٥).

«.. لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين. لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور عينها ونحن نعلم أن دينونة الله هى حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه» (رو ٢: ١، ٢)

بعد ذلك، يوصيهم الرسول أن لا يتسرعوا في الحكم على أحد وليلاحظ كل واحد طرقه ولا يتجاسر ويمارس عمل الديان حتى لا يضع نفسه تحت طائلة انتقام الله لمجده الذي قال عنه **«.. مجدي لا أعطيه لآخر»** (إش ٤٢: ٨) فيقول:

[٥] **«.. إذن لا تحكموا في شئ قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب حينئذ يكون المدح لكل واحد من الله..»**

الوقت واليوم الموصوف هنا هو يوم الدينونة العام الذي فيه سنقف أمام منبر الله العادل نقدم حساباً عما صنعته أيدينا خيراً كان أم شراً. وكلمة **الرب** تعني ربنا يسوع المسيح لأنه قد أخذ كل حقوق دينونة البشر من الله **«.. إن الآب لا يدين أحد بل قد أعطى كل الدينونة للابن»** (يو ٥: ٢٢).

في ذلك اليوم.. سيصير عمل كل واحد ظاهراً (١كو ٢: ١٣) لأن الرب وهو النور الحقيقي وشمس البر.. سينير ويلقي الضوء على كل ما هو خفي ومستور وكل ما فعله الإنسان شراً في الخفاء بعيداً عن أعين الناس بل وكل ما فكر فيه في قلبه سيكشفه الله ويعطي للإنسان حساباً عنه في اليوم الأخير..

«.. في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب انجيلي بيسوع المسيح» (رو ٢: ١٦)

ويكفينا شهادةً عن عدل الله المطلق في دينونته هذا ما قاله سليمان الحكيم في سفر الجامعة **«فلنسمع ختام الأمر كله. إتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي ان كان خيراً أو شراً»** (جا ١٢: ١٣، ١٤).

طالما الأمر هكذا فلنترك الدينونة لله الديان العادل الذي سوف لا يترك شى إلا ويفحصه ويحضره أمامه للدينونة في اليوم الأخير. ولنهتم كل منا بخلاص نفسه وينشغل بخطاياه الشخصية وجهاده الشخصي حتى نكون جميعاً مزكين أو ممدوحين أمام الله. حينما يعطي الله كل واحد حسب عمله.

ولكن المدح الذي سيعطيه الله لنا لن يكون إلا على مقياس حالة القلب الداخلية من عمل روحي خفي، فيه يراعي الإنسان ما يرضي الله فقط الذي يرى في الخفاء وقادر أن يجازي علانية. لأنه كثيراً ما تخطئ مقاييس البشر في الحكم على الأمور لذلك نجد بولس الرسول يحدثنا أيضاً في رو ٢ عن هذا الموضوع:

«.. لأن اليهودي في الظاهر ليس يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح – سلوكاً روحياً – **لا بالكتاب** – الحرف القاتل – **هو الختان. الذي مدحه ليس من الناس بل من الله»** (رو ٢ : ٢٨، ٢٩)

فالدعوة في هذا الجزء إذن هى البعد عن خطية الإدانة لخطورتها ولأنها تعرض الإنسان لمقاومة الله له كمستكبر بكونه يمارس أمراً ليس من حقه بل من حق الله وحده لأنه الديان العادل وله وحده صلاحية وحق الحكم على البشر.

ثانياً : مثال الخدام المتضعين : (٦– ١٣)

بعد أن وضح لنا معلمنا بولس خطورة الإدانة وأنه ينبغي لنا أن نترك كل الدينونة لربنا يسوع المسيح كديان عادل وحده. يعطينا في هذا الجزء درساً عملياً في الإتضاع إذ يقول:

[٦] **«.. فهذا أيها الاخوة قد حولته تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبلوس من أجلكم لكي تتعلموا فينا أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب كي لا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الأخر»**

فحديثي إليكم لم أتركه بلا دليل بل جعلنا من نفسينا – أبلوس وأنا – وسيلة إيضاح ترون فينا ما نعلمكم إياه نظرياً. حتى لا تقعوا في فخ إبليس المحارب الذي يريد أن يسقط جميع البشر في الكبرياء التي سقط فيها هو، ومن أهم مظاهرها خطية الإدانة. لذلك قال لهم «.. ان لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب..» فما هو المكتوب هذا؟

+ مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء.. (١كو ١ : ١٩) وطبيعي أن الذي يدين غيره بكبرياء قد اعتمد بصفة نهائية على حكمتة وفهمه الخاص ومكتوب ان الله سيبيدها لفسادها وعدم موافقتها لحكمة الله وفهم الله.

+ مكتوب أيضاً .. **«.. أن لا يرتئى فوق ما ينبغي أن يرتئى بل يرتئى إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقدار من الإيمان»**.. (رو ١٢ : ٣). فالمكتوب هنا ربما يكون مقدار الإيمان الذي

قسمه الله لي بالروح القدس -كتبه لي - وذلك إستناداً على قامتي وطاقة احتمال روحياتي واتضاعي. الذي سبق وسماه سليمان الحكيم « خبز الفريضة »..

«.. أعطني خبز فريضتي. لئلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب أولئلا افتقر واسرق واتخذ اسم إلهي باطلاً» (أم ٣٠: ٨، ٩)

فكوني ادين غيري - من الخدام أو من أخوتي - معناه أني قد كفرت بالله بكوني قد سلبته حقاً من حقوقه وحده. ليس ذلك فقط بل كبريائي وسقوطي في الإدانة يوقعني أيضاً في التحزبات والانقسامات ويجعلني أتعصب لشخصٍ أو لمبدأ أو لجماعة وهذه كلها أمور لا تتفق بالمرة مع حياة الاتضاع والانسحاق التي سبق وعلمنا إياها ربنا يسوع وأيضاً ما علماهم إياها بولس وأبلوس لذلك قال لهم «.. لئلا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر» أي لئلا تتشيعوا.. وتنقسموا وتقولوا بعضكم أنا لبولس والآخر أنا لأبلوس. هل رأيتمونا نفعل هكذا؟.. أم رأيتمونا في اتضاع نقول **«..ليس الغارس شيئاً ولا الساقي شيئاً بل الله الذي ينمي»** (١كو ٣: ٧)، وسلكنا في وسطكم دوماً بهذا الروح.

ثم يستمر في توبيخه لهم على كبريائهم فيقول:

[٧] «.. لأن من يميزك. وأي شئ لك لم تأخذه وان كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ»

من أعطاك الحق في أن تشعر أنك أفضل من غيرك ومميزاً عنه سواء بمواهب أو صفات وما الذي تمتاز أنت به عن غيرك من هذه المواهب والصفات. لا شئ طالما كل الأمور هى من الله. وطالما الله هو معطي جميع المواهب والخيرات فأنت من ذاتك لا تستطيع أن تملك أن تتفاخر وكأنك غير سائر البشر في قدرتك وصفاتك الحميدة. لأنه أي شئ جميل فيك كنت أنت صاحب الفضل في وصولك إليه؟ إن أية قوة فيك تشعر بها جاءت إليك وليست من ذاتك. باختصار أي شئ تفعله الآن.. وأي صفة وموهبة تتحلى بها الآن لم تأخذها من خارجك كهبة مجانية من الله المعطي بسخاء؟

هذا ما قد علمه لنا قديماً يوحنا المعمدان حينما قال عن السيد المسيح:

«.. لا يقدر انسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطي من السماء» (يو ٣: ٢٧)

ذلك لأن السماء هي مصدر كل النعم والبركات والمواهب الروحية. بل وعلمنا أيضاً معلمنا يعقوب الرسول في رسالته:

«.. كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع ١ : ٧)

وأيضاً: **«.. ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة»** (١بط ٤ : ١٠)

والآن إذا كنتم قد عرفتم أنه لا ينبغي لنا أن ننتفخ ونتفاخر الواحد على الآخر وإذا كنا قد علمنا أن الله هو الرازق ومعطي جميع النعم والمواهب. لماذا تكابر أكثر.. وتفتخر متعظماً وكأنك لست بحاجة إلى أن تأخذ.

في الحقيقة هذه هى صفة أخرى أو مظهراً آخر من مظاهر كبرياء النفس. أن أشعر بعدم الاحتياج.. أو بالحقيقة بالاستغناء عن الله في حياتي وسلوكي. وفي كبريائي أقول إنني من ذاتي أستطيع!!

لكن الإنسان المتضع حقاً.. هو من ينسب كل صلاح فيه إلى الله المعلم الصالح وحده.. وكل خطية وشر فيه لذاته وميوله الرديئة.. الإنسان المتضع هو من يشعر ويثق أنه ضعيف وان فضل القوة لله لا منا.. حتى يؤهل باستمرار لمواهب أكثر من الله بالروح القدس الذي لا يعمل إلا في قلب متضع. الإنسان المتضع أيضاً هو من تعود حياة الشكر لله على مواهبه لعلمه أنه **ليست موهبة بلا زيادة إلا التي بلا شكر**. ذلك لأن شكري المستمر يعني احساسي بعطية الله لي واعترافي الدائم بفضله عليّ أما البعد عن حياة الشكر فهو كبرياء دفين في النفس تلزمه جلسة يكتشف فيها الإنسان أنه وهو بعيد عن الله فهو عريان تماماً من كل بر. أخيراً الإنسان المتضع هو الذي لا يسقط في خطية العناد.. سواء مع الآخرين أو حتى مع نفسه لأن العناد معنى واضح جداً للاعتماد على الذات وليس على الله.

بهذا يكون بولس الرسول قد وضع يده كطبيب حاذق على أصل الداء في كورنثوس وهو شعورهم بالكبرياء وان كان قد أخذ مظاهر متعددة من التدين المريض أو التعصب الأعمى. وهذا ما سوف يوضحه أكثر في الجزء التالي:

[٨] **«.. انكم قد شبعتم قد استغنيتم. ملكتم بدوننا. وليتكم ملكتم لنملك نحن أيضاً معكم»**

لقد شعرتم في ذواتكم بالشبع والاستغناء عن الله في سرعة رهيبة لا تتفق أبداً مع تدرج النمو الروحي البديهي عند كل من عرف الرب حديثاً. تتحدثون وكأنكم قد كمّلتم الإيمان والجهاد

والسعي وأنتم لم ينقض بعد سنتين على إيمانكم بالمسيح وتدينكم الذي لو فحصتموه جيداً لوجدتموه مريضاً يحتاج إلى تقويم وعلاج كثير. لذلك ليس من السهل عليكم أن تجاهروا بأنكم قد ملكتم لأن الأمر ليس ببساطة بسبب خداع إبليس ومكره ومحاولاته اسقاط حديث الإيمان في خطية الكبرياء والبر الذاتي كما وقعتم أنتم فيها.

لقد خشى بولس الرسول ونبه تلميذه تيموثاوس أن يحتذر عند اختياره الأسقف أن يختاره من بين حديثي الإيمان لنفس هذا السبب لذلك قال له:

«.. غير حديث الإيمان لئلا يتصلف فيقع (يسقط) في دينونة إبليس» (١تى ٣ : ٦)

ذلك لأنها حرب لا تترك مبتدئ في حياة التوبة إلا وأوقعته أو أرادت اسقاطه فيها لإن إبليس عندما يرى الإنسان قد بدأ حياة التوبة وترك الخطية عن عزيمة وقوة يبدأ يحاربه بهذه الضربة كسلاح يميني خادعاً الإنسان بأنه قد صار قديساً عظيماً.. بل وربما يوهمه بأنه لم يعد يحارب كالقديم أو كمثل أقرانه الذين هم لازالوا يرزحون تحت نير الخطية فيبدأ يقارن بينه وبين الآخرين وهذا مدخل آخر لحرب الكبرياء.

لذلك الأمر، خشى الآباء جداً من السقوط في الكبرياء هذا.. وسلكوا طريق الاتضاع كطريق مضمونه مأمونة العواقب لعلمهم أن الخطيـــة **«.. طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء»** (أم ٧ : ٢٦).

فلماذا تجاهرون وكأنكم قد وصلتم لكمال الإيمان والسعي؟ تمثلوا بي – أنا بولس – إن كان يحق لكم أن تفتخروا فبالأولى كثيراً يحق لي أيضاً بسبب كوني الكارز لكم ومقدمكم في الإيمان. ولكن ما وصلت إليه من قداسة وبر لم يكن إلا بسلوكي وديعاً متضعاً لا أتفاخر إلا بأمور ضعفي ولا أشعر أبداً إنني قد بلغت أو نلت شيئاً:

«.. ليس إني قل نلت (شيئاً) أو صرت كاملاً ولكني أسعى لعلي أدرك الذي أدركني لأجله أيضاً المسيح يسوع. أيها الاخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت (شيئاً) ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (فى ٣ : ١٢– ١٤).

رأينا الآن ما يضعه بولس لنا من سعي دائم وجوع دائم وعطش دائم للبر.. لا ينتهي أبداً إلا بإنتهاء الحياة. ولا تحده رتبة ما من الروحيات مهما علت.

«طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون» (متى ٥ : ٦)

يشبعون هنا حياة قوية في الرب يمتدون بها في جوع وعطش جديدين كمن يطارد الأفق[1] حتى يصلوا للأبدية السعيدة حيث نكون مع الرب في كل حين. أما شعور الشبع الذي يقود إلى الإستغناء عن الرب يسوع. فهو سعي مريض نحو تمجيد الذات وسقوط سريع في حرب الكبرياء القادرة بسبب شدتها أن تسقط أعظم قديس حتى في خطايا المبتدئين. وهذا ما قاله رب المجد يسوع لملاك كنيسة لاودكية:

«.. أنا مزمع أن أتقيأك من فمي. لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شئ ولست تعلم إنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفى بالنار لكي تستغنى» (رؤ ٣: ١٤ – ١٨)

هكذا كل من وقع في الكبرياء – في حقيقته فقير وأعمى وبائس وعريان. يلزمه ذهب مصفى بالنار من الرب يسوع أي روحيات عالية – ذهب – تعطى بجهادات وأتعاب تتزكى بمثابرة الإنسان وثباته ثبات الذهب في النار كيما يتخلص من شوائبه ليكون في النهاية سبب غنى حقيقي يلمع في الأبدية. لا غنى مظهري في الأرض ربما يكون بسبب أن نعمة الله حفظتني كمبتدئ وسترتني كجاهل لأمور إبليس وحروبه كتشجيع من الله حتى لا أيأس في بداية الطريق.

الأمر إذن يلزم منا حياة السهر والتدقيق والصحو لحيل إبليس الذي لا نجهل أفكاره ٢كو٢ :١١

ثم يستمر بولس الرسول في حديثه إليهم. تقولون أيضاً أنكم قد ملكتم.. الحقيقة الأكيدة التي نسعى للحصول عليها على الأرض مجاهدين حتى نكملها في الأبدية .. كوعد ربنا يسوع نفسه..

«.. الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه» (رؤ ١: ٦)

ولكن هذا الملك.. مع كونه حقيقة إيماننا المؤكدة كإمكانية في إيدينا أن نحصل عليه أن نفرط فيه فنفقده للأبد، علمتنا الوصية أن نجاهد.. ونصبر.. ونثبت حتى يصير هذا الملك لنا في نطاق الفعل والثبات واليقين كميراث لنا.. ففي سفر أعمال الرسل أرى بولس وبرنابا يعلمنا الناس..

«.. أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت السموات» (أع ١٤: ٢٢)

وكلامهم هذا ما هو إلا توضيح لنا لكلام رب المجد عن الملكوت حينما قال:

«.. من أيام يوحنا المعمدان. ملكوت الله يُغصَب والغاصبون يختطفونه» (مت ١١: ١٢)

---

(١) هذه المقولة للبابا شنودة الثالث.

واضح أن هذا الاغتصاب يتطلب جهداً وصبراً وثباتاً شديداً حتى يؤهل الإنسان لهذا الميراث الأبدي. لذلك قال بولس لتلميذه تيموثاوس:

«.. إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه» (٢تى ٢ : ١٢)

فالموضوع إذن ليس بالهين. أن يجاهر كل من سار خطوة في الطريق أنه قد صار كاملاً وغنياً وملكاً مع المسيح رغم أنها كلها حقائق إيمانية ولكن يلزم تكميلها بالجهاد لذلك ولعلم بولس الرسول أن مجاهرتهم هذه ليست حسب الحق إستطرد وقال لهم ***«.. ملكتم بدوننا»*** لأنكم لم تجاهدوا الجهاد المطلوب. فلم تملكوا بالحق كما هو مكتوب ان حصولنا على هذا الملك مرهون بجهادنا وثباتنا وصبرنا على ضيقات كثيرة وشدائد متنوعة وحروب ضروسه تسندنا فيها نعمة الله إذا طلبنا... أما تراخينا في الجهاد وكسلنا في العمل الروحي كفيلٌ بأن يفقدنا كل هذه البركات مهما حاولنا أن نظهر للناس أننا أبرار وأغنياء وملوك.

نعود الآن ونؤكد أن الدعوة ليست إلى حياة كلها نكد وغم وبكاء على الخطية بل أمل في تجديد ورجاء في الشعور بالإنتصار الروحي، بل الدعوة هى إلى حياة الجهاد المتلازم مع نعمة الله. في هذه الحياة لا أتطرف يميناً إلى حياة الشعور بالإستغناء عن الله أو الاعتماد على الذات. ولا أتطرف يسارياً بالميل إلى حياة الكسل والتراخي والعزوف عن الجهاد بحجة ضعف الجسد وشدة الحرب عليّ. والطريق المضمونة لذلك هى سكة الإتضاع التي سبق وأوضحنا معالمها. اتضاعي الدائم وشعوري المستمر والحقيقي من داخلي بالحاجة إلى الله وقوته يجعل كل قوة السماء تسرع لنجدتي في أي حرب.. **«تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل»**.. وفي نفس الوقت تذهب عني كل الأبالسة المحاربين لي لأن الشيطان لا يحتمل اتضاع الإنسان كما قال لأبينا أنبا مقار..

«.. أنت تصوم ونحن لا نأكل. أنت تسهر ونحن لا ننام.. ولكنك تغلبنا بشئ واحد هو اتضاعك»

لذلك قال القديس مار اسحق السرياني ***« إذا حوربت بأفكار المجد الباطل. ذكر مريم بزناها. وإسرائيل بإنهزامه »*** أي تذكر ضعفك وخطيتك فتهرب عنك الشياطين وتسرع لمعونتك ربوات الملائكة.

ولكن لنا أن نؤكد على عدم المغالاة في كلا الاتجاهين. لا إتضاع مريض بلا رجاء يؤدي إلى صغر النفس واليأس من رحمة الله. ولا تواكل على نعمة الله يؤدي إلى كسل في الجهاد واستهانة بأعداء الطريق وبالتالي سقوط في الكبرياء. وهذا ما علمنا إياه القديس أوغسطينوس فقال:

« لا تيأس فإن اللص اليمين خلُص. ولا تغتر فإن اللص الشمال هلك »

ففي حرب اليأس من الخلاص تذكر رحمة الله التي أحيت كل الجنس البشري وقادرة أن تدركك مهما كانت حالتك. وفي حرب الكبرياء تذكر خطيتك ونعمة الله التي سندتك والتي بدونها لكنت مع الهالكين.

نعود للرسالة لنرى بولس الرسول يخبرهم ويعلمنا أن إنتصارهم كمخدومين هو في ذاته انتصار للخادم.. وصولهم للمسيح هو بمثابة تاج مجد على رأس الكارز.. لذلك قال لهم: **«.. ليتكم ملكتم لنملك نحن أيضاً»** بمعنى أنهم لم يملكوا لأنهم لو كانوا قد ملكوا بالحقيقة لكان هو أيضاً قد شعر ببركات هذا الملك لأنه لا انفصال بينه وبينهم.

بعد ذلك يعطينا درساً عظيماً في أنه كيف ينبغي لنا أن نتضع ولا ننتفخ متذكرين أن الموضوع ليس ببساطة المجاهرة الساذجة بأننا قد أكملنا جهادنا. إذ وهو المبشر العظيم والكارز الذي شهد الرب يسوع عنه لحنانيا أنه إناء مختار يحمل رسالة الإنجيل نجده يقول:

[٩] «.. فإني أرى أن الله قد أبرزنا نحن الرسل آخِرين كإننا محكوم علينا بالموت لإننا صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس»

حتى ونحن رسل.. فنحن آخر الكل[١]. ليس لنا طمعاً في شئ.. صليب الخدمة جعلنا نشعر هذا في داخلنا.. اننا لا نستحق حتى الدخول في صفوفكم كمؤمنين بل صرنا منظراً لعالم الملائكة والناس كوسيلة إيضاح.. أو حقل تجارب.. يرى الناس فينا ما نعلم به.. كإننا محكوم علينا بالموت.. وكلنا نعلم أن المحكوم عليه بالموت.. لا يملك أن يفعل شئ إلا أن يصمت ويطيع ويتمم كل ما يطلب منه. ببساطة يسلك وكأنه ليس فقط محكوم عليه بالموت بل وكأنه ميت بالحقيقة لا يهمه كرامة ولا مجد في العالم بل حتى كل أمور الجسد لا تهم لذلك قال:

[١٠-١٣] «.. نحن جهال من أجل المسيح أما أنتم فحكماء في المسيح. نحن ضعفاء وأنتم أقوياء أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة. إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا اقامة. نتعب عاملين بأيدينا. نُشتَم فنبارك. نُضطَهد فنحتمل. يُفترَى علينا فنعظ. صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شئ إلى الآن»

---

(١) جاءت هذه الجملة في الانجليزية هكذا "at the very last place" لتوضيح إلى أي مدى كان الرسول يشعر بالضياعه.. وبأهمية أن ينكر الكارز نفسه ليخلص الكثيرين.

يريد أن يقول لهم أنه لا يبغي سوى مجدهم ومعرفتهم للمسيح وملكهم الحقيقي معهم لذلك استهان بكل ما ذكره من جهل وضعف وعدم كرامة.. في سبيل أن يصلوا هم للغاية المنشودة حينئذ سيفرح هو أيضاً لأن فرحه من فرحهم..

هذا ويمكننا الاطلاع على أتعابه في الخدمة إذا ما تأملنا في الآتي:

«.. في كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله في صبرٍ كثيرٍ في شدائد في ضرورات في ضيقات. في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في أسهار في أصوام. في طهارة في علم في اناة في لطف في الروح القدس في محبة بلا رياء في كلام الحق في قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار. بمجد وهوان بصيت ردئ وصيت حسن. كمضلين ونحن صادقون كمجهولين ونحن معروفون. كمائتين وها نحن نحيا. كمؤدَبين ونحن غير مقتولين. كحزانى ونحن دائماً فرحون. كفقراء ونحن نغني كثيرين. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ»
(٢كو ٦: ٤- ١٠)

وأيضاً:

«.. في الأتعاب أكثر في الضربات أوفر في السجون أكثر في الميتات مراراً كثيرة. من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة. ثلث مرات ضربت بالعصي. مرة رجمت. ثلث مرات انكسرت بي السفينة. ليلاً ونهاراً قضيت في العمل. بأسفار مراراً كثيرة بأخطار سيول بأخطار في البحر. بأخطار من اخوة كذبة. في تعب وكد. في أسهار مراراً كثيرة في جوع وعطش. في أصوام مراراً كثيرة. في برد وعري. عدا ما هو دون ذلك. التراكم عليَّ كل يوم. الإهتمام بجميع الكنائس. من يضعف وأنا لا أضعف. من يعثر وأنا لا ألتهب»
(٢كو ١١: ٢٣- ٢٩)

ولكي لا يظنوا أن عمله هذا قد أخذ فترته وانتهى.. يقول لهم في اجمال «.. صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شئ إلى الآن». أي أننا مازلنا وسنستمر كأقذار العالم ووسخ كل شئ. يصب علينا العالم افتراءاته.. وتعييراته ونحن نصبر ونبارك ولا نلعن.. كل ذلك حباً في المسيح فخرنا الحقيقي ومجدنا الحقيقي.

ثالثاً : بولـــس الأب : (١٤- ٢١)

والآن لئلا يظن أحد منهم أن بولس يعيرهم بأتعابه لأجلهم.. يقول لهم:

[١٤، ١٥] «... ليس لكي أخجلكم أكتب بهذا بل كأولادي الأحباء أنذركم لأنه وان كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون. لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل»

خوفي عليكم ومحبتي لكم هما اللذان دفعاني لأن أكتب هذا.. وأنتم أولادي الأحباء أتكلم معكم بدافع مسئوليتي تجاهكم كأبناء لى.. ليس فقط حقل كرازتي.. لأنكم بالحقيقة وكل من خدمتهم أولادي في المسيح. ثم يبدأ يفرق بين ربوات المرشدين وبين الأب الواحد.. الذي يتوفر لديه الحب لأولاده.. والنية لأن يبذل لأجلهم ذاته حتى الموت. فيقول لهم، إن كان لكم عشرات الألوف ممن كلموكم عن الرب.. إلا أنه لكم أب واحد هو المسيح.. وأبوة المسيح لكم بدت في تعبي أنا بولس لأجلكم.. لأني ولدتكم بكلمة كرازتي وبشارتي بإنجيل ربنا يسوع المسيح.. فلا أبغي إذن مجداً لذاتي بل وأنتم أولادي.. فأنتم أيضاً تعبي الذي سأحاسب عليه أمام المسيح أبو الكل.. حينما يسألني في اليوم الأخير سأقول له بفرح **«.. هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب»** (إش ٨: ١٨)

وفي هذا الجزء يركز بولس على عمل الوصية وكلمة الله في تغيير الإنسان إلى صورة المسيح. فكلمة الله الحية الفعالة. لها القدرة فعلاً على تغذية وإنماء الإنسان الروحي وتخليصه من كل ما شابه وغطاه من سلوكيات رديئة سار فيها الإنسان بعد المعمودية. فلو تصورنا الإنسان الروحي الذي أخذناه في المعمودية جنيناً.. فهذا الجنين لابد أن يتغذى على وسائط النعمة ومنها كلمة الله. والوصية الحية التي لها قوة التأثير والتغيير في داخل الإنسان وهذا هو عين ما قاله رب المجد...

«.. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو ٦: ٦٣)

وباستمرار عمل الوصية في القلب المؤمن تنطبع صورة المسيح فيه بالروح القدس الساكن فينا والعامل معنا.. الذي يأخذ مما للمسيح ويخبرنا.. إلى أن يكمل نمو هذا الجنين ونصل إلى ملء قامة المسيح في القداسة والنعمة والنقاوة والبر. ولأهمية هذا الموضوع نرى بولس الرسول في سفر الأعمال يحدثنا عن سنة وستة شهور كاملة يتحدث مع الناس بكلمة الله حتى يخلصهم..

«.. فأقام سنة وستة شهور يعلم بينهم بكلمة الله» (أع ١٨: ١١)

وقد كانت هذه المدينة هى كورنثوس نفسها.. (أع ١٨: ١، ٨)

وهكذا نرى أنه لا يبالغ إن قال لهم أنهم أولاده في المسيح بواسطة الإنجيل.

والمتتبع لخدمة معلمنا بولس الرسول يرى جيداً اهتمامه بكلمة الله في الخدمة من جهة ومن جهة أخرى شعور الأبوة الحانية التي تلازمه حتى في سجنه وضيقه. فمثلاً نجده يتحدث عن أنسيموس العبد ويقول لفليمون:

«.. أطلب اليك لأجل إبني أنسيموس الذي ولدته في قيودي» (فل ١٠)

وبروح الأبوة المترفقة والمتحننة نجده يرجو فليمون لأجله ويقول:

«.. أرِحْ أحشائي في الرب» (فل ٢٠)

وكأنه كالأب الذي يمرض ابنه فيظل قلقاً عليه يعاني داخليا لأجله إلى أن يتم شفاؤه أو تُحل مشكلته..!! وبنفس المفهوم يخاطب أهل غلاطية قائلاً:

«.. يا أولادي الذين أتمخض بكم إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غلا ٤ : ١٩)

فالأمر إذن ليس مجرد تعب خارجي أو حتى مشاعر أبوة وحب.. بل هو آلام داخلية يشعر بها الخادم المحب لأولاده. ويظل فيها يبذل ذاته حتى يصل الجميع لله.. ويكتمل نموهم الروحي وتظهر فيهم صفات المسيح الجميلة (يتصور فيهم المسيح).

رأينا فيما سبق طلب بولس منهم أن يقبلوا تحذيره لهم كأب يحبهم لا كسيد يتسلط عليهم أو يريد اخجالهم.. والآن نراه يطلب منهم أن يسلكوا كما سلك هو في وسطهم ويتذكروا باستمرار طرقه في معالجة المشاكل المختلفة..

[١٦، ١٧] «.. أطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بي. لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب والأمين في الرب الذي يذكركم بطرقي في المسيح كما أعلم في كل مكان في كل كنيسة»

ذلك لأن التمثل بالخدام المتواضعين يعطى نعمة للمخدومين لدى الله.. ويعصمهم من الزلل في فخاخ إبليس ويجعلهم ينالون بركة من الرب. ولكن هذا التمثل والتشبه بالخدام لن يكمل إلا في سلوك الطاعة الكاملة للخدام الذين هم مرسلون من الرب. لذلك قال بولس لأهل تسالونيكي وهو يكتب إليهم من كونثوس :

«أنتم صرتم متمثلين بنا وبالرب. إذ قبلتم الكلمة - الإنجيل - في ضيق كثير بفرح الروح القدس. حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون في مكدونية وفي آخائية - كورنثوس»
(١تس ١ : ٦، ٧)

لنلاحظ التسلسل الجميل في سياق هذه الأية.. تمثلكم بنا في حقيقته تشبه بالرب الذي أرسلنا.. وهذا التمثل أخذ مظهر الطاعة وقبول الكلمة في فرح كثير وضعه فيكم الروح القدس رغم الضيقات التي قابلتكم. وبصبركم فيها استحققتم أن تكونوا قدوة لأهل كورنثوس. وكأن بولس وهو يخاطب الكورنثيين أن يتمثلوا به.. يذكرهم باخوتهم في تسالونيكي وكيف كانت مكافأة طاعتهم للكلمة وقبولهم لها في فرح.

ولكي يفوت على ابليس الماكر فرصة أن يتحايلوا ويدعوا أنهم لا يعرفون كيف يتمثلوا به وهو غائب عنهم بالجسد قال لهم أنه أرسل تيموثاوس خصيصاً لأجل تذكيرهم بطرقه في المسيح وكيف كان يسلك - هذه الإرسالية التي ورد ذكرها في (أع ١٩ : ٢٢) - ليس فقط في كورنثوس بل وفي كل مكان.. في كل حقل كرازة في كل كنيسة مما يعطي صورة عن ثبات بولس في الخدمة ومبادئه الراسخة التي لم تتغير تبعاً لظروف المخدومين.. لأنه لا يحابي الوجوه.. بل وضع في قلبه باستمرار أن يشهد للمسيح بما وضعه المسيح ذاته في فمه.. وما علمه إياه.. وكمثال لهذا السلوك اقرأ معي ما كتبه لأهل تسالونيكي:

«.. فإننا لم نكن قط في كلام تملق كما تعلمون ولا في علة طمع. الله شاهدٌ. ولا طلبنا مجداً من الناس لا منكم ولا من غيركم مع أننا قادرون أن نكون في وقار كرسل المسيح. بل كنا مترفقين في وسطكم كما تربى المرضعة أولادها. هكذا إذ كنا حانين إليكم كنا نرضي أن نعطيكم لا انجيل الله فقط. بل أنفسنا أيضاً. لأنكم صرتم محبوبين إلينا... أنتم شهودٌ والله - شاهدٌ - كيف بطهارة وبر وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين. كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجعكم. ونشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده» (١تس ٢ : ٥- ١٢)

هذا ويبدو أن دافع معلمنا بولس للحديث معهم بهذه الطريقة سببه أن بعضاً منهم تكبروا.. وظنوا أنه ذهب من كورنثوس بلا رجعة ولا متابعة لثمر خدمته فيهم وعندهم..

[١٨] «.. فانتفخ قوم كأني لست آتياً إليكم»

فالذين انتفخوا استهانوا بالخطية وسمحوا لأنفسهم بارتكاب شرور فاسدة وصمتوا عن توبيخ الخاطي الشهير في كورنثوس الذي زنى مع امرأة أبيه..

«.. أفأنتم منتفخون وبالحرى لم تنوحوا حتى يرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل» (١كو ٥: ٢)

ذلك لأن كبرياء الإنسان كثيراً ما تعميه عن اكتشاف الخطية واتخاذ موقف إيجابي تجاهها..

لذلك استطرد يقول أنه سيأتي إليهم سريعاً وهذا ما فعله كما ذكر سفر الأعمال (أع ١٨: ٢١)

[١٩، ٢٠] «.. ولكني سآتي إليكم سريعاً ان شاء الرب فسأعرف ليس كلام الذين انتفخوا بل قوتهم لان ملكوت الله ليس بكلام بل بقوة»

ولكي نفهم قصده.. (سأعرف ليس كلام الذين انتفخوا بل قوتهم)، نعرِّف أولاً ملكوت الله.. فالمقصود بالملكوت هنا.. ثمر الكرازة بالإنجيل أو بركات الإنجيل التي يشعر بها ويستحقها من قبل الإنجيل.. هذه الأمور التي لا يستطيع الكلام أن يورثها للإنسان بل قوة روح الله القدوس.. ومن هنا صار التعبير أن الشعور بثمر الإنجيل ليس بالكلام بل بالقوة.. وهو نفس ما علم به بولس..

«.. كلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع.. بل ببرهان الروح والقوة» (١كو ٢: ٤) أي بعمل قوة الروح القدس فينا ..

«.. لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس – قوة الروح القدس» (رو ١٤: ١٧) وأيضاً في (١تس ١: ٥)

«.. ان إنجيلنا – الملكوت الذي ننادي لكم به – **لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد كما تعرفون أي رجال كنا بينكم من أجلكم»**

والآن.. إذا كانت الوسيلة لمعرفة طرق الإنسان هى في بيان ثمر تدينه الذي يظهره عمل الروح القدس.. فمن انتفخوا بينكم.. فاقدون لعمل الروح القدس وبالتالي سيكون ثمر تدينهم الخاطئ ظاهر ومفضوح أنه بلا قوة لذلك قال: سأعرف ليس كلامهم بل قوتهم.. ليس مجاهرتهم وعنفهم.. وغيرتهم الظاهرة وتدينهم المظهري.. بل ثمر الفضائل فيهم.. عندهم أم لا.. أنا لن أهتم بالنقاش والجدل عن حقيقة سلوك هؤلاء وتعليمهم إن كانوا يعلِّمون لأن ثمرهم واضح وظاهر في كونهم قد سكتوا عن سكنى هذا الخاطئ في وسطكم فاستهانوا بالخطية وهذا وحده كافي لبيان ما في نفوسهم من تراخي وكسل وتهاون. وهذا كله لم أعلمكم إياه.

وبولس الرسول هنا يقرر مبدأ هاماً جداً في الخدمة وهو عدم تضييع الوقت في مناقشات عقيمة لا تؤدي إلى هدف لاسيما إذا كانت مع أشخاص عرفت الكبرياء طريقها إلى قلوبهم بل العمل

الإيجابي هو وحده البناء المعالج لآثار سلوك هؤلاء الناس عن طريق اعادة الأمور في نصابها الصحيح وذلك عن طريق تذكيرهم بطرقه وسفره بنفسه إليهم لتوضيح كيف يكون التدين؟ وكيف سلمه هو إليهم وان كانوا قد تغربوا عن هذا التعليم.

ولكي يوضح لهم أن الموضوع لا يحتمل التأجيل أو التهاون قال لهم أنه لن يتورع عن استخدام الشدة والقسوة في معاملتهم إذا تطلب الأمر ذلك. وهذا أيضاً لن يخرج عن نطاق مسئوليته الأبوية عنهم:

[٢١] «.. ماذا تريدون أبعصا آتي إليكم أم بالمحبة وروح الوداعة»

صحيح أن العصا هى للتأديب ولكن للتقويم أيضاً.. وهذا ما أوصى به سليمان الحكيم الآباء الجسديين في بعض الأحيان.. بل هذا ما يفعله الله معنا إذ يقول له داود المرنم:

«.. عصاك وعكازك هما يعزيانني» (مز ٢٣)

هكذا بولس الرسول.. بأبوته الصادرة إليه من الله.. بالعصى والعكاز يعامل أولاده.. يشد عليهم إذا تطلب الأمر الشدة ويعاملهم بقسوة – ظاهرية – اذا تطلب الأمر وكان لمنفعتهم وهذا ما فعله مع خاطئ كورنثوس الذي سيأتي ذكره في الأصحاح الخامس. ويبدو أن الناس في هذه المدينة استلزموا بولس أن يفعل معهم هذا التدبير إذ يقول لهم في موضعين تقريباً نفس الكلام:

«.. ولكني أطلب أن لا أتجاسر وأنا حاضر بالثقة التي بها أرى أني سأجترئ – سأتجرأ – على قوم يحسبون كأننا نسلك حسب الجسد» (٢كو ١٠ : ٢)

«.. لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكي لا أستعمل حزماً – شدة – وأنا حاضر حسب السلطان الذي أعطاني إياه الرب للبنيان لا للهدم» (٢كو ١٣ : ١٠)

وهو هنا يقرر أنه من حقه حسب السلطان الممنوح له كرسول من الله استخدام الشدة في بعض الأحيان ولكن هدفه بنيان النفوس وخلاصها وليس هدمها.

وهنا يثور سؤال هام.. ما الذي يضمن للخادم باستمرار أن استخدامه للعنف جاء في محله واستخدامه لروح الوداعة والمحبة جاء أيضاً في محله؟ .. في الحقيقة لا شئ يؤمن الخادم في هذه المواقف سوى اتكاله على إرشاد الروح القدس داخله وترك الروح القدس ينطق على لسانه ويقوده في كل مواقف الخدمة حسب ما يتراءى له وهو فاحص القلوب والكلى ويعرف إحتياج كل موقف وأيضاً كل نفس مخدومة هنا.

وهذا نفسه واضح جداً في خدمة بولس في كورنثوس إذ أنه سوف سيستعمل الحزم والشدة والعصا مع الخاطئ عندهم ثم عندما يجد أن التأديب قد أتى بنتيجة مرضية سيأمرهم برفع العقوبة عن هذا الخاطئ ورده مرة أخرى لحياة الشركة معهم.. أي أن استخدامه للعصا كان في وقته ولحين، ثم عاد واستخدام المحبة وروح الوداعة حسب ما أرشده روح الله القدوس.

✠✠✠

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح الخامس ﴾

مقدمة : حتى نهاية الأصحاح الرابع يتحسس الرسول مواضع الألم في جسم الكنيسة عندهم حتى كطبيب حاذق يستطيع أن يصف لهم الدواء المناسب، وهنا يبدأ في العلاج. ولاحظ معي مصارحته لمرضاه بخطورة ما يتعبهم.. خوفاً عليهم من الاستمرار في المشاحنات والإدانة تاركين الفساد يعبث بهم من الداخل ويقوض امكانية تغييرهم إلى القداسة. وهو في ذلك يقسم كلامه إلى تشخيص المرض ثم علاجه ثم الوقاية منه أيضاً.

١- المـــــــــــــــــــــرض (١- ٢)
٢- العلاج (عزل خميرة الشر) (٣- ٨)
٣- الوقاية (عدم مخالطة الزناة) (٩- ١٣)

أولاً : المـــرض : (١- ٢)

[١] «... يُسمَع مطلقاً أن بينكم زنى وزنى هكذا لا يسمى بين الأمم حتى أن تكون للإنسان امرأة أبيه»

إذا كان معلمنا بولس قد أبان (بيّن) خطورة الانقسامات والتحزبات في الكنيسة. وأيضاً بطلان الحكمة الإنسانية مهما كانت مقنعة. وكبرياء الإنسان الذي يجعله يظن أنه قد نال أو انهى جهاده وكمل تعبه. الآن يقول لهم بينكم زنى.. ورائحة هذه الخطية العفنة قد علت جداً حتى إنني علمت وأناس كثيرون أيضاً قد عرفوا - **يسمع مطلقاً** - والسبب في ذلك هو وجود هذه الخطية وسطكم. ومن بشاعة الخطية يقول لهم ان مثل هذا الفعل الفاضح لا يوجد حتى بين الأمم الذين يمارسون الزنى ضمن بعض طقوسهم الدينية الوثنية.. وأنتم أولاد الله تسمحون بمثل هذه الخطية التي لا توجد عند الأمم.

ونلاحظ هنا أن بولس الرسول رغم أنه سيتخذ فيما سيأتي اجراءاً حازماً مع الخاطئ الذي مارس هذا الفعل، إلا أنه يركز في الأول على وجود الخطية فلم يقل بينكم زاني.. بل بينكم زنى. تماماً مثلما قال الله ليشوع بن نون عن عخان بن كرمي:

«.. في وسطك حرام يا إسرائيل فلا تتمكن للثبوت أمام أعدائك حتى تنزعوا الحرام من وسطكم» (يش ٧ : ١٣)

ذلك لأن الخطية هى أصل كل البلايا والمحن التي يمكن أن تبتلى بها أي أمة.. كقول الحكيم.. **«البر يرفع شأن الأمة.. وعار الشعوب الخطية»**. فهو هنا يقول لهم.. في وسطكم حرام كفيل بأن يدمر كل الكنيسة ان أنتم سكتم عليه.. في وسطكم زنى وخطية تحرمكم من كل تمتع روحي مع الله. في وسطكم نجاسة من الممكن أن تكون سبب فشل ذريع في كل عمل تباشرونه لأنه لا يليق بكم كمؤمنين في المسيح أن يكون بينكم هذه الخطية التي يعتفى غير المؤمن والوثنى من إتيانها خجلاً حتى وان كانوا يمارسون الزنى الطبيعي في معابدهم كطقس تديني خاص بهم.

والكتاب المقدس يذكر في أكثر من موضع هذا التحريم.. ليس فقط ممارسة الخطية بل مجرد كشف عورة امرأة الأب هو في ذاته كشف عورة الأب.. ويستحق عليها الإنسان العقوبة.

«.. عورة امرأة أبيك لا تكشف انها عورة أبيك» (لا ١٨ : ٨)

«.. لا يتخذ رجل امرأة أبيه ولا يكشف زيل أبيه» (تث ٢٢ : ٣٠)

أنظر أيضاً (لا ٢٠ : ١١، حز ٢٢ : ١١)

وكانت عقوبة هذه المخالفات :

«.. كل من عمل شيئاً من جميع هذه الرجاسات تقطع النفس التي تعملها من شعبها» (لا ١٨ : ٢٩) ذلك طبعاً بسبب نتيجتها البشعة وحلول غضب الله على الإنسان بسببها [١].

ويبدو أن أهل كورنثوس قد علموا بهذه الخطية وسكتوا عليها.. واستهانوا بها وتركوا الأخ الخاطئ بينهم يمارس الخطية دون أن يوبخه أحد عليها.. ولكن سكوتهم هذا لم يكن أبداً عن

---

(١) بخصوص خاطئ كورنثوس يبدو أن أبيه كان وثنياً لذلك لم يرد ذكره في كلام بولس بل انصب كل الكلام على المؤمن المسيحي (الابن الذي أخطأ). ولعل قصده من ذلك أن يجذب هذا الأب أيضاً للمسيحية لما يرى سمو تعاليمها وقداسة السلوك فيها.

جهل وعدم علم بل قد كان عن عمى كامل بسبب كبريائهم وظنهم أنهم قد شبعوا واستغنوا وملكوا مع المسيح (١كو ٤ : ٨). وفيما هم يزعمون أنهم هكذا وصلوا للقداسة كانت الخطية تعبث في الداخل.. لذلك قال لهم بولس:

[٢] « أفأنتم منتفخون وبالحري لم تنوحوا حتى يرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل»

كان الأحرى بكم أن تبكوا وتنوحوا وتندموا على هذه الخطية لا أن تجلسوا في تراخي وتقولوا قد أدركنا في مدة قصيرة ما أدركه غيرنا في سنوات طوال.. وكانما به يريد أن يقول لهم عن يشوع بن نون.. لو كان قد أخذ من الكبرياء وفرصة الإنتصار في أريحا المدينة الحصينة.. وبدأ بعد الهزيمة الأولى في عاي يلتمس أعذار ويعتمد على ذاته وخطته في الحرب. لكان قد هزم في عاى للمرة الثانية حتى لو تقدم إليها بكل جيشه..!! ولكن يشوع المختبر يد الرب.. الإنسان المتضع.. يعرف ان ما حدث إنما بسماح من الله.. لذلك سقط على وجهه.. وصرخ هو وشيوخ الشعب أمام الله. لماذا يارب..؟ وكانت النتيجة أن أجابه الرب عن سبب الهزيمة.. وأرشده ماذا يفعل حتى ينتصر.. وفعلاً أتى بعخان ورجمه وكل ما له ومن له.. وبهذا رُفع الإثم.. ورفع معه عار الهزيمة فانتصروا بعد ذلك.. فبولس هنا يذكرهم ويقول الأحرى بكم أن تنوحوا.. وتبكوا.. ان لم يكن لأجل معرفتكم بأن ما حدث عندكم من انشقاقات وتحزبات كانت بسبب استهانتكم بهذه الخطية.. فعلى الأقل اتضعوا لئلا تدخلوا في خبرة التخلي هذه التي جعلت يشوع يبكي وينوح.

ثانياً : عزل خميرة الشر : (٣- ٨)

بعد ذلك يستخدم بولس الرسول السلطان الممنوح له من الله كيما يؤدب هذا الخاطئ على فعلته فيقول لهم:

[٣- ٥] «..فإني أنا كأني غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح قد حكمت كاني حاضر في الذى فعل هذا هكذا. باسم ربنا يسوع المسيح. إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح ان يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع»

وكان هذا هو التأديب أن يسلم الأخ للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح. هلاك الجسد هذا له أكثر من تفسير: ربما يقصد ما فعله الله في قصة أيوب البار حينما سمح لإبليس أن يجربه ويتعب جسده جداً ولكن دون المساس بروحه..

«.. فقال الرب للشيطان ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه» (أى ٢ : ٦)

ورأينا ماذا فعل به الشيطان من فقدانه لأولاده وممتلكاته ومواشيه ثم ضربه لجسده بالأمراض والقروح حتى اعتفى من رائحته حتى أقرب الناس إليه **«رائحتي صارت مكروهة عند امرأتي»** ورأينا أيوب في أقسى صور هلاك الجسد ملقى خارج المدينة على كومة من القمامة يحك جروحه بشقفة فخار!! لماذا يارب تفعل هكذا؟ أليس هذا هو عبدك الذي أحبك وكان يصعد لك محرقات عن أولاده قائلاً قد يكون أحدهم قد أخطأ إلى الرب؟ يحدثنا الكتاب أن أيوب أصعد عن أولاده.. ولكن لم يذكر أنه أصعد محرقة عن نفسه!! وكأنه بلا خطية. وكانت هذه الخطية هى سبب تخلي الله عنه وتسليمه للشيطان حتى يجرب جسده. لأن أيوب كان باراً في عيني نفسه.. أو كما قال قداسة الأنبا شنوده الثالث انه كان باراً.. وكان يعلم عن نفسه أنه بار..!! ضرب قلبه بالكبرياء وكانت هذه الوسيلة التي يرده بها الرب .. هلاك الجسد.. حتى حينما يشعر بضعف الجسد.. وثقل المرض عليه يتذكر بأن ذاته لم تعد تقدر أن تسعفه وتعنيه وأنه في احتياج لقوة أكبر منه خارجة عن محدوديته وبذلك يتضع ويندم وبذا يخلص حتى لو هلك الجسد هنا في الأرض. لذلك نرى أيوب في الأصحاح الثاني والأربعين يقول للرب:

«قد علمت أنك تستطيع كل شئ ولا يعسر عليك أمر. فمن ذا الذي يخفى القضاء بلا معرفة – يخفي تبرير تجاربه للإنسان بلا حكمة – **لكني نطقت بما لم أفهم بعجائب فوقي لم أعرفها. اسمع الآن وأنا أتكلم أسألك فتعلمني. بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عيني. لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد»** (أى ٤٢ : ٢ – ٦)

رأيتك يارب في التجربة والضيق والتخلي المر جداً على نفسي. وعرفت مقدار ضعفي وشقاوة ذاتي. لذلك أرفض كبريائي وتسلط ذاتي وأعود نادماً متضعاً في التراب لعلك ترحمني وترفع عني هذا التعب وأكون شاكراً. قد علمت كيف أعرفك، لذلك أيضاً رأينا ما حدث..

«.. رد الله سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه وزاد الرب على ما كان لأيوب ضعفاً»
(أي ٤٢ : ١٠)

واكتملت صورة التأديب التي أرادها الله وعاد أيوب إلى رشده عالماً بأنه بعيداً عن الله لا يستطيع أن يثبت بذاته.

والآن ما أراده الله على لسان بولس الرسول ان هذا الأخ الخاطئ يُسلَّم هكذا.. ويؤدب في جسده بالأمراض والأتعاب والضيقات. بسماح من الله. حتى يندم ويشعر بخطيته ويعود طالباً المغفرة فيقبلوه مرة أخرى وهذا ما حدث بالفعل.

«.. مثل هذا – الخاطئ – يكفيه القصاص الذي من الأكثرين. حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحري وتعزونه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط.. لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة» (٢كو ٢ : ٦–٨).

وهذا ما أوصت به الدسقولية، ان الأسقف الذي يحرم انسان يعود فيقبله لمجرد رؤيته بادرة توبة منه.. فقالت : [الذي مال رده أيها الأسقف إلى داخل – لأن الذي صار في خطية وطرحته بإنتهار، لا تتركه خارجاً [1]، بل إقبله إليك ورده إلى داخل القطيع الذي هو شعب الكنيسة البار]
(الدسقولية فصل ٤ فقرة ٣٥)

• هلاك الجسد قد يكون تسليم الإنسان الخاطئ لأمراض جسدية هى في حقيقتها نتيجة طبيعية للخطية. مثل مرض الإيدز مثلاً الذي يصاب به من يمارسون الشذوذ الجنسي. أو السرطان لمن يدمنون التدخين أو تليف الكبد لمن يدمنون الخمر والمسكرات حتى في هذه الحالة إذا اتضع الإنسان وندم، فإن الله مستعدٌ أن يرفع عنه المرض إذا ما وجده تائباً يرغب في الحياة الجديدة مع الله.

• قد يكون أيضاً عقوبة من الله للإنسان على خطيته – عقوبة أرضية. تحد من كبرياء الإنسان. وتكشف له ذاته المريضة وتحثه على دوام الإنسحاق والاتضاع. ولكن هذه العقوبات الأرضية لا تعفى الإنسان أبداً من العقوبة السماوية إن هو مات في خطيته ولم يقدم توبة.

• رأينا الآن في الثلاث حالات قصد الله المحب لأولاده الذي يستخدم معهم أنواع وطرق شتى من العلاجات والتأديبات بغية أن يعودوا، ويعرفوا طريقه، ليعود هو أيضاً إليهم ***«اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم»*** (يع ٤ : ٨).

كل هذه الأمور تدخل في نطاق قطع هذا الخاطئ من شركة القديسين بعضاً من الوقت حتى يتوب ويندم ويعود طالباً التوبة بدموعه فيقبلونه المؤمنون في شركتهم مرة أخرى.

ويمكننا أن نلاحظ أن هذا القطع من التناول وممارسة العبادة مع الأخوة في حد ذاته سببٌ كافي جداً لأن يُضرب مثل هذا الأخ في جسده من الشيطان، وهذا ما أكده الآباء لكل من يهمل التناول من الجسد المقدس والدم الكريم. وقد حدث أن جاءوا للقديس مقاريوس بامرأة تحولت إلى

---

(١) في الدسقولية – اعداد د. وليم سليمان قلاده ، ص ١١ ، جاء التوضيح التالي من خلال مقارنة النص مع باقي الترجمات الأثيوبية والسريانية والانجليزية والفرنسية : [ارجع ذلك الذي طرد خارجاً أي لا تسمح بأن الذي يكون في خطاياه وطرد خارجاً على سبيل العقاب، أن يستمر مبعداً].

شبه فرس بفعل السحر والشيطان فشفاها القديس ثم قال لها: إن هذه التجربة لم تلحقك إلا لأنك قد مكثت خمسة أسابيع لم تتناولي من الأسرار المقدسة التي هى جسد ودم يسوع ابن الله[1].

ربما يتساءل البعض أن الذي أصدر هذا الحكم هو بولس الرسول وليس الله! في الحقيقة بولس نفسه قبل اصداره لهذا الحكم واستخدامه لسلطان الحل والربط الموهوب له من الله. نجده في تسلسل وبطء يقترب من الحكم مرتعباً خائفاً من تدخل ذاته فيه لذلك يقول باسم ربنا يسوع المسيح.. وأنتم.. وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع (الروح القدس). قد حكمت. وهذا ما ضمن له صدق حكمه أنه لا يحكم بجسده بل بروحه. وفي قوة ربنا يسوع المسيح أي ارشاد الروح القدس. وقد تكرر هذا الحرمان في مواقف أخرى في خدمة بولس الرسول نجده باستمرار له نفس المدخل ونفس المبررات..

«.. ولك ايمان وضمير صالح الذي إذا رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً. الذين منهم هيمينايس والأسكندر اللذان أسلمتهما للشيطان لكي يؤدبا حتى لا يجدفا» (أنظر ١تى ١ : ٢٠).

هذا ونريد أن نقول أنه لا معنى لخلاص الروح بدون الجسد. وهلاك الروح بدون الجسد، إنما خلاص الروح هنا معناه كيان الإنسان كله.. إنما ما قيل عن هلاك الجسد هنا، هو تعب الجسد ومرضه وضيقه في الحياة الأرضية. ولكن لا يهم كثيراً كيف دخل هذا الجسد في القبر.. سليماً أم مريضاً؟ ناقص الأطراف أم مكتمل الأعضاء؟ في القيامة العامة ستقوم الأجساد كاملة. تشترك مع الروح اشتراك كامل في النعيم أو في العذاب.

والآن وقد كشفت لكم علمي بوجود هذه الخطية بينكم وفي قوة حضور ربنا يسوع المسيح في وسطنا بروحه القدوس قد حكمنا هذا الحكم السالف. أرى أنكم لم تفتخروا حسناً أو حسب الحق بسبب سكوتكم على ذلك:

[٦] «.. ليس افتخاركم حسناً – ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله»

وكأنه يريد من جديد أن يؤكد بطلان الاعتماد على احكامنا بسبب ظهور فسادها وعدم درايتها بكل الأمور.. وان من يريد أن يفتخر فليفتخر بالرب (١كو ١ : ٣١). حتى يكون افتخاره حسناً لأنه لا يوجد في الإنسان شيئاً من ذاته يمكنه الافتخار به فكل صلاح وورع وتقوى فيه هو

---

(١) أنظر كتاب: سير الثلاث مقارات القديسين – اصدار دير السريان ص ٤٣، ذكرها الأنبا متاؤس في كتاب روحانية طقس القداس ص١٥٣.

من عطايا الله له. لذلك وجب الافتخار بما فعله الرب ويفعله فينا وليس تكبراً وتظاهراً وشعوراً كاذباً بالاستغناء والشبع (١كو ١ : ٨). وداخل القلب خطية رابضة وصاحبها يتممها في سلام وكأن ليس فيهم روح الله يبكتهم ويكشف لهم ضعفاتهم ولو على لسان بولس الرسول. عن هذا الافتخار الردئ قال يعقوب الرسول:

«.. أما الآن فانكم تفتخرون في تعظمكم. كل افتخار مثل هذا ردئ» (يع ٤ : ١٦)

ذلك كما سبق وقلنا أن المتعظم والمتعجرف يصاب بالعمى عن رؤيتة أخطائه الشخصية وضعفاته التي تبيت فيه وأيضاً كجماعة مؤمنين تفاخرت وتعاظمت بما هو ليس حق لها تصاب هى أيضاً بعمى عن رؤية ما فيها من رياء ومظاهر وخطايا تستمر في حضنها وربما تعرضها كلها للخراب وذلك لأن الأمر لن يقتصر عن كونه خطية فرد واحد.. بل ستعم العدوى كل الكنيسة لأن خميرة صغيرة تخمر *العجين كله*.. وهذا ما أشار إليه بولس الرسول. الخميرة لها فعلها الهادي المختفى عن أعين الكثيرين ولكن عند اختمار العجين نراه يرتفع ويبدو فيه واضحاً اثر الخميرة.. هكذا الخطية إذا تناساها الإنسان.. وترعرعت بعيداً عن مراقبة الأعين كفيلة بأن تفسد الكثيرين. لذلك في أكثر من موضع يقرر بولس الرسول هذا المفهوم.

ففي رسالته إلى غلاطيه يقول لهم:

«.. خميرة صغيرة تخمر العجين كله» (غلا ٥ : ٩)

وقد كان يقصد عصيان البعض القليل لطاعة الحق الإلهي والإرتداد عنه. وأيضاً يرينا في (١كو ١٥ : ٣٣) أن:

«.. المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة»

وعن عمل الخميرة المدمر هذا برمزها للخطية يخاطب تلميذه تيموثاؤس ويقول:

«.. أما الأقوال الدنسة فاجتنبها لأنهم يتقدمون إلى أكثر فجور. وكلمتهم ترعى كآكلة..» (٢تى ٢ : ١٦، ١٧)

هكذا االخطية ترعى كآكلة.. لا تكتفي بحد.. طالما لا تجد من يقاوم إمتدادها.. ترعى أي تنمو ولا تقف إلا بجهاد الإنسان.. لكن من ينساها ويتجاهل خطورتها يعرض نفسه لخراب أكيد وفساد أكيد لكرمه..

«.. خذوا لنا الثعالب الصغار المفسدة للكروم...» (نش ٢ : ١٥)

هذا وفي حالة خاطئ كورنثوس بالذات يمكننا أن نطبق **حالة عيسو** كما شرحها لنا بولس الرسول في (عب ١٢) إذ سماه أصل المرارة..

«.. ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله – يسقط من النعمة – **لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجاً فيتنجس به كثيرون»** (عب ١٢ : ١٥)

أصل المرارة هو بؤرة الشر الجديدة في المدينة التي تجمع حولها ضعاف الإيمان عوض تمسكهم وتدينهم. ونتيجة لهذا التجميع الخطير يتنجس به كثيرون.. لذلك والحال هذه وجب عليكم أن تتنقوا من هذه الخميرة الفاسدة.

[٧] **«.. إذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير. لأن فصحنا أيضاً المسيح ذبح لأجلنا»**

الخمير عموماً في الكتاب المقدس يرمز للشر – إلا في مثل ملكوت السموات عن المرأة التي أخذت خميرة صغيرة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق. فالسيد المسيح هنا يستعير التشبيه فقط لبيان صفات وطبيعة اكتمال ملكوت الله فينا. (انظر متى ١٣ : ٣٣ ؛ لو ١٣ : ٢٠)

الخميرة العتيقة قد ترمز لخطايا ما قبل الإيمان والمعمودية. ولكي نفهم المقصود بنزع الخميرة هذا.. نعود ونتأمل في عيدين من أعياد اليهود الكبرى. هما عيد الفصح وعيد الفطير.. في عيد الفصح – الذي يذكرهم باستمرار بالعبور – نرى الله يأمر بني اسرائيل بنزع الخمير من البيوت (خر ١٢ : ١٥ – ١٧) والاستمرار في ذلك لمدة سبعة أيام هى الاحتفال بعيد الفطير.

«.. سبعة أيام تأكلوا فطيراً. اليوم الأول – الفصح – **تعزلون الخمير من بيوتكم فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل ويكون لكم في اليوم الأول محفل مقدس** – عيد – **وفي اليوم السابع محفل مقدس** – عيد»

وتفسيراً لهذا يعلمنا الآباء اننا في المسيح عجيناً جديداً قد تنقينا من كل ما هو عتيق وفاسد فينا – الجسد العتيق – وفي المعمودية التي هى عيد الفصح والعبور لنا من الخطية للحياة الجديدة، قد قام الله نفسه بتفتيشنا وتطهيرنا من كل خميرة شر لذلك يقول الأب الكاهن في صلوات سر المعمودية..

«.. فتش خزائن قلوبهم يا من فتش أورشليم بسراج»

وهذا القول مقتبس من نبوة صفنيا النبي.

«.. ويكون في ذلك الوقت أني أفتش أورشليم بالسرج» (صنف ١ : ١٢)

وقد كان كان رب البيت اليهودي فعلاً يمسك شمعة موقدة ويبحث في كل أركان منزله عن أي خميرة تكون ملقاه في خفية عن أعين أهل المنزل. أما في العهد الجديد فقد قام بهذا العمل ربنا يسوع المسيح لإننا بيته الخاص ففتش فينا بنوره الحقيقي الخارق لأفكار ونيات القلب، ونقانا من كل ما هو عتيق وفاسد لذلك صرنا عجيناً جديداً بالحقيقة.

بعد ذلك نجد أن الطقس يحدد سبعة أيام لعيد الفطير تبدأ بعيد الفصح في اليوم الأول منها ويستمر فيها نزع الخمير من البيوت أو بالأوضح عدم ادخال الخمير في البيوت. وهذا بدوره يرمز لمطلب هام جداً في حياتنا الآن بعد المعمودية إذ علينا نحن الذين تنقينا من الخمير في اليوم الأول – عبور المعمودية – علينا أن لا نسمح لشرور ما ان تنجس حياتنا من جديد والا نرجع مرة أخرى للأركان الضعيفة وخطايا ما قبل الإيمان – الخميرة العتيقة – وذلك بجهادنا المؤازر بنعمة الله.. والذى لا يقف عن حد .. لأن الرقم سبعة الذي لعيد الفطير يرمز لحياة الإنسان على الأرض.. طول العمر.. علينا أن نسلك كعجين جديد.. أولاد لله.. أنقياء من كل خميرة التي هى نتن الخطية. وهذه هى حقيقة وضعفا في المسيح – عجيناً جديداً كما أنتم فطير.

وملخصاً لكل ما قلناه **«.. لأن فصحنا – حمل فصحنا – أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا»** كما أشار عنه المعمدان وقال:

«هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١ : ٢٩)

وكما أنبأ أيضاً إشعياء النبي وقال:

«.. كشاه تساق للذبح وكنعجة صامته أمام جازيها هكذا لم يفتح فاه» (إش ٥٣ : ٧)

إذن والحال هذه – المسيح قد صار فصحنا وعبورنا الحقيقي ودعوتنا صارت واضحة لحياة خالية من الخمير.. علينا أن نعيد..

[٨] **«.. إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة. ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق»**

الخميرة العتيقة كما سبق وذكرنا، ترمز لخطايا ما قبل الإيمان، أي نفس ما قاله بولس الرسول في رسالته لأفسس..

«.. أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا – لم تلبسوه هكذا في المعمودية – **ان كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حق في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور»** (أف ٤ : ٢٠– ٢٢).

إن كل أعمال الجسد العتيق علينا خلعها عملياً ونحسب أنفسنا حقيقةً أمواتاً عنها.

أما خميرة الشر والخبث هى ما قال لنا عنها ربنا يسوع المسيح، رياء الفريسيين..

«.. تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو رياؤهم – الرياء» (لو ١٢ : ١)

«.. حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين» (متى ١٦ : ١٢)..

أي أننا من جهة نخلع العتيق بكل صفاته ونسلك بلا رياء وخبث ومكر في الحياة الجديدة التي هى بالحقيقة فطير الاخلاص والحق.. أي السلوك طول عمرنا في نقاوة القلب – أن نجاهد لتحقيقها – وصدق مشاعرنا ومحبة الله من كل القلب وهذا ما سماه بولس تجديد الذهن:

«.. أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور – الخميرة العتيقة – **وتتجددوا بروح ذهنكم** – البعد عن خطايا الرياء والمكر والخبث (خميرة الشر والخبث) – **وتلبسوا الإنسان الجديد** – تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم الآن فطير في المسيح – **المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق** – فطير الاخلاص والحق» (أف ٤ : ٢١– ٢٤)

هذا هو ما أراده لهم بولس الرسول من تدبيره لعزل هذا الأخ الخاطئ حتى يتعودوا تنقية ذواتهم من الشر والخطية مهما كانت صغيرة حتى لا تهدد كيان الكنيسة كلها. ويمكننا أن نلمس شموليته في التعليم إذا لا يقتصر على توبيخهم وحكمه على الخاطئ بل يبرر لهم هذا الحكم ويضع معاييراً مقدسة للسلوك، تصلح ليس فقط لأهل كورنثوس بل لجميع الأجيال أيضاً.

ثالثاً : عدم مخالطة الزناة : (٩– ١٣)

[٩] «... كتبت إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة»

الرسالة المذكورة هنا ربما رسالة ثالثة لبولس الرسول.. كتبت قبل الرسالة الأولى.. وفقدت ولكن هذا الفرض يعرضنا لمتاهة عدم استطاعة الله حفظ ما قد أوصى به لرسله ٠– حاشا له طبعاً – لذلك من الأرجح أن تكون الفقرة من الرسالة الثانية في ٢كو ٦ هى المقصودة. وأرسلها اليهم

قبل الرسالة الأولى. وعند تجميع كتابات الرسل ضُمت للرسالة الثانية (٢كو ٦: ١٤- ٧: ١)

«.. لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأي اتفاق للمسيح مع بليعال وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان... لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله» (٢كو ٦: ١٤- ٧: ١)

والمتتبع لسياق الأصحاح السادس من الرسالة الثانية يمكنه أن يلمح استقلال موضوع هذا الجزء عن باقي الأصحاح الأمر الذي لا يتفق مع طبيعة كتابات بولس الرسول. ويرجح لنا كون هذا الجزء رسالة سابقة أرسلها لهم بولس قبل الأولى.

هذا وفي قراءة لكتاب «فلسفة المسيحية في رسائل الرسول بولس». تأليف الأستاذ يوسف درة الحداد قرأنا أن كلاً من الرسالة الأولى والثانية لبولس إلى كورنثوس هى تجميع لثلاثة رسائل. وعن الرسالة الأولى خاصة يقول:

المناسبة الأولى التي أرسل إليهم فيها كانت تشكيك بعضهم في القيامة مع فسق أحدهم مع زوجة أبيه فكتب إليهم الجزء في (١كو ٥: ١- ٣ ؛ ١كو ٩- ١١: ١ ؛ ٢كو ٦: ١٤- ٧: ١١ ؛ ١كو ١٥). وهذا الجزء هو ما أشار إليه بولس في (١كو ٥: ٩).

أما المناسبة الثانية فكانت بسبب التحزبات وقصة المفاضلة بين حكمة العالم وحكمة الله فكتب إليهم الجزء من (١كو ١- ٦).

أما المناسبة الثالثة فكانت بسبب قدوم وفد من الكنيسة يحمل استفتاءات في مشاكل دينية اجتماعية فأفتى بولس فيها برسالة ثالثة هى الجزء في : (١كو ٧- ١٤) وبالتالي تكون الرسالة الأولى تجميعاً لهذه الأقسام الثلاثة.

على أي الحالات لقد سبق وطلب منهم أن لا يخالطوا الزناة. بمعنى أن لا يشتركوا معهم في أعمالهم لئلا يتطبعوا بعاداتهم ويسقطوا هم أيضاً. وخصوصا لأن كورنثوس كما قلنا قبلاً كانت مرتعاً خصباً لرجاسات العبادات الوثنية. فمعنى مخالطة الزناة هو التردي معهم إلى دنس تلك العبادات التي كان الزنا من أهم أركانها. لذلك خشى عليهم بولس جداً من هذا المصير وأرسل يطلب إليهم عدم مخالطتهم والبعد عن أعمالهم المظلمة:

«.. لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها قبيح» (أف ٥: ١١، ١٢) وهو نفس ما قاله لأهل تسالونيكي:

«.. و إن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا - أفرزوه - ولا تخالطوه لكي يخجل. ولكن لا تحسبوه كعدو بل انذروه كأخ» (٢تس ٣: ١٤، ١٥)

واضح هنا أن الأمر ليس مجرد هروب من الزناة. هروباً سلبياً خوفاً فقط من عدوى الخطية بل هروباً إيجابياً قبله يتم انذار الخاطئ كأخ.. وبعد اعتزاله ان أصابه الخجل، سوف يعود ويتوب ويندم. وهذه هى فلسفة عقوبة القطع في الكنيسة ليست عقوبة بقدر ما هى طريق تقويم وضبط لأعضاء الكنيسة ، جسد المسيح لكي تكون دوماً « كنيسة مجيدة - لا دنس فيها ولا غضن [1] (أف ٥: ٢٧).

[١٠، ١١] «.. وليس مطلقاً زناة هذا العالم أو الطماعين أو الخاطفين أو عبدة الأوثان وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم. وأما الآن فكتبت إليكم إن كان أحد مدعوٌ أخاً. زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً وخاطفاً أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا»

لست أطلب منكم اعتزال الخطاة الذين في العالم لأن هذا يعني خروجكم من هذا العالم لأنه ملئ بأمثال هؤلاء. وعليكم ككنيسة أن تشهدوا لمسيحكم وسطهم حتى يتعلموه منكم حينما يرون سلوككم. ولكني أطلب منكم أن تنزعوا من وسطكم وتعتزلوا من يأتيكم في ثياب الحملان وهو ذئب مفترس. من يدعي أنه أخوكم في الكنيسة وفي السر يفعل ما لا يليق بهذا الإنتماء. مثل هذا تصبح مخالطته سكوتاً على خطيته وبالتالي فرصة لإستمراره فيها بل والسقوط فيما هو أخطر. ومن جهة أخرى فرصة لسقوط كثيرين في نفس الخطية وهكذا يتنجس كثيرون به. ومن جهة ثالثة والحال هذه يصير غضب الله المعلن من السماء قصاصاً عادلاً يستحقه كل من لم يطِع.. وكل من لم يسلك بحسب الإنسان الجديد، بل وعلى الكنيسة كلها ممكن أن يحل غضب الله مثلما حدث مع يشوع في الحرب مع عاي (أنظر يش ٧).

هذا وموضوع لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا.. معروف في كورنثوس بسبب وجود العبادات الوثنية بها.. وفرصة الاختلاط بهم قائمة بسبب ذبائح الأوثان التي كانت تقدم ويشترك فيها عبادها. الأمور التي يمكن أن يخدع بها البسطاء بحجة اشتراكهم معهم بداعي هدايتهم أو

---

(١) غُضن = كرمشة في الوجه علامة الشيخوخة - فالكنيسة بكل أعضائها دائمة الحياة والشباب وهذه هى فلسفة العقوبة فيها.

صداقاتهم.. هذا اعتبره الكتاب خطية واشتراك في عبادتهم المرذولة:

«..أنظروا إسرائيل حسب الجسد. أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح فماذا أقول. إن الوثن شئ وإن ما ذبح للوثن شئ. بل ان ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين. لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين. لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة (شياطين). أم نغير الرب العلنا أقوى منـــه» (١كو ١٠: ١٨- ٢٢).

لأجل خطورة هذا الأمر طلب إليهم بالحاح أن لا يخالطوا ولا يؤاكلوا مثل هذا.. بعد ذلك يوضح لهم أن السلطان الممنوح له من الله هو للحكم فيمن هم من داخل حظيرة الإيمان بل وكل المؤمنين أيضاً يمكنهم هذا الأمر. ولكن الذين هم من خارج - يعني الوثنية - فالله هو الذي يدينهم.

[١٢، ١٣] «.. لأنه ماذا لي لأدين الذين هم من خارج. ألستم أنتم تدينون الذين من داخل. أما الذين من خارج فالله يدينهم»

+ هذا ليس معناه اننا جميعاً ديانون لبعضنا البعض.. هذا الموضوع خطير جداً.. ليس دوري أن أحكم على تصرفات الآخرين وأضع سلوكياتهم تحت الفحص باستمرار بحجة أن الكتاب أعطاني هذا الحق. بل المقصود بكوننا ندين الذين من داخل هو التحريض المستمر على فعل الخير والبعد عن الشر.. والتوجيه البسيط الخالي من روح الإدانة التي يدفع إليها فكر الكبرياء والبر الذاتي. هنا أكون قد سلبت الله حقاً من حقوقه وحده لأني أنا نفسي لست بلا خطية.. إنما بدافع الحب الأخوي. أستطيع أن أرشد وأقود وأوجه بل وفي بعض الأوقات أوبخ، طالما الدافع محبتي لأخي وخوفي عليه من الهلاك. أما احساسي بأنني أفضل منه.. وأقدس منه فهو كبرياء لا يصح أبداً أن أتكلم بها.

+ الأمر الثاني والمهم في هذا الموضوع، أنه لا يقصد في هذا الجزء أن الله يدين فقط الذين من خارج. لا بل الله يدين من هم من الداخل أيضاً.. ولكن من خلال سلطان إلهي سبق وأعطاه للآباء الرسل والتلاميذ وسلموه بدورهم لآباء الكنيسة.. الأساقفة والكهنة.. وفي هذا نرى أن الكاهن والأسقف لا يدين بنفسه وبفكره وبحكمته بل بروح الله (١كو ٥: ٤) وبالتالي يكون الله هو الديان أيضاً.

نستطيع هنا أن نفهم من تركيز بولس الرسول كلامه على الأخ الخاطئ أن أبيه وامرأة أبيه كانا وثنيين لذلك لم يجرؤ بولس أن يدينهم تاركاً أمر دينونتهم لله ليدينهم حسبما يتراءى لحكمته

السماوية.

الآن وقد أعطانا الله.. أنا بولس الرسول ذو السلطان من الله.. وأنتم المؤمنون الذين بروح المحبة والأخوة تريدون اصلاح هذا الأخ..!!

[١٣] «.. اعزلوا الخبيث من وسطكم»

انزعوا الشر منكم حتى تكون الكنيسة كلمة مقدسة بلا عيب ولا سلوك في رياء ، ظاهرها مثل باطنها أبيضاً كالثلج.. وأما من عزلتموه من وسطكم بحكمي عليه وشهادتكم أيضاً سيأتي الوقت الذي يتوب فيه ويندم ويرجع – إن لم يقس قلبه – حينئذ سنقبله ونفتح له أذرعنا وقلوبنا.

وهنا يجدر بنا أن نلمح تدبير الله في العهد الجديد وكيف أنه بحق عهد النعمة.. موضوع اعزلوا الخبيب من وسطكم.. موضوع قديم مقتبس من اليهودية حيث أمر الرب شعب إسرائيل في مواقف كثيرة.. قتل الخاطئ.. حسب نوع خطيته فينزع بذلك الشر من وسطهم وتتنقى كل الجماعة (أنظر تث ١٣ : ٥ ؛ ١٧ : ٧ ؛ ٢١ : ٢١ ؛ ٢٤ : ٧) في كل هذه الشواهد سنرى الله يأمر إما برجم الخاطئ.. أو قتله معلقاً على خشبة. أما في العهد الجديد فربما نحظى نفس الأخطاء.. ولكن الله في محبته ووداعته يعطي العقوبة وداخلا التأديب حتى إذا تاب الإنسان يقبله الله مرة أخرى. ولكن قديماً كان ممكناً لدى الله أن يهلك الإنسان – عدلاً – حتى تنصلح الجماعة وترتدع. أما وقد تباركت كل الأرض في ربنا يسوع المسيح فالتأديب يحمل في طياته رحمة الله ومحبته والقوة التي تعين الإنسان على الرجوع إلى الله. يا لعمق غنى رحمة الله ومحبته.

✠✠✠

﴿ الأصحاح السادس ﴾

مقدمة : يتابع الرسول المبارك فحصه الدقيق لما علمه عنهم، ممن وفدوا إليه، يتابع ذلك في تدقيق مذهل حتى يخيل إلينا أنه حاضر في وسطهم ويتكلم إليهم، محاجًا إياهم حتى يقنعهم بما يريده الله منهم.
وهو في هذا الأصحاح يعالج قضيتين في غاية الأهمية، هما التقاضي أمام المحاكم الوثنية ثم الهروب من الزنا المحيط بهم من كل جانب هروبًا إيجابيًا نحو تقديس الحياة كلها.

١- التقاضي والقانون الكنسي (١- ١١)
٢- تقديس الجسد (١٢- ٢٠)

أولاً : التقاضي والقانون الكنسي : (١- ١١)

في الجزء الأول من هذا الأصحاح يتحدث معلمنا بولس ويشجب التقاضي أمام المحاكم الوثنية لفسادها وعدم لياقة التقاضي أمامها بالنسبة للمسيحيين الساكن فيهم والعامل فيهم روح الله .. روح القوة .. روح المشورة. فيقول:

[١] **«... أيتجاسر أحد منكم له دعوى على آخر أن يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين»**

المقصود بالظالمين هنا.. الأمم الوثنية. وقديمًا انقسم العالم إلى يهود وأمم.. وكان اليهودي يعتبر نفسه من البنين والأممي من الكلاب.. وبولس هنا يقول عنهم أنهم ظالمين كصفة من صفات القضاء الوثني غير العادل.. كما قال عنهم أنهم خطاة..

«.. نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة» (غلا ٢ : ١٥)

ولحكمة روحية عالية أشار عليهم بعدم التقاضي أمام الوثنيين.. واللجوء إلى القديسين في الكنيسة.. من فيهم روح الله القدوس.. حتى يفصلوا في المنازعات الممكن أن تنشأ بينهم وقال

لهم ان كان الله قد أعطى كرامة لهؤلاء القديسين أن يدينوا العالم.. بل وملائكة فهل لا يستطيعون أن يحكموا بينكم بالعدل.

[٢] **«.. ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم. فإن كان العالم يدان بكم أفأنتم مستأهلين للمحاكم الصغرى»**

بادئ ذي بدء يجب أن نعرف ان كوننا – قديسين – سندين العالم – لا يعني أبداً أننا سندين كبدائل عن الله، بل من محبة الله لنا.. ومكافأة لنا على جهاد القداسة يعطينا الله أن نشترك معه في الدينونة كما قال لتلاميذه القديسين.

ولكننا لا يمكننا القول أن دينونتنا ستكون بمفهوم الحكم – كقضاة – على تصرفات العالم. بل ان ايماننا وأعمالنا.. وسلوكنا الروحي المميز عن سلوك العالم هو بحد ذاته دينونة له. لأن أعمالهم الشريرة ستنفضح في ضوء أعمالنا الحسنة تماماً مثلما تبدو النقطة السوداء واضحة في ثوب أبيض. فهذا فضح لها. وبنوع ما دينونة وهو نفس ما قاله الكتاب في مواضع عدة:

«حتى جاء القديم الأيام وأعطى الدين لقديسي العلي وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة» (دا ٧ : ٢٢)

القديم الأيام هو ربنا يسوع المسيح الذي في مجيئه سوف يعطي لنا كرامة الرفقة معه ودينونة العالم.. لذلك قيل يأتي ابن الله مع ملائكته وقديسيه للدينونة وأيضاً قال داود النبي في المزمور ٤٩ : ١٤) عن خطاة العالم:

« الموت يرعاهم ويسودهم المستقيمون » (مز ٤٩ : ١٤)

واضح هنا أن سيادة المستقيمين وأفضليتهم عن الخطاة لن تكون إلا بطهارتهم وقداستهم واستقامتهم. لذلك قال ربنا يسوع للتلاميذ:

«.. فقال لهم يسوع. الحق أقول لكم انكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر» (متى ١٩ : ٢٨) تدينونهم بتعاليمكم التي ملأت الدنيا ودعوتكم للحياة الطاهرة حسب الحق.. وليس كما زاغوا هم وآباؤهم.

هذا والسلطان قد أعطى من الرب لكل من يقدس نفسه ويغلب:

«.. من يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم» (رؤ ٢ : ٢٦)

نعود لرسالتنا لنرى بولس يلومهم عندما رآهم لا يلجأون للقديسين رغم أهليتهم لدينونة العالم.. وفي هذا توبيخ لهم.. على كرامة أخذوها ولم يقدروها. ليس هذا فقط بل قد أعطانا الرب أيضاً أن ندين ملائكة..

[٣] «.. ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة»

واضح طبعاً أننا سندين الملائكة الأشرار وليس الأطهار.. لأنه بسبب كونهم أطهار ينتفي تماماً سبب دينونتهم.. إنما سندين الملائكة الأشرار (الشياطين).. لذلك قال سندين ملائكة بأسلوب نكرة وليس كل الملائكة.

حينما يعطينا الرب يسوع هذا المجد وهذه الكرامة.. وأيضاً نستطيع أن نقول أن سلوكنا وقداستنا وسيرتنا الطاهرة رغم ضعف الجسد ومحاربات الشياطين. نقول أن هذه السيرة ستكون شهادة على الملائكة الأشرار الذين لم يحفظوا رياستهم بل زاغوا عن طريق الحق وكان الشر من ذواتهم.. دون حرب من الخارج. وهذا في ذاته دينونة لهم. لذلك نرى إبليس يحارب أولاد الله حسداً لهم على هذه الكرامة.

والآن من يدين ملائكة.. ألا يستطيع أن يفصل في أمور هذه الحياة الأمور البسيطة التافهة.. والخلافات الشخصية العادية الممكنة الحدوث.

[٤] «.. فإن كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة فأجلسوا المحتقرين في الكنيسة قضاة»

والآن.. أصغر ما فينا.. في قداسته يستطيع أن يكون قاضياً.. يجلس في الكنيسة.. يفصل في منازعات اخوته ببساطة روح الله القدوس الذي يرشده ويعطيه الحكمة. وفي هذا يريد معلمنا بولس للكنيسة في كورنثوس أن يلفت نظرهم إلى امكانية روح الله أن يعصم أحكام القديسين.. ويلهمهم الحلول السليمة لكل مشاكل الأفراد وأيضاً حتى تتقوى رابطة المودة الأخوية بينهم عن طريق التجائهم للقديسين وليس للظالمين الذين يفتقدون عصمة احكامهم وعدالتها بسبب افتقادهم روح الله القدوس المعطى للمؤمنين..

أما قول « المحتقرين » فهو تلميح خفى لعمل الله مع البسطاء.. المزدرى وغير الموجود الجهال الذين يستخدمهم ليخزي بهم الحكماء. فالله ممكن أن يستخدمهم كقضاة عادلين يفصلون في قضايا المؤمنين.

[٥] «.. لتخجيلكم أقول هذا. أهكذا ليس بينكم حكيم ولا واحد يقدر أن يقضي بين اخوته»

بمعنى، أنظروا.. جميعكم من اعتمدتم للمسيح أخذتم روح الله القدوس.. وثبت فيكم وهو قادر على ارشادكم وتعليمكم.. فينبغي لكم أن تخجلوا على عدم طاعتكم واستفادتكم من سكنى الروح القدس فيكم. روح الحكمة والمشورة.. كيف والحال هذه لا أجدكم تستندون في أحكامكم لمن هو فيكم حكيماً.. أم أنه لا يوجد بينكم حكيم واحد.. يجلس ويقضى بين اخوته. وكانت النتيجة المرة.. البعض منكم في منازعاته لجأ للمحاكم الوثنية في حين لو أطعتم الوصية..، وسلكتم باتباع السلام والقداسة مع الجميع،. لم يكن يحدث ما قد حدث من منازعات ولجوء لمحاكم أجنبية. لأن المخاصمات تعني غياب روح المحبة والأخوة بينكم والمسئول عنها الروح الساكن فيكم ان أطعتموه من القلب لذلك قال لهم:

[٦- ٨] «.. لكن الأخ يحاكم الأخ وذلك عند غير المؤمنين. فالآن فيكم عيبٌ مطلقاً لأن عندكم مخاصمات بعضكم مع بعض. لماذا لا تظلمون بالحري لماذا لا تسلبون بالحري. لكن أنتم تظلمون وتسلبون وذلك للأخوة»

هذه المحاكمات دليل غياب عدم الاحتمال النابع من محبتكم بعضكم لبعض.. لذلك فيكم عيب.. وهذا العيب ليس بسيطاً.. لأنه مؤشر خطير على سوء سلوككم.. بعيداً عن روح الحب. وكان الأحرى بكم في روح الوداعة والإحتمال أن تُفَضِّلوا.. كل من له دعوى.. الصمت والاحتمال حتى لو كنتم مظلومين.. أو مسلوبين.. أفضل بكثير من المشاحنات.. واللجوء إلى غير المؤمنين في منازعاتكم.. في هذا يخاطب الرسول بولس أهل رومية ويقول:

«.. لا تجازوا واحداً عن شر بشر معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس. ان كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس. لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب ليّ النقمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه. لأنك ان فعلت هذا تجمع جمر نارٍ على رأسه. لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢: ١٧- ٢٨).

ما أجمل حياة السلام بين الناس.. وهذه هى دعوة ربنا يسوع المسيح.. ملك السلام.. إذ قال لنا: «*طوبى لصانعي السلام لأنهم يدعون أبناء الله..*» الدعوة هنا ليست للسكوت عن الحق والخنوع وعدم الدفاع عن النفس. بل لمسالمة الكل بحسب الطاقة. قدر ما نستطيع. ولكن لا نفكر أبداً في رد الإساءة بالإساءة بل العكس من يجازينا شراً نرد له خيراً. والله أمين وعادل قادر أن ينتقم لأولاده ممَّن يضايقونهم ويتعبونهم.. إن كان هذا سلوكنا كمسيحيين مع الأعداء والمسيئين.. فبالأحرى كثيراً بين الأخوة علينا الإحتمال.. والصبر على إساءات الأخوة.. والترفق بهم.. حتى لا نعطي فرصة لعدو كل صلاح أن يدخل بين المؤمنين ويسبب لهم انزعاجاً وحيوداً عن طريق البر..

حينما يثير فينا أفكار العظمة والكبرياء وشعور الكرامة المجروحة ويدفعنا بذلك إلى رد الإساءة بالإساءة بأسلوب لا يتفق أبداً مع كوننا أولاد للمسيح. وهذا كما قلنا ليس معناه حياة الخنوع والسكوت السلبي .. إذ يقول لنا ربنا يسوع المسيح:

«.. إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما إن سمع منك فقد ربحت أخاك وان لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة (الكاهن). وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار» (متى ١٨ : ١٥ – ١٧)

وهذه .. قاعدة تجنب الإنسان مضرة الإنزلاق في خطية الكراهية وفتور الحب بين الأخوة.. ليكن عندك كالوثني أو العشار.. لا تعني كراهيتي له.. بل اختصاري له.. واقتصاري عن السلوك معه.. ولكن بلا كراهية.. بل ربما أصلي لأجله أيضاً. ومن أجمل ما قيل في هذا الخصوص قوله له المجد:

«.. كل ما تريدون أن يفعلوه الناس بكم افعلوه أنتم أيضاً بهم» (لو ٦ : ٣١)

أما وهم قد نسوا هذه الحقيقة ودعوة المسيح لمحبة الأعداء.. فبدأوا يظلمون البعض ويسلبون البعض في طمع شديد وبدوا وكأنهم لم يعرفوا المسيح:

«.. ان لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر – لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم وشهدنا قبلاً» (١تس ٤ : ٣– ١)

هذا، وكلمة ظالمين هنا لا تعني فقط مجرد عدم العدل بل خطايا كثيرة داخلها بسببها يحرم الإنسان من دخول ملكوت السموات..

[٩، ١٠] **«.. أم لستم تعلمون أن الظالمين لا *يرثون ملكوت الله*. لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون** (متخنثون) **ولا مضاجعوا ذكور ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون *يرثون ملكوت الله*»**

تأمل عمق تعليم الرسول بولس. إذ يساوي نصيب الظالمين مع هذه المجموعة الكبيرة من الخطاة. الأمور التي سماها في موضع آخر أعمال الجسد:

«.. أعمال الجسد ظاهرة التي هي زنا عهارة نجاسة دعارة. عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة. حسد قتل سكر بطر – عربدة واستهتار – **وأمثال هذه التي**

أسبق فأقول لكم عنها كما سبق فقلت أن الذين يفعلون هذه لا يرثون ملكوت الله» (غلا ٥ : ١٩– ٢١)

(أنظر أيضاً اف ٥ : ٥؛ عب ١٢ : ١٤؛ عب ١٣ : ٤؛ رؤ ٢٢ : ١٥)

«.. لأن خارجاً الكلام والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان. وكل من يحب ويصنع كذباً» (رؤ ١٢ : ١٥)

وهنا يريد بولس الرسول أن يؤكد أن من يظلم أخيه ولا يحتمله بل يسلبه.. لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون قديساً.. فطالما توافر ظلمه لأخيه.. ستجده حتماً يفعل معظم هذه الرجاسات ان لم يكن كلها.. وان كان ليس كذلك.. فعلمنا الكتاب أن من أخطأ في واحدة فقط أخطأ في الكل (أنظر يع ٢ : ١٠) . ولكن خطية الظلم بالذات دليل على عدم المحبة الكاملة. وبهذه الوصية يتعلق الناموس كله والأنبياء.. وليس أدل على ذلك من قول يوحنا الرائي أن خارج الملكوت سوف يكون كل من يحب كذباً (رؤ ٢٢ : ١٥). أي يحب ويعمل أعمالا لا تتفق مع معايير المحبة الإلهية المطلوبة من كل واحد فينا.

وكأنه يريد أن يقول لهم تعلموا أن تحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة.. بالمحبة التي هي رباط الكمال.. حينئذ ستترفعون عن دنايا ظلمكم لبعض وحقدكم على بعض وستتعلمون كيف تعبدون الرب وفي النهاية ترثوا ملكوت السموات.

وهدف آخر لمعلمنا بولس الرسول.. إذ حينما يذكر هذه القائمة الطويلة من الخطاة ويذكر ضمنها الزناة وعبدة الأوثان.. يجعل من رسالته لمؤمني كورنثوس رسالة لهؤلاء البعيدين أيضاً علهم يرتدعوا ويرجعوا عن طرقهم الرديئة ويعرفوا الرب خوفاً من عقابه وحرمانهم من ملكوته الأبدي.

يعود الآن بولس الرسول ويقرر لهم.. من باب التشجيع والترغيب، والإيحاء أنهم الآن غير هؤلاء.. مع كونهم منهم قبلاً لكن بعمل المسيح صاروا مختلفين عنهم.

[١١] **«.. وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح أزلي»**

كلنا كنا خطاة.. بالطبيعة أبناء الغضب كما ذكر في (أف ٢ : ٣)، بل كنا أمواتاً بالخطايا والآثام (أف ٢ : ١). وكنا نفعل كل هذه الرجاسات. كنا قبل المسيح ظلمة..

«.. لأنكم كنتم قبلاً ظلمة أما الآن فنور في الرب» (أف ٥ : ٨)

«.. لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين. ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة

www.alfasiat.com

عائشين في الخبث والحسد. ممقوتين مبغضين بعضنا بعضاً ولكن حين ظهر لطف الله مخلصنا واحسانه.. خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس» (تى ٣ : ٣ – ٨).

هذه هى حياتنا في المسيح. نور في الرب بعد ما كنا ظلمة.. أبراراً بعد أن كنا خطاة.. أنقياء بعد أن كنا في نتن الخطية وشهواتنا.. كل هذا تم حين غسلنا السيد الرب في المعمودية وقدسنا بروحه القدوس واهب القداسة بسكناه الدائمة فينا وبررنا بالباسنا ثوب الطهارة والبر الذي هو الرب يسوع نفسه:

«.. أنتم الذين قد اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح» (غلا ٣ : ٢٧)

وهذا هو عمل الرب يسوع.. بروحه القدوس فينا حينما نسلم له حياتنا ونتغير عن شكلنا بعدم مشابهتنا لهذا العالم.

وقوله « تبررتم باسم الرب يسوع ».. يقصد به غالباً معرفتهم الإيمانية بالرب يسوع قبل عمادهم بالروح القدس.. وكأنه يريد أن يقول لهم.. ان ما سلكتم به بعيد جداً عن المسيح الذي تعلمتموه مني.. وسمعتم عنه من خلال كرازتي. وهذا ما أوضحه بالأكثر لأهل أفسس:

«.. الذين إذ هم قد فقدوا الحس أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع أما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا. ان كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه كما هو حق في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم. وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق..»
(أف ٤ : ١٩ – ٢٤)

أما قوله «وبروح إلهنا» لا يعني أكثر من تقرير اشتراك الثالوث الأقدس كله في موضوع الفداء. ثم تعهد الروح القدس كل ما يختص بتقديسنا عبر رحلتنا في جهاد الغربة على الأرض. كيما يوفر على ابن الله القدوس حياة أخرى بالجسد على الأرض يموت فيها عن كل واحد منا آلاف بل ملايين المرات كل يوم إذن فهو الروح الأزلي الذى قدمت به الذبيحة الكاملة. وسيظل ينقل لنا استحقاقاتها من خلال تبكيته الملازم لنا بسبب ثباته فينا حتى النهاية ان لم نرفض نحن عمله.

«.. كم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي – الروح القدس – **قدم نفسه لله بلا عيب** – بكونه ابنه – **يطهر ضمائركم** – داخلكم ونياتكم وأفكاركم – **من أعمال ميتة** – أعمال نكرة سبق وماتت أو بالحري متم عنها – **لتخدموا الله الحي** – لتعبدوا الرب من كل قلوبكم»
(عب ٩ : ١٤)

هذا ويمكننا أن نجمل ما يريده بولس الرسول قوله لهم ، ما جاء في رسالة العبرانين:

«.. **لنتقدم بقلب صادق** – قلب لا يحب كذباً – **في يقين الإيمان** – باسم الرب يسوع – **مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير** – عمل الروح القدس الخفي في المعمودية – **ومغتسلة أجسادنا بماء نقي** – العمل الظاهر في المعمودية بالماء النقي بسبب حلول الروح القدس عليه – .. **لنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة** – وليس الشقاق والتحزب – **والأعمال الحسنة**» (عب ١٠: ١٩– ٢٤)

ثانياً : تقديس الجسد : (٢– ٢٠)

والآن إذا اعتبرنا الجزء السابق تقريراً لوضعهم الأصيل في المسيح – اغتسلوا وتقدسوا وتبرروا باسمه وبروحه القدوس – يعطيهم الآن بعض الدروس الخاصة بتقديس الجسد:

[١٢] «**... كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط عليّ شيء**»

و نضع معها أيضاً حتى تتكامل الصورة كلامه إليهم في (١كو ١٠: ٢٣):

«.. **كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء تبني**»

وهذه الثلاثة هى القاعدة المسيحية الأصيلة للسلوك. بها لا يتخبط الإنسان المسيحي بين الحلال والحرام ويدخله عدو الصلاح في المناقشات والمحاكمات العقيمة التي تفقد الإنسان بساطته في المسيح وتجعله يخضع أموراً كثيرة لمقياس الفحص والدراسة العقلية ولا يلبث أن يجد نفسه وقد تعكر صفوها وتشتت هدوؤها وفقدت سلامها بسبب طياشة الفكر في هذه الأمور. وانشغاله عن الاهتمام بإقتناء العين البسيطة وحياة الإيمان والتسليم التي فيها وبها يرشد الرب أولاده بروح الإفراز والتمييز – الروح القدس – عما ينفعهم وخلاصهم وعما يمكن أن يكون سبباً في هلاكهم وأتعابهم.

نقول أن الله لم يخلق شيئاً دنساً أو نجساً بطبيعته. إنما هى الخطية التي حينما دخلت عالم الموجودات بدأت الخليقة نفسها تدخل في معرفة الفساد وعبوديته.. وصارت هذه التقسيمة العريضة من الطاهر والنجس، الحلال والحرام لا لأجل أنها هكذا بطبيعتها بل لأن الإنسان نفسه تغيرت

نظرته ولم تعد بسيطة وتغير سلوكه معها.. وأصبح لزاماً عليه وقد ترك نفسه يتحلل من الله ضابط الكل.. أصبح لزاماً عليه أن يخضع لما يسنه الله من شرائع وتحريمات حتى يدرك أبعاد خطئه.. ويكتشف ما فعلته الخطية في الوجود البشري والطبيعة فيفيق من غفلته ويطلب الحياة مع الله بالتوبة.

أما في نعمة العهد الجديد فقد زالت اللعنة الملتصقة بالأرض بسبب خطية آدم. وزالت أيضاً اللعنة المتصلة بالإنسان في خطية قايين – ملعون أنت من الأرض – وأصبح الإنسان طاهراً جديداً يستطيع أن يتعايش مع الله في ظل هذا السلام المنشود. ووضع الله فينا روحه القدوس الطاهر كيما يرشدنا لما هو صالح وما هو سبب تمجيد واكرام لجسدنا الذي هو هيكله. أما ما نراه الآن من فساد سواء في الإنسان أو في الخليقة المادية فهو نتيجة فقط للخطية.. تماماً مثلما يحارب ابليس أولاد الله رغم تقييده – سنعتق منها عند استعلان ربنا يسوع المسيح وتكملة خلاصنا فداء الأجساد.

وحتى هذا اليوم المبارك – يوم ظهور ابن الله ثانية – علينا أن نحفظ ذواتنا طاهرين من غبار الخطية فاعلين باستمرار ما يرضي الله ليس ما يرضي أنفسنا.. ولنحكم حكماً عادلاً على كل الأمور التي تواجهنا ونضعها في فحص نور الروح القدس لا حكمتنا وذكائنا.. ولنسأل أنفسنا هذه الأسئلة الثلاثة :

- ***هل هذا الشئ أو الأمر .. يوافقني كابن لله؟***
- ***هل هذا الشئ أو الأمر .. يبني نفسي ويقربني أكثر إلى الله؟***
- ***هل ما أفعله حتى لو كان ليس خطية في ذاته يتسلط عليّ ويوقعني في عبوديته رغم عمل الله الكامل في تحريري من كل عبودية؟***

وحينما نحكم في أي أمر من الأمور لا يصح أبداً أن نكتفي بواحدة بل يجب فحص الثلاثة جيداً. أنا ابن لله. وهيكل خاص به. والروح القدس سكن فيّ.. هل ما أفعله يليق بكرامة هذا الهيكل؟ الهيكل المقدس الذي أوصانا عنه بطرس الرسول فقال:

«.. كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً. كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١ بط ٢ : ٥)

ولا يغيب عن ذهننا أبداً ان كل منا يعرف ذاته تماماً.. وقادر بالفطرة على التمييز بين ما هو صالح وما هو طالح.. فما بالكم بمن أخذ في داخله روح الحكمة وروح الافراز؟ سانداً لشهادة الضمير.. ان ما يحدث من هذه المهاترات الكثيرة.. والبحث العقيم عن مدى التحليل أو التحريم

في أي أمر من أمور حياتنا.. إنما هو من قبيل تضييع الوقت وتسويف الأمور حتى تتعطل فرص التوبة أمامنا. ذلك طبعاً من عدو الصلاح الذي يدخلنا في هذه الصراعات ويغذيها بأساليب ملتوية في الظاهر تقنع الإنسان بأهميتها وبأنها من الله. ولا سيما ان كان هذا الإنسان على درجة عالية من الثقافة والعلم – ومعها لا يجد الإنسان مفراً من الخوض فيها.. حاكماً على البسطاء بأنهم بلهاء.. وعلى المدققين بأنهم متزمتين منغلقين.. وهكذا بداعي الذكاء.. والانتفاخ ينساق وراء أباطيل لا يفيق منها الا وقد رأى نفسه يفعل الحرام! الذي اجتهد في تبريره لذاته سواء خوفاً من عاقبته أو غواية من عدو الخير.. أياً كانت فالنتيجة واحدة. والمطلب الآن.. الذي يلح علينا هو حياة قوية في الله. يعمل فيها الروح القدس ويهدينا ويرشدنا. من خلال حياة صلاة قوية بالرب لا تعرف الملل. والتجاء دائم واضح وصريح إلى حكمة الله في الكتاب المقدس مع حياة تقوية يمارس فيها الإنسان كل وسائط النعمة من اعتراف وتناول وبعد عن حياة اللهو والخطية وتدليل النفس.. وبمشورة أبيه الروحي وطاعته سيجد نفسه مدركاً تماماً الخير من الشر دون عناء..! يفصل في الأمور بوضوح. يطلب من داخله باستمرار عمل الروح القدس ويطيعه حتى ان تعارض مع ميوله. وباستمرار ثباته وجهاده سيجد نفسه وقد وضع يده على درب الأبدية السعيدة.

ونحن نتكلم عن هذا الموضوع لا نعني أبداً أنه ببساطة ودون عناء سيحصل الإنسان على هذه الحكمة العلوية. بل بشئ من الجهاد والتغصب مع اصرار الإنسان على الوصول سيصل بنعمة الله. وكمقدار أمانته في هذا الجهاد سوف يكون معدل نموه حتى يصل إلى الحال التي فيها تتطابق إرادته مع إرادة الله.. أعني ما يليق بكرامة هيكل الله .. وسيصبح الإفراز والتمييز والحكمة أموراً من طبيعته.. وسيكتشف بنوع خاص جداً وعميق جداً وسري جداً كيف أنه والحال هذه شريكاً للطبيعة الإلهية بكونه قد صارت له معرفة الله.

«.. كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى – الحياة في المسيح – بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة – السلوك – الذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي نصير بها شركاء الطبيعة الإلهية. هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة. ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا في إيمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة»
(٢ بط ١ : ٣– ٥)

هذه المعرفة هى الإفراز الذي تحدثنا عنه. نعود ونلخص ما قلناه في الآتي:

- هل يليق بيّ كابن لله مخلوقاً للسماء ومولوداً للقداسة.. هل يليق بيّ أن أفعل كذا وكذا.. وهل كذا وكذا .. تشجع وتفرح سكنى الروح في هيكله؟ أم تخونه وتطفئه وتعرضني لمصير مظلم ان هو فارقني إذا ما استمريت في العناد؟

• لأفعل إذن كل ما يبني ويثبت ويمجد هذا الهيكل. وأبعد عن كل ما يجذبني بعيداً عن حياة القداسة. ولا أتساهل مطلقاً في أي أمر من الأمور المخزية لأن كل الأمور تبدأ صغيرة ثم تكبر وتتشعب وبعدها سيكون الفكاك صعباً.. لذلك:

– لا أعطي الفرصة لشئ يتسلط عليّ، لأني الآن حر في المسيح .. حرية المجد والبهاء والكرامة.. لأترك عاداتي الرديئة وأقلع عنها.. ولا أسمح لبداية عادات أخرى عندي تتسلط عليّ شيئاً فشيئاً ..

أخيراً لا يضمن لي هذا إلا نور الله وإرشاد الروح القدس الملازم لحياة السهر والإستعداد بفحص النفس الدائم في جلسة تحت وصايا الكتاب المقدس وخضوع لما يرشدني الرب إليه وطلب عونه باستمرار في حياة الصلاة أو في الكتاب المقدس أو على لسان أبي في الاعتراف أو مرشدي الروحي.. أو أي أمر يأتيني عن طريقه صوت الله واضحاً.

والآن بعد أن أوضح معلمنا بولس هذه القاعدة العامة في السلوك المسيحي.. سيبدأ فيعالج كعادته دوماً ما نشأ هناك من سلوكيات مريضة لا تتفق مع ما شرحه لهم في المقدمة. فهناك في كورنثوس كان قول شائع شبه مثل عامي يطبقون على شاكلته أمور كثيرة في الحياة، هذا المثل هو:

[١٣] **«.. الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك»**

وأهل كورنثوس حاولوا أن يعيشوا في ممارسة الزنا قائلين على نفس المنوال:

«.. الجسد للزنا والزنا للجسد والله سيبيد هذا وذاك»

وذلك كان أخطر ما في الموضوع، لأنه إن دل على شئ فسيدل على عدم فهم كامل لقيمة هذا الجسد في المسيح حتى أنهم ينحطوا به إلى هذا المستوى المذري من السلوك.

بولس الطوباوي وهو يريد أن يعلمهم شيئاً يقر بصحة الشق الأول.. ان الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة. وهذا استناداً لما قاله رب المجد نفسه في مر ٧: ١٩..

«.. أما تفهمون أن كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه لأنه لا يدخل إلى القلب بل إلى الجوف ثم يخرج إلى الخلاء وذلك يطهر كل الأطعمة. ثم قال أن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان» (مر ٧: ١٨– ٢٠)

بمعنى أن الطعام في ذاته لا يقرب الإنسان إلى الله. كما قال الكتاب أنه ليس بالخبز وحده

يحيا الإنسان. وان المسئول عن نجاسة أو تطهير الإنسان هو سلوكياته الظاهرة الخارجة من القلب والتي تنم عن مدى قداسته وطهارته ونقاوته من الشرور. لأن كل إناء ينضح بما فيه كما نعلم قول معلمنا الصالح..

«.. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور» (مت ١٢ : ٣٥)

ولكننا لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نقر بصحة الشق الثاني. إن الجسد للزنا. والزنا للجسد وهنا يعترض بولس الرسول ويقول:

[١٣] **«.. لكن الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد»**

وكلمة الجسد التي يعنيها بولس الرسول لا تعني اللحم والدم إنما تعني كياننا كله وشخصياتنا الظاهرة التي نتعامل بها مع الآخرين بكل ما فيها من عواطف ومشاعر وأفكار ودوافع وقد جاءت في الأصل اليوناني (Soma = σωμα سوما) وليس (Sarex = σαρξ ساركس) التي تعني اللحم والدم (Flesh).

لذلك يقول بولس الرسول أننا لا يمكن أن نطبق المبدأ الخاطئ الخاص بالأكل على موضوع الزنا والجسد، لأن الزنا والجسد لا ينحصر في مفهوم الجسد كأعضاء لحمية بل يتعدى ذلك للحد الذي يؤثر في أخلاقيات الإنسان وسلوكه بصفة كيانية. كما يفعل الزنا الذي ينجس كل كيان الإنسان ويكفي أنها الخطية الوحيدة التي يشعر من يفعلها أنه أخطأ إلى ذاته ونفسه! كما سيأتي (١ كو ٦ : ١٨).

ليس هذا فقط بل إن هذا الجسد هو ملكٌ للرب وهيكلٌ خاص به فلا يصح أبداً أن يُسلَّم للزنا بل ولا يصح أن يسلم لأية خطية كانت أو شئ يشوب هذا الإرتباط المقدس بالرب.. وما أعجب قوله أن الرب للجسد في علاقة تبادلية وثيقة جداً. نحن للرب وكل ما فينا له.. أما أن يقال أن الرب لنا.. فهذا هو العجب في محبة الله التي تغمرنا.. وفي تنازله العجيب بتدبير خلاصنا وسكناه فينا وتعهده أمر قداستنا بثبوت روحه القدوس في جسدنا الذي هو هيكله. كيف والحال هذه نقول أن الجسد للزنا؟..

بعد ذلك يوضح بولس الرسول كيف أصبحنا كلنا شعب اقتناء للرب وكيف أصبحنا فيه وصار هو لنا فيقول:

[١٤] **«.. الله قد أقام الرب - يسوع - وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته»**

فربنا يسوع المسيح وهو ابن الله الأزلي معه في وحدانية الجوهر إلا أن هذه البنوة قد استعلنت لنا بقوة من جهة روح القداسة، الروح القدس الذي أقام المسيح فأعلن لنا بأكثر تحقيق لاهوته وقوته ونبوته للآب :

«.. تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا» (رو ١ : ٤)

وهكذا أيضاً روح القيامة هو الذي يُعَيِّننا خاصةً لله، و هياكل له. لأنه كما أقام المسيح بصفته واحداً معه في الجوهر ، أقامنا نحن أيضاً بنعمته التي ولدتنا أبناء لله كما قال بولس أيضاً..

«.. إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم. فالذي أقام يسوع من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨ : ١١)

وواضح أننا جميعاً هياكل لله بسكنى الروح القدس فينا (١كو ٣ : ١٦، ١٧) وبه قد صرنا أعضاء للمسيح. أغصاناً حية في الكرمة الحقيقية ربنا يسوع كما قال بلسانه الطاهر:

«أنا الكرمة – الحقيقية – وأنتم الأغصان الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير» (يو ١٥ : ٥)

ولعل بولس أيضاً هنا يقصد أن الروح القدس يقيمنا من فسادنا وخطايانا باعتبارها موت، ذلك بسبب سكناه فينا ليعمل على تغييرنا وتبكيتنا باستمرار حتى نكتشف كون أجسادنا التي نفرط في قداستها هى هياكل خاصة به، ويجب علينا صونها في كرامة التقديس.

والآن.. وقد صرنا أعضاء المسيح .. أفراداً في الكنيسة التي هى جسده السري (أف ٤) وصرنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه هل يليق والحال هذه أن تصير هذه الأعضاء المقدسة زانية؟!

[١٥] «.. ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية.. حاشا»

والآن نعود ونكرر أن المقصود بالجسد ليس اللحم والدم بل كيان الإنسان كله لأن أعضاء المسيح ليست فقط لحم ودم بل أعضاء حية تلتصق بالرب بالكيان كله روحاً ونفساً وجسداً. لأن اللحم والدم (فقط) لا يرثا ملكوت الله ولا يلبس الفاسد – المعرض للفساد – عدم فساد الملكوت (١كو ١٥ : ٥٠) وواضح أن أعضاء جسد المسيح السري – أعضاء المسيح – الكاملون سوف يرثون ملكوت الله. بعد خلع هذا الفاسد وتجديده وتغييره.

ولكن كيف يتسنى لنا أن نستخدم أجسادنا الإستخدام السئ الذي يهين انتسابنا وانتمائنا لجسد المسيح السري ؟ ذلك بالزنا.. لأن من التصق بزانية وزنى معها فقد نجس نفسه واستخدم الآنية المعدة للكرامة والمجد بعمل ربنا.. استخدمها كإناء للهوان حينما اختار طريق النجاسة والفجور.

[١٦، ١٧] «.. أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول يكون الإثنان واحداً. وأما من التصق بالرب فهو روح واحد»

وذلك بمعنى أن من اقترب لهذه الخطية الشنيعة والتصق بزانية قد صار معها في نجاستها والوحدانية المقصودة هنا ليست الخاصة بسر الزيجة المقدس حتى وان قال لأنه يقول يكونا الإثنان واحداً (تك ٢ : ٢٤) إنما المقصود اتحاده معها في سلوكها الردئ.. وبكونه يلتصق بزناها.. يصير واحداً معها أي مشتركاً معها في كل دنس الخطية ونجاستها البشعة. أما الوحدانية الحقة الكاملة هى التي يربط فيها الله بالروح القدس في سر الزيجة المقدس.. مقدساً كل شهوات الجسد وكل عاطفة الإنسان حتى يصير الرجل وزوجته واحداً روحاً ونفساً وجسداً. وهذا ما قاله الرب في (مت ١٩).

«.. يكونان الإثنان جسداً واحداً إذاً ليس بعد اثنين بل جسدٌ واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان» (مت ١٩ : ٦)

وهذا هو الشرط لتحقيق وحدانية الزواج – أن يجمع الله!

هذا عمن يتلمسون شهوات الجسد فيلتصقون بالزناة.. أما من التصق بالرب فقد صار معه روح واحد.

نستخلص من هذا أن المقصود بهذا الكلام ان من يفعل الخطية ويبعد عن الله ينحدر تماماً لمستوى الجسد وشهواته ومادياته أما من اقترب من الله فقد ترفع عن متطلبات هذا الجسد وشهواته إلى مستويات الروح العالية حسبما يتفق مع كون الله روحاً. وهذا عين ما قاله القديس أوغسطينوس:

(من ليس روحانياً في جسده يصير جسدانياً حتى في روحه)

بمعنى أن اقتراننا بالخطية يجعل كل تصوراتنا جسدية شهوانية أما ان اقتربنا إلى الله فسوف يتروض هذا الجسد ويخف وتصير له القدرة رغم كثافة المادة على معاينة الله ومشاركة الملائكة والسمائيين.. وهذا ما فعلوه آباؤنا السواح إذ التصقوا بالرب جداً وذابت ذواتهم فيه.. واتحدت مشاعرهم به فصاروا وكأنهم بلا أجساد لهم خفة الملائكة كما قيل عنهم أنهم بشر ملائكيون.. أو

ملائكة بشريون.

بعد ذلك يجد بولس الرسول نفسه مدفوعاً بمحبته وخوفه عليهم أن يوصيهم بالهروب من الزنا بعد أن أوضح لهم خطورته وسوء عاقبته:

[١٨] «.. اهربوا من الزنا كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد. لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده»

كما قلنا أن كل الخطايا المترجمة في صورة أفعال خارجية تضر الآخرين وتسبب لهم أذى وقد لا تضر الشخص نفسه بل قد لا يشعر أنه أخطأ.. إلا الزنا.. يشعر الإنسان بنفسه وقد غرقت في بحر من النجاسة.. وبالسيل الخارج منه يحس وكأن لجج هذا البحر تلطم نفسه التي فرط في عفتها مقابل لذة بائدة لا يلبث أن يشعر بعدها بمرارة لا تُحتمل لولا مراحم الرب. وهنا يشعر الإنسان أنه أهان جسده أي نجسه.. بدلاً من أن يكون إناء كرامة كما صنعه الله.. أساء استخدامه هو وجعله اناءاً للهوان.. ألا يعتبر هذا إهانة للجسد.. وتحقير له.. وتدنيس لهيكل خاص بالله سبق وقدسه وسر بأن يحل فيه ويسكن.. وهذا هو سر ما يُشعر الإنسان بإهانته لجسده، كونه هيكلاً للروح القدس وما فعله من نجاسة لا تتفق ولا تليق بكرامة ومجد هذا الهيكل ولا تساهم بلبنة واحدة في بناء دعائمه بل ربما تقوض ما بقى منها وتهدمه ان هو استمر في غِيِّه (أحزان الروح واطفاء الروح) لذلك استطر بولس الرسول وقال:

[١٩] «.. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم. الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم»

ربما نسوا هذه الحقيقة أو تناسوها فقال الله لأذكرهم بها، جسدكم هو هيكلي. الجسد الذي تدنسوه بالتصاقكم بالزنا هو مسكن خاص جداً لروحي القدوس الساكن فيكم ولا يفارقكم حتى أثناء زناكم – الذي فيكم – وفي الانجليزية يذكر الذي يحيا فيكم Lives in you. علّكم تدركون عظمة وكرامة هذا الهيكل إذا ما نظرتم لمجد وبهاء الخيمة في القديم أو هيكل سليمان وما قيل عنه.. فالروح القدس فيكم.. وهب لكم نعمة الله المخلصة من قبل الله بل وأكثر من هذا وبسبب هذا الأمر أنتم لستم ملكاً لأنفسكم.. بل لله..

[٢٠] «لأنكم قد اشتريتم بثمن.. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هى لله»

والكلمة اليونانية المترجمة، اشتريتم هى αγοραζω = Agorazo وتعني الشراء من سوق

العبيد.. وهذا ما فعله الرب معنا.. كنا كلنا عبيداً للخطية مسوقين في أغلالها القاسية إلى سيدٍ لا يرحم ولا يشفق هو إبليس.. والله لما نظر لمذلتنا نزل واشترانا فصرنا له عبيداً للطاعة ولكن ما أجملها عبودية يتضع فيها السيد للحد الذي يموت فيه عن العبد بعد أن ينحني ويغسل قدميه ويشفيه ويرفعه من المزبلة ويجلسه معه في عرش مجده (رو ٦ : ١٦ – ٢).

وما أثمن ما دفعه فينا،، كل جواهر وكنوز الأرض مضاعفة ملايين المرات.. تعجز عن أن تفي هذا الثمن.. لقد دفع فينا مهراً غالياً جداً..دفع فينا دمه مسفوكاً على خشبة عار.. كانت تعد للصوص وكاسري الناموس فمات هو بدلاً عنا كيما نصير نحن له فيما بعد.

«.. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو ٥ : ١٥).

وهذا هو المقصود بكلمة مجدوا الله. لتكن كل حياتنا ملكاً له. نمجده في أقوالنا وفي أفعالنا وفي كل حركاتنا.

ولا يغيب عن ذهن بولس الرسول الحكيم وهو يكتب أن يذكر الأجساد قبل الأرواح ..

« مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم » أي ابعدوا عن كل السلوكيات الجسدية وخاصة الزنا.. ومعه كل أعمال الجسد التي ذكرها لهم في الجزء الأول من هذا الأصحاح (١كو ٦ : ٩، ١٠). وفي أرواحنا نمجده بالتصاقنا به والحياة معه سلوكاً بالروح كما يرضي الله لا بالجسد كما يرضي أنفسنا وشهواتها الرديئة.

ملحوظة: **إذا كنا نقول بشئ من التأمل أن المسيح اشترانا من سوق العبيد.. لا يعني هذا مطلقاً أنه قد دفع الفدية لإبليس كما يحلو للبعض أن يفسر..!**

إنما المسيح له المجد سدد الدين عنا كاملاً للآب وهو الموت كمطلب لعدله الإلهي وكان دمه الإلهي وجسده هما واسطة هذا الفداء إذ بهما فتح لنا من جديد طريق الأقداس بعد أن زالت العداوة بيننا وبين الله وفك قيدنا من العبودية فصرنا أحراراً. لقد كان الرب يعلم أن هؤلاء العبيد مسروقون من بيت ملك عظيم جداً. وقد سرقهم ذلك السيد القاسي ليذلهم ويغيظ بهم أبيهم الملك. فنزل كإبن للملك، وحجب

مجده في جسدٍ كالعبيد. وجاهر بأنه سوف يدفع ثمن حريتهم منه (يموت عنهم) ، فلما فرح السيد القاسي وظن أنه سوف يقبض الثمن ويضم أيضاً إلى عبوديته هذا المضحي المهيب. فاجأه الرب بقوة لاهوته وقبض عليه وقيده وأعادنا مرة أخرى إلى أبيه فصرنا أبناء الملك السماوي بالنعمة.

✠✠✠

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح السابع ﴾

مقدمة : يبدو لنا من مطلع هذا الأصحاح أن أهل كورنثوس قد أرسلوا رسالة إلى معلمنا بولس يسألونه فيها عن بعض الأمور الخاصة بالزواج والبتولية والطلاق (أنظر صفحة ١٠٠) لذلك سهل لنا الروح القدس أن نعرف طبيعة التساؤلات التي فيها إذا ما دققنا النظر والتأمل في ظروف الإيمان المسيحي وقتها، وكذا طبيعة العلاقات بين الرجل والمرأة في ظل النظام الوثني. نحن نعلم أن آباءنا الأولين، عاشوا في توقع دائم لعودة ربنا يسوع المسيح للأرض مرة أخرى للدينونة وانتهاء العالم. لذلك لجأ البعض إلى محاولة ترك الزوجة والأولاد والممتلكات منتظرين سرعة مجئ ربنا. وكادت تتعطل الحياة لولا عمل الروح القدس في التلاميذ والرسل الذين أرسلوا ليهدئوا من هذا التعجل الذي بسببه قد تفتر علاقات الناس بعضهم ببعض. وقد تتشتت أسر كثيرة بداعي توقع مجئ الرب سريعاً مع أن الكتاب المقدس وكلمات ربنا يسوع المسيح لرسله وتلاميذه تركت لنا ولهم علامات واضحة تسبق مجيئه له كل مجد.

١- طبيعة العلاقات الزوجية (١- ٧)
٢- وصية للمتزوجين بخصوص الطلاق (٨- ١١)
٣- زواج مؤمن بغير مؤمنة (١٢- ١٦)
٤- وصايا عامة للداخلين في الإيمان (١٧- ٢٤)
٥- وصية للعذارى (٢٥- ٣٨)
٦- وصية للأرامل (٣٩، ٤٠)

أولاً : طبيعة العلاقات الزوجيـة : (١- ٧)

الأمر الأول الذي كتبوا له عنه هو طبيعة الحياة بين الزوجين في ظل إيمانهما المسيحي، هذا يلخصه بولس الرسول في الجزء من العدد (١- ٧) فيقول لهم:

[١-٥] «..حسن للرجل أن لا يمس امرأة. ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته. وليكن لكل واحدة رجلها. ليوف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضاً الرجل. ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل وليس للرجل تسلط على جسده بل للمرأة. لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجربكم الشيطان بسبب عدم نزاهتكم»

بولس الرسول وهو من اختار حياة البتولية، يظهر هنا أفضلية البتولية ان استطاع الإنسان أن يضبط نفسه بدون زوجة. ولكن اشفاقاً منه على ضعفهم الجسدي ومعرفته بوجود موبوقات كثيرة في كورنثوس سببها تفشي العبادات الوثنية والتي كان الزنا أحد طقوسها الهامة كما رأينا قبلاً. يطلب هنا منهم أن يلتصق كل واحد بإمرأته. وكلامه هنا قد يعني أمرين:

الأول – إن من كان متزوجاً قبل ايمانه بالمسيح يظل متزوجاً ولا يترك شريكته في عجالة توقعه مجئ ربنا. وكذا لا يطلب لنفسه الإقتران بزوجة أخرى.

الأمر الثاني – وهو الأرجح – هو الدعوة للبتولية لمن لم يتزوج قبل ايمانه.. حسنٌ أن يظل كما هو. ولكن كما قلنا بسبب فساد المجتمع ليطلب لنفسه زوجةً واحدة ويعيش معها.

ولحرص بولس على سيادة علاقات الحب والاحترام داخل الأسرة. الأمور التي تضمن لها أن تكون أسرة مسيحية وكنيسة صغيرة. يضع لهم نظام المعيشة – روحياً وجسدياً – حتى لا يستغل الشيطان بساطة إيمانهم وهم مبتدئين، فيفسد أذهانهم كما فعل بالبعض من الذين نادوا بعدم طهارة الزواج، ومنعوا عنه بدعوى أنه نجاسة.

ليحرص الرجل والمرأة أن يعطي كل منهما للآخر حقه الواجب كاملاً. من جهة كل الأمور النفسية والمعيشية والجنسية أيضاً. ليحب الرجل امرأته كما أحب المسيح الكنيسة محبة حتى الموت. ولتخضع المرأة لرجلها. وبهذا تسير الأسرة إلى ميناء هادئة.

أما عبارة ليس للمرأة تسلط على جسدها بل الرجل، وكذا الرجل ليس له تسلط على جسده بل المرأة، لا تعني أن طبيعة العلاقات الزوجية هى القهر والاغتصاب والتسلط. بل تعني بالتحديد

أننا في الزواج وباسم الحب الزيجي الطاهر أصبح كل منا ينتمي للآخر، الزوج يُملِّك جسده للمرأة وكذا الزوجة. ويمكننا القول أنه إذا كان المقصود هو القهر لكان هذا سبباً في فشل كل الزيجات. لأنه لولا توافر عنصر الود والعاطفة في الأسرة لما كان لأحد الطرفين أن يرضى بمنح جسده للآخر عن طيب خاطر. لذلك نهى بولس الرسول كل من الزوج والزوجة عن الامتناع عن المعاشرة الزوجية إلا باتفاق بين الطرفين. وهذا الإمتناع ذاته ليس مطلقاً بل محدداً إلى حين حتى تكون هناك فرصة للصوم والصلاة والعمل الروحي من خدمة مساكين وضيافة غرباء وعبادة في الكنيسة.

وخوف الرسول هنا من الامتناع فترة طويلة هو أن يضعف أحد الطرفين بسبب ما يراه من فساد في المجتمع – خصوصاً إذا كان حديث الإيمان – لذلك قال إلى حين. لأنه لو استمر الامتناع قد يلجأ الشريك الضعيف إلى السلوك بعدم نزاهة في الذهن ويبدأ يجتر أفكاراً قد تتعب أعصابه لأنها تغذي الشهوة والمفروض أنها قد تقدست في الزواج. والأصعب من ذلك ما يدبره عدو كل خير من أن ينظر الطرف الضعيف إلى طرف ثالث قد يسقطه في الزنا وبذا تنحل الأسرة.

كذلك أيضاً الطرف الذي يظن في نفسه أن قادر أن يمسك رغباته وشهوته ويضبط نفسه قد يسقط هو أيضاً في خطايا الكبرياء والقسوة وعدم الإحتمال وهذه أيضاً تعتبر عدم نزاهة، قد تؤدي في النهاية إلى إنفصام العلاقة بين الزوجين.

بعد ذلك يعود الرسول ويؤكد على أفضلية حياة البتولية فيقول لهم:

[٦، ٧] «.. ولكن أقول هذا على سبيل الاذن لا على سبيل الأمر. لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنـا»

والذي يقصده هنا هو قوله «.. حسنٌ للرجل أن لا يمس امرأة». يقولها على سبيل التصريح والاذن والسماح لا على سبيل الوصية والأمر. بما أنه قد اختبر حياة البتولية بكل ما فيها من ارتقاء المشاعر الروحية والجسدية إلى حد اعتبار الله الكل في الكل روحياً وجسدياً. بما أنه قد اختبر كل ذلك فهو يريد أن يكون الجميع مثله لكنه يستطرد ويقول ان هذه هى موهبة من الله لا يأخذها الكل بل كل واحد كما أخذ موهبته الخاصة من الله كإمكانية تساعده على إختيار الطريق والثبات فيـــه.

[٧] «.. لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا»

وبذا ترك الأمر لإرادة الإنسان وميوله وقامته الروحية. ليختار ما يناسبه في الحياة ان كان زواج أو بتولية. مع الإرشاد المستمر وسماع صوت الله ودعوته.

ثانيا : وصية لغير المتزوجين : (٨ - ١١)

[٨- ٩] «..ولكن أقول لغير المتزوجين والأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا. ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لان التزوج أصلح من التحرق»

استمراراً لكلام الرسول السابق عن فخر البتولية وأفضليتها عن الزواج يطلب هنا من غير المتزوجين والأرامل أن لا يتزوجوا مثله. ولكنه يعود ويوصيهم بالزواج ان لم يستطيعوا ضبط أنفسهم.. والحاجة إلى ضبط النفس كانت ملحة جداً في الحياة حينذاك، حيث فساد المجتمع في ذلك الوقت وتفشي كثير من العادات الذميمة والتي من أهمها أفكار الزنا. وبذا صارت الدعوة للزواج هى الأصلح لهم عوضاً عن التحرق بنار الشهوة. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو عاش بلا زواج ولكن ذهنه وفكره وقلبه قد تملكته أفكار الخطية وأثرت فيه اغراءاتها المتوفرة في العالم؟ ماذا ينفعه عزوفه عن الزواج وهو كل حين يتلظى بنار الشهوات التي تحاربه وتستميل جسده إليها؟ الأفضل لهذا الإنسان إذا لم يستطع توجيه هذه الطاقة الجنسية توجيهاً سليماً فيه تتحول إلى طاقة حب لله، للروحيات عوض الجسد والجسديات، نقول الأفضل له أن يتزوج.

وتاريخ الكنيسة يشهد عن كثير من الآباء المعتبرين من كانت حياتهم غارقة في الخطية والدنس قبل تجديدهم ولكن باحسانهم توجيه هذه الطاقات أمكنهم الركوض في طريق القداسة مشواراً طويلاً.. ولنا في أغسطينوس وموسى الأسود وبيلاجيه ومريم المصرية أمثلة حلوة، تسهل لمن يرغب طريق الكمال الدعوة لضبط النفس. أما من لا يستطيع ففرصة الزواج أمامه.. يمارس فيها غريزته بعدما تتقدس بصلوات سر الزيجة المقدس حيث يكون الزواج ليس فقط اخماداً لهذا التحرق – وإن كان ذلك من أهم أهداف الزواج الآن – بل أيضاً شعوراً بالوحدة والألفة. وشركة حية بين اثنين ائتمنهما الله على كنيسة صغيرة يسر بها ويحل فيها. ولعل كلام بولس نفسه للعبرانيين عن الزواج ينفي اعتباره مجرد مهرب من حروب الزنا بل أيضاً عملاً مكرماً جداً وطاهراً جداً طالما توفرت له شروط الاتحاد الحقيقي.

«.. ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس» (عب ١٣ : ٤)

هذا وموضوع التحرق يمكننا اعتباره مؤشراً كبيراً لشبابنا به يستطيعون تمييز الرغبات التي تجيش بها عقولهم وتتنازع نفسياتهم بين الرغبة في عيشة البتولية والرهبنة في الدير والزواج في

العالم. والشاب السائر في طريق الرب يستطيع ادراك ما إذا كانت حروب الزنا عليه نتيجة حروب ابليس واغراءاته أم نتيجة استجابته الشخصية لهذه النداءات الخاطئة التي تملأ المجتمع حوله. وبذلك يستطيع الكشف عن مصدر التعب وبالتالي اختيار الطريق السوي الذي فيه سوف يمجد الله ان كان زواجاً أم بتولية أم رهبنة. وليعلم الجميع أن الكل مكرماً عند الله والا لما كان السيد المسيح قد بارك في عرس قانا الجليل. ولعلنا نذكر هنا موقف التجلي وإيليا البتول عن يمين الرب وموسى المتزوج عن يساره في هيئة ممجدة متقربين إليه جداً. أعتقد أن الرب كان يقصد فيما قصد بيان ما نبحثه من كرامة للزواج وأفضلية البتولية. إذاً هى كلها طرق نرضي بها الله بمقدار ما قسم الله لكل منا قامة روحية وجهاداً في طريق القداسة.

ثالثاً : وصية للمتزوجين بخصوص الطلاق : (١٢ - ١٦)

[١٠- ١١] «..أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وان فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها. ولا يترك الرجل امرأته»

الكلام هنا عام للمتزوجين. ان لا تفارق المرأة زوجها وكذا الرجل لا يفارق امرأته. والوصية تنفي وتلغي الطلاق والإنفصال بمجرد الإرادة الشخصية المنفصلة. هذا لا وجود له في المسيحية. وإذا حدث واتخذ أحد الطرفين هذا التبرير هروباً من مشاكل متكررة لا تبيح له الكنيسة الزواج مرة أخرى.

وعندما يقول بولس الرسول « **لا أنا بل الرب** » يريد تقرير أن الكلام هنا وصية مباشرة من السيد المسيح مع أن البشائر المكتوبة لم تكن قد سجلت بعد حتى تاريخ رسالة كورنثوس. وهذا يوضح أن تعاليم الرب بخصوص حياة الكنيسة وأفرادها كانت معروفة لدى الجميع وبالأخص الرسل والتلاميذ. أو أن بولس قد عرفها من خلال تلمذته الشخصية المنفردة بالرب يسوع أثناء ظهوراته المتكررة له. على أي الحالات هو يورد هنا وصية الرب أنه لا طلاق بمجرد رغبة أحد الطرفين في الإنفصال بل...

«.. لا طلاق إلا لعلة الزنا » (مت ٥ : ٣٢)

لأن الزنا كما نعلم، هو دخول طرف ثالث يفصم عملياً وحدة الزوجين التي وهبهما إياها الروح القدس ، وبالتالي تصبح بلا وجود. لذلك يجب أن تفصل شكلاً بالطلاق لأنها من قبل من فصلت موضوعاً وجوهرياً بالزنا!

أما الذي يطلق امرأته.. أو التي تترك زوجها بإرادة منفصلة بحسب رغبات خاصة ونزعات خاصة. قال عن هذه الحالة الكتاب:

«.. **من طلق امرأته** (بدون علة الزنا) **وتزوج بأخرى يزني عليها. وإن طلقت امرأة زوجها** (بدون علة الزنا) **وتزوجت بآخر تزني»** (مر ١٠ : ١١، ١٢)

وهنا نلاحظ أن الطلاق أمر شخصي (.. ان طلق .. ان طلقت) بمعنى الطلاق بدون علة الزنا.. وبعيداً عن وصايا الرب. هذا أمر مرفوض.

ولكن معلمنا بولس يعود ويقرر انه ان فارقت المرأة الرجل لتمكث غير متزوجة أو لتصالح رجلها.، ذلك لأنه في بعض الأحيان تكون المشاكل قد ازدادت جداً وتفاقم مداها الأمر الذي لا ينفع معه الحياة في بيت واحد خصوصاً إذا كان الزواج قد تم في تسرع وغير دراسة. وفي هذه الحالة يكون هناك نوع ما من استحالة العشرة الزوجية. ومع استحالة الطلاق أيضاً بسبب عدم توفر شرطه الوحيد (الزنا) سمح الرسول بمجرد الانفصال وهذا ما يمكن أن تفعله الكنيسة. إما بانفصال كل من الطرفين في بيت والديه. أو بالتصالح معاً والرضا بالعيشة الزوجية ومحاولة اصلاح ما أفسده الشيطان بدخوله الأسرة.

ولكن هذا النوع من الحلول.. محفوف بالمخاطر لأنه قد يتردى أحد الطرفين إذا ما تم الانفصال، يتردى في خطايا الزنا والإنحلال. لذلك يجب على الأزواج والزوجات عدم اللجوء لذلك الحل إلا في الأسباب القهرية جداً. حتى لا ينطبق عليهم قول رب المجد:

«.. **من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني. ومن يتزوج بمطلقة** – من غير علة الزنا – **فإنه يزني»** (مت ٥ : ٣٢)

وللكنيسة دور في هذا. ألا تترك الأمور منذ البداية تصل إلى هذا الحد. أو إذا رأت أن هذا هو الحل الوحيد فالمتابعة المستمرة والسؤال المستمر يضمن عدم الانحراف ، وكذا الوعظ والعمل الروحي يساهم كثيراً في عودة العلاقات بين المتخاصمين ليس مثلما كانت قبلاً فحسب بل وربما أقوى مما كانت.

(نكتب هذا وان كنا نرى أن أصحاب المشكلات لا يساعدون الكنيسة في حل مشكلاتهم، بطاعتها والخضوع لها)

رابعاً : زواج المؤمنين بغير المؤمنين : (١٧- ٢٤)

[١٢- ١٣] «...وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب . ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها. والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها فلا تتركه»

الباقون هنا هم الذين سبق زواجهم قبل اهتدائهم للمسيحية ومازالوا في رباط الزوجية هذا. وبولس الرسول في حرصه الشديد على ثبات العلاقات الأسرية يوصي بعدم فصم هذه العلاقة طالما الشريك الغير مؤمن (الزوج أو الزوجة) يرغب في استمرار العلاقة. وهو حينما يستند على قوله «.. أقول لهم أنا لا الرب» لا يقصد أبداً ذاته انما يقصد أن هذا الحكم لم يعط السيد المسيح فيه جواباً أثناء حياته على الأرض انما هو احتياج خدمة فرضته ظروف الكرازة. ولكن المسيح كوعده لم يترك التلاميذ والرسل بل أعطاهم الروح القدس يلهمهم ويرشدهم ويحكمهم حتى لا يتعبوا في مثل هذه الحالات. لذلك يمكننا القول أنه وان كان قراره هذا بسلطانه الرسولي فمما لاشك فيه أنه مقود ومرشد بحكمة الروح القدس. لأنه لو تصورنا حلولاً أخرى غير استمرار هذه العلاقة لكان أمامنا الآتي :

+ إما أن نسمح بالطلاق طالما أن هناك شريك غير مسيحيٍّ، وهنا نحتار في وضع الأبناء.

+ أو نحكم بوجود الأولاد مع الشريك الوثني وهذا يعرضهم أن ينموا في بيئة وثنية وبذا يهلكون!

+ وإذا قلنا أن على الشريك المسيحي أن يفارق، فما ذنب الأولاد أن يُتركوا في بيت الشريك الوثني معرضين لنفس المصير السابق؟

+ أما إذا قلنا أن يفارق المسيحي ضاماً إليه الأولاد، فالمحاكم الوثنية تقف أمامنا تمنع ذلك. أرأيت يا أخي حكمة الروح القدس الفائقة، على فم الرسول المبارك؟!

ليس فقط هكذا حرصاً على العلاقات بل أنه يقول:

«.. لان الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة. والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل. وإلا فأولادهكم نجسون وأما الآن فهم مقدسون»

ليس معنى مقدساً أنهم صاروا في غنى عن الإيمان بل أنهم قد نالوا فرصة الإيمان والتوبة ومشاركة الشريك الآخر حياته المسيحية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهم مقدسون في الطرف المؤمن بنوعٍ ما حتى يكون النسل طاهراً لأن الذي سمح بذلك هو الروح القدس على فم الرسول.

أما وقد صار الأولاد طاهرين فبالضرورة الآباء مقدسين. ولكن قداسة الطرف الغير مسيحي لا تؤهله لدخول الملكوت بدون توبة وإيمان ومعمودية. إنما هى قداسة معنوية لأجل اراحة ضمير الشريك المؤمن وضمان حفظ الأبناء في خوف الله في ظل بيت مسيحي. أما إذا أراد الشريك الغير المؤمن أن يفارق. فليفارق وليس على الطرف المؤمن لوماً في مثل هذه الحالة:

[١٥] «.. ولكن ان فارق غير المؤمن فليفارق ليس الأخ أو الأخت مستعبداً في مثل هذه الأحوال. ولكن الله قد دعانا في السلام»

مستعبداً تعني ملوماً أو مقصراً في أمر خلاص الشريك الغير مؤمن الذي فارق. وقد تحمل أيضاً معنى السماح بالزواج مرة أخرى خصوصاً إذا كانت ظروف الأسرة تتطلب ذلك. مثل أن يكون الأخ أو الأخت صغير السن يخشى عليه من محاربات الزنا.. أو أن الأولاد صغار يلزمهم رعاية أم مؤمنة أو أب مؤمن حتى تكتمل تربيتهم في المسيح الذي دعانا في السلام وللسلام أي لنحيا في هدوء لا زعزعة أساس أسرة ربما كانت مستقرة جداً في ظل الناموس الوثني فلا يعقل أبداً أن تتزعزع بدخول المسيح إليها! هنا وجب على الرسل وهم السلطة الكنسية الأولى أن ينظروا في هذا الأمر ويوصوا بإرشاد الروح القدس.

[١٦] «... لأنك كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلصين الرجل أو كيف تعلم أيها الرجل هل تخلص المرأة»

هنا الأمر يختص بعدم الحجر على الشريك الغير مؤمن بُغية إدخاله الإيمان ، وعدم اكراهه على ذلك. لأن أمر إيمانه موكول لله ذاته. إذا رغب من القلب سيعرف الإيمان وإذا رفض فليفارق وكما قلنا الأخ أو الأخت ليس مستعبداً في هذه الأحوال..

[١٧] «.. غير أنه كما قسم الله لكل واحد كما دعا الرب كل واحد هكذا ليسلك وهكذا أنا آمر في جميع الكنائس»

والله حينما يدعو وحينما يقسم لا يظلم أحداً انما هو يدعو ويقسم بناء على حالة القلب واستجابة الإنسان للدعوة.. وأيضاً بناء على سابق علم الله بميول الإنسان ورغباته.. إنما في عدل مطلق لأن الله يعطي الفرصة للجميع أن يتوبوا ويخلصوا..

فإذا كان بولس بنفسه يعطي الفرصة للشريك الوثني أن يظل مقيماً في بيت الشريك المؤمن. ألا يعطي الله الفرصة للتوبة لمن يرغب؟! ان ارادته هى أن يخلص الجميع وإلى معرفة الحق يقبل!

خامساً : وصايا عامة للداخلين في الإيمان : (٢٥- ٣٨)

بعد ذلك يتغير اتجاه كلام الرسول بولس إلى تقرير مبدأ عامٍ يوصيهم بمراعاته عند ايمانهم بالمسيح. وهو أن يثبت كل منهم في العمل والوضع الاجتماعي الذي دعاه الله وهو فيه. ويركز بالأكثر على المظاهر الخارجية:

[١٧] «..غير أنه كما قسم الله لكل واحد كما دعى الرب كل واحد هكذا ليسلك. وهكذا أنا آمر في جميع الكنائس»

وهذا يذكرنا بالمثل الذي قاله رب المجد عن الوزنات إذ أعطى لكل واحد من عبيده عمله وبعد ذلك جاء ليحاسب كل منهم على ثمار عمله. ولم يطلب من صاحب الخمس وزنات إلا أمانته فيما هو بين يديه. لم يثقل عليه بما هو مطلوب من صاحب العشر وزنات. هكذا يريد الرسول بولس أن يقول ويبين هذه القاعدة : العمل الذي دعيت وأنت فيه ابق كما أنت. وهو هنا يحرض على النشاط والاهتمام.. ويبدو أنه كان هناك اتجاه لترك العمل وهجر أماكنه في نوع من الكسل والتراخي ودعوة الكنيسة لتعولهم. وهذا لا يمكن أبداً بأي حال أن تصير كل بركة المسيح سبب قلب لنظام المجتمع العام، الذي فيه يعمل الكل. لذلك أمرهم الرسول وعلمهم عدم الكسل بل الثبات واظهار أمانة كل منهم في العمل.

أما بخصوص التدين فيقول:

[١٨، ١٩] «.. دعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف. دعى أحد في الغرلة فلا يختتن. ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الله»

وهذا الكلام عالجه الرسول بولس في أكثر من موضع من رسائله وفي كل موضع يعالج وجهة نظر معينة كما سنرى.

(١) **«.. في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة»** (غلا ٥: ٦)

حيث يركز على أهمية السلوك بالإيمان الذي كان الختان علامته الخارجية. وسلوك الإيمان هذا هو المحبة حيث يصبح إيماناً حياً عاملاً. أما لمجرد الختان مع عدم توفر المحبة فهذا يجعله عديم النفع بل وشهادة ليست في حق الإنسان إذ يبدو مختتناً عن أعمال ميتة ولكن بأعماله يثبت استعباده لها.

(٢) «.. في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة» (غلا ٦ : ١٥)

حيث يركز هنا على قوة الطبيعة الجديدة وامتيازها والكفاءة التي أعطيت لها في نعمة العهد الجديد بالمعمودية التي هى ختان القلب والكيان كله. النعمة التي ضمنت للإنسان موتاً حقيقياً عن العالم وشهوات الجسد. إذا عاد الإنسان واستعبد لها أين تكون قوة المعمودية إذن؟!

(٣) [١٩] «.. ليس الختان شيئاً ولا الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الله»

وهذه هى الترجمة العملية السلوكية للختان الحقيقي ولبس الإنسان للطبيعة الجديدة. أن يسلك بوصايا الله. عالماً أنه ليس من هذه الأرض بل من السماء لذلك تلزمه للسلوك وصايا السماء. عموماً الإنسان الجديد انسان المعمودية أو الختان الحقيقي الواهب للإنسان طبيعة جديدة والذي يقوده بقوة الوصية هو انسان القلب الذي قال عنه بولس أيضاً:

«.. لأن اليهودي في الظاهر ليس يهودياً ولا الختان الذي في اللحم ختاناً بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب - يقصد بالحرف - هو الختان» (رو ٢ : ٢٥- ٢٩).

هذا وقضية الختان والغرلة حسمها الروح القدوس تماماً في مجمع أورشليم الذي إنعقد من الآباء الرسل والتلاميذ لبحث موضوع دخول الأمم إلى الإيمان والذي شمل قراره عدم التثقيل على الأمم الراجعين إلى الله:

«.. لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة. أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمختون والزنا التي ان حفظتم أنفسكم منها فنعماً ما تعملون» (أع ١٥ : ٢٨)

ومن موضوع الختان يخرج الرسول إلى تعميم الحرية المسيحية في كافة نواحي الظروف الاجتماعية مستغلاً ذكاءه الروحي لحسم موضوع الرق عندهم أيضاً فيقول:

[٢١] «.. دعيت وأنت عبد فلا يهمك بل وان استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحري»

ولا يظن أحد أن الرسول يوافق على العبودية. ولكنه يريد القول أن الهنا دعانا في السلام (١٥). ويريد أن يتعامل الجميع في السلام حتى لا تنقلب موازين المجتمع في تشويش مرفوض أساساً من الله. فيقول دعيت وأنت عبد، كن كما أنت ولكن ثق في قبول المسيح لك. وحسناً استعمل حريتك في خدمة المسيح لو أعطيت لك. ثم يعود ويوصي السادة أيضاً أن يعاملوا العبيد معاملة حسنة لأنهم جميعاً اخوة في المسيح وهكذا تنهار في هدوء كل الفوارق الاجتماعية ويصبح الكل واحداً في المسيح. أنظر معي كلامه إلى فليمون : « أطلب إليك لأجل ابني أنسيمس (العبد) الذي ولدته في قيودي .. لا كعبد في ما بعد بل أفضل من عبدٍ أخاً محبوباً ولاسيما إليّ فكم بالحري إليك في الجسد والرب جميعاً. فإن كنت تحسبني شريكاً فاقبله نظيري» (فل ١٠، ١٦، ١٧).

ويبدو أن الرسول بولس أيضاً يلمح ضمنياً إلى تكاسل بعض العبيد عن الحياة المسيحية زاعمين أن حالتهم الاجتماعية – كونهم عبيد – تعيق أيضاً خدمتهم للمسيح فيوصيهم بالشهادة للمسيح في كل المواقف والأوضاع مقرراً أنه بطبيعة الحال سيخدمون المسيح أفضل متى نالوا حريتهم. وما أجمل ما قاله في هذا الصدد في رسالة كولوسي:

«.. أيها العبيد أطيعوا في كل شئ سادتكم حسب الجسد لا بخدمة العبد كمن يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب. وكل ما فعلتم فأعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح أم الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباه» (كو ٣: ٢٢– ٢٥)

ولا يسكت عند هذا الحد من الكلام بل يستطرد في شرح نعمة العهد الجديد التي جعلتنا جميعاً – عبيداً كنا أم أحراراً – عبيداً للرب يسوع في طاعة كاملة بحرية القلب.

[٢٢، ٢٣] «.. لان من دعي في الرب وهو عبد فهو عتيق الرب كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبدٌ للمسيح. قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس»

والكلمة **«اشتريتم»** هذه لا تعني الشراء المعنوي أو بالينه بل تعني شراءاً حقيقياً بثمن حقيقي دفع فينا (T.E.V.) "For a price" كما يشترى فعلاً عبدٌ من سوق العبيد.

والرسول بولس هنا يستعير اصطلاحاً محلياً من أوساط العبودية ليقرر ارتباط المؤمنين بالمسيح. فالعبد الذي يعتق كان من المحتم أن يوضع ثمنه داخل الهيكل فيصير عبداً لإله ذلك الهيكل. وهذا يا أحبائي ما حدث معنا. المسيح له المجد اشترانا بدمه ومع أنه قد أعتقنا فحالما تحررنا صرنا منتسبين إليه اسماً وعملاً وحقيقة إذ أودع دمه قدس أقداس السماء ليجذبنا إليه باستمرار عبيداً

فرحين بعبوديتنا له وهكذا يتساوى الجميع تحت نعمة المسيح العبد والحر يرضى بسيادة المسيح على حياته.

لذلك يعود ويقرر رضى الإنسان ومكوثه هادئاً في علاقته مع الله

[٢٤] «.. ما دعى كل واحد فيه أيها الأخوة فليلبث في ذلك مع الله»

سادساً : وصية للعذارى : (٣٩، ٤٠)

والكلام في هذه النقطة حساس جداً نصلي إلى الروح القدس صاحب الوحي المقدس أن يلهمنا فهم كلماته لمنفعتنا.

الرسول بولس هنا يعالج موضوعاً خطيراً مازالت مجتمعات كثيرة بخاصة في الشرق تتمسك به ألا وهو زواج البنات. فقد كان قديماً تزويج البنت حقاً من حقوق أبيها. والرسول هنا لا يقرر لنا صحة أو خطأ هذه الفكرة ولكنه يثبتها كمجرد حقيقة لا أكثر واقعة قبلها المجتمع وارتضى العيش بها كما قبل نظام الرق وغيره من الأنظمة. وهو أيضاً لا يهجم متهكماً على الفكرة بهدف تغييرها بل يترك الأمر للمبادئ المسيحية الأصيلة التي يزرعها فيهم أن تغير ادراكهم من التحكم في مصائر البنات إلى اعتبارهم كاملين السن مسئولين عن أنفسهم في تقرير وعمل ما يرغبونه.

[٢٥] «.. أما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكني أعطي رأياً، كمن رحمه الرب أن يكون أميناً»

بمعنى أنه ليس بالبشائر ولا بالتقاليد الرسولية المتوارثة شفاهاً عن الرب يسوع ، ليس فيها ما نستدل منه على وصية للمسيح في هذا الشأن. ولكني أتكلم كشخص حسبه الله أميناً ودعاه للخدمة والكرازة برحمته له. فيمكنكم اعتبار ما سأكلمكم به رأي موحى به من الله (٤٠) ولكنه لا يستند إلى وصية مباشرة من المسيح ولا إلى سلطة رسولية:

[٢٦-٢٨] «..فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا أنت مرتبط بامرأة لا تطلب الإنفصال. أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة. ولكنك وان تزوجت لم تخطئ وان تزوجت العذراء لم تخطئ. ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد. وأما أنا فإني أشفق عليكم»

والعجيب هنا أن الرسول يعتبر فرصة الحياة التي أعطيت مرة واحدة لكل منا ضيقاً حاضراً. ستشرحه الآيات التالية (٢٩- ٣١).

ولسبب هذا الضيق يطالب أن يمكث كل انسان كما دعاه المسيح متزوجاً أو غير متزوج ، فحسن له أن يظل هكذا ويعبر سالماً هذا الضيق الحاضر أفضل من أن يرتبط ويعاني هذا الضيق والوقت على أي الحالات مقصر كما سنرى. وضيق الجسد الذي يقصده هنا الرسول هو هموم الإنسان المرتبط والذي يعول أسرة وهى أكثر بكثير من هموم من يعيش وحده في بتولية وتكريس كامل للرب. لذلك هو يشفق عليهم ويريد أن يعفيهم ويمنع عنهم هذه المتاعب والهموم.

[٢٩- ٣١] «..فأقول هذا أيها الأخوة الوقت منذ الآن مقصر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم والذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يملكون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول»

وهو لا يقصد فقط القول أن مجئ ربنا يسوع للدينونة قريب بل يريد التركيز على أن فرصة الخدمة التي تتيحها لنا حياتنا قصيرة. وهذا حق. سواء كان المقصود عودة ربنا أم انتهاء حياتنا بالموت. فالوقت مقصر بكون الحياة ذاتها قصيرة جداً.

«.. مولود الامرأة قليل الأيام وشبعان تعباً» (أي ١٤ : ١)

وأيضاً بكون الحياة فرصة تعطى للإنسان مرة واحدة. على الإنسان أن ينتهزها قبل فواتها.

والمسيحي يعيشها - كما يعيشها العالم بحسب مظاهرها الخارجية ولكن بروح يختلف تماماً عن أهل العالم لأنه ليس من هذا العالم كالمسيح الذي انتسب إليه. المسيحي يتزوج ويحق له العدول عن فكرة الزواج بحرية من أساسها ، هو يبكى ويفرح يبيع ويشتري ويستعمل العالم ولكن كما قلنا بروح مختلف فهو حقاً يتزوج ولكن الزواج بالنسبة له ليس شهوة وكفى بل حياة روحية مقدسة في الرب وعلى غرار محبة المسيح للكنيسة هو يحب زوجته وأسرته. هو يتألم في العالم ويبكي ولكن الرجاء الحي يجعله كمن لا يبكي إذ يملأه بالعزاء السماوي.

«.. فرحين في الرجاء. صابرين في الضيق» (رو ١٢ : ١٣)

المسيحي يفرح.. ولكن لا يغريه فرح العالم. يظن من يراه أنه يفرح بمسرات العالم لكنه في الحقيقة فرحاً بالرب وبالسماء. أمور العالم لا تسره بقدر ما تسره أخبار السماء. وهنا نفهم معنى «كأنه لا يفرح».. لأنه كثيراً ما يحزن الإنسان المسيحي حزناً ظاهرياً ولكن حزنه يتحول إلى فرح

كوعد المسيح (يو ١٦ : ٢٠) وهذا ما قاله الرسول أيضاً.

«.. مكتئبين في كل شئ لكن غير متضايقين. متحيرين لكن غير يائسين. مضطهدين لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين. حاملين في الجسد كل حين أماته الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع في جسدنا» (٢كو ٤ : ٨- ١١)

الإنسان المسيحي يتعامل مع العالم في حركة الشراء.. ولكن في حدود احتياجاته الفعلية دون رغبة في التملك عالماً أنه يجتاز هنا فترة غربة وسيخرج عن العالم بلا شئ كما دخله أيضاً بلا شئ (١تى ٦ : ٧) فيبدو كالغريب الذي لا يملك إلا قوت يومه وكسوة جسده مكتفياً بما عنده.

وفي اجمال يقول الرسول أن التعامل مع العالم أصبح بهدف واحد هو تمضية فترة الغربة هذه. يعيشها المسيحي جالساً على قمة العالم لا يشتهي فيه شيئاً ولا يخاف من أي شئ فيه[1] لذلك يبدو كمن لا يستعمله وهو في الحقيقة قد سخر العالم وما فيه لخدمة أبديته في توجيه روحي يخدم الهدف الذي يسعى لأجله. عالماً أن هيئة هذا العالم تزول.. آه .. إن الكل سوف يمضي ولن يبقى سوى الروح التي تعامل بها الإنسان مع الأشياء والأحداث المختلفة. وهنا قال الرسول [هيئة هذا العالم]. لأن ما نراه بعيوننا ليس هو العالم بل هو هيئة خارجية ظاهرية له سوف تزول وتنتهي مقضياً عليها بالفناء ان لم يكن بسبب شر الإنسان فسيكون بسبب قوة ابليس رئيس هذا العالم الذي استطاع - بسماح من الله طبعاً - تخريب العالم حتى يستطيع الإنسان تمييز هذه الهيئة التي سوف تزول. أما العالم فهو موضوع مسرة الله ومحبة الله. رآه حسناً يوم خلقه وأكمل عمله. ومكث مستريحاً فيه كخليقته منذ نهاية الخلقة.. اليوم السابع الذي بدأ ولم ينته بعد! العالم أحبه الله حتى بذل ابنه الوحيد ليعطي فرصة الخلاص لمن يؤمن به (يو ٣ : ١٦). العالم في نظر الله خليقة محبوبة جداً عز عليه سقوطها تحت عبودية الفساد لذا سوف يعتقها في آخر الأيام لتعود إليه محبوبة من جديد بما فيها من جماد وبحار وسائر الموجودات.

«.. لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله. إذ أُخضِعَت الخليقة للبُطْل ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء. لأن الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله» (رو ٨ : ١٨- ٢١)

بعد ذلك العرض الشيق لسلوك المسيحي تجاه العالم خرج لنا الرسول بنتيجة غاية في الدقة وهى تفضيل حياة البتولية عن الزواج. لا بقصد أن الزواج شيئاً يزدرى به بل لأن المتزوج تلهيه أمور

---

(١) القديس اغسطينوس.

كثيرة خاصة بالزواج عن كونه يرضي الرب بكامل وقته وطاقته بسبب انشغاله بزوجته وبيته وأولاده.

[٣٢، ٣٣] «.. أريد أن تكونوا بلا هم. غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب. أما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته»

والرسول بولس لا يقصد أن المتزوج يخطئ إذا ما اهتم بإمرأته وارضائها وإلا كان الزواج أمراً مشيناً ناقصاً. وهذا ما لم يحدث لأن الزواج سر مقدس والتزام بحياة شركة زوجية بهدف سامي جداً وبحب كبير على غرار حب المسيح للكنيسة (أف ٥ : ٢٥). إنما يقصد كما قلنا أن فرصة العبادة والعمل الروحي والخدمة تتوفر لدى البتول أكثر من المتزوج. ولكننا نعود ونقول أن العبادة هي عبادة القلب والله لا يرضيه الكم بل الكيف. وتاريخ كنيستنا حتى والمعاصر أيضاً يحكي لنا قصص كثيرة عن قديسين وآباء كانوا متزوجين وضربوا لنا أمثلة عالية جداً في القداسة. أجل فقد جاء وقت كان الأسقف يختار فيه متزوجاً من امرأة واحدة (أنظر ١تى ٣ : ٢) الأمر الذي اقتصر الآن على الآباء الكهنة [١].

هذا من جهة الأزواج، أما من جهة الزوجات فقال القديس بولس:

[٣٤] «.. بين الزوجة والعذراء فرق غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً. أما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي رجلها»

لاحظ هنا أن الرسول لم يقل عن المتزوجة أنها غير مقدسة جسداً وروحاً. بل ركز فقط على اتجاه اهتمامها بزوجها وبيتها وأولادها. خطأ كبير أن نظن أن المتزوجة غير مقدسة. لأن هذا كما قلنا ينقض ركناً هاماً جداً في موضوع الزواج وهو كونه سراً يتم في حلول الروح القدس وبواسطته. يقصد الرسول بولس هنا أيضاً أن غير المتزوجة تكون لها فرصة للخدمة والصلاة وسائر أوجه العمل الروحي أكثر من المتزوجة. فهي تكرس كل طاقاتها الروحية والجسدية لخدمة الرب وارضائه. وهذا هو مفهوم التقديس الذي ذكره الرسول في الآية[٢]. أما المتزوجة فوقتها موزع بين مسئولياتها الزوجية وواجباتها الروحية أيضاً. مسئولياتها هذه كثيراً ما أوصى بها الرسول بولس نفسه في رسائله (أنظر مثلاً أفسس ٥ : ٢٢- ٣٣، كولوسي ٣ : ١٨- ٢١). فلو كان ما يقصده هو نقص في كرامة الزواج لما أوصى الروح القدس بالإهتمام به. هذا والأمر الذي نبحثه سيوضحه

---

(١) يذكر تاريخ القديس انبا مقار عن امرأتين متزوجتين في الاسكندرية نالا قداسة السيرة والحكمة وعبادة القلب الكثير الذي تعجب لأجله القديس أنبا مقار والذي شهد الرب نفسه عن عظمته.

(٢) الفعل قدس يعني خصص أو كرس.

الرسول في الفقرة التالية من الرسالة:

[٣٥، ٣٦] «.. هذا قوله لخيركم ليس لكي ألقى عليكم وهقاً بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون إرتباك. ولكن ان كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذراته إذا تجاوزت الوقت وهكذا لزم أن يصير فليفعل ما يريد. أنه لا يخطئ. فليتزوجا»

نظراً لحساسية الموضوع الذي يناقشه القديس بولس الرسول فإنه بحكمته الروحية المعطاة له من الروح القدس، وأيضاً بذكائه الذي جعل منه فيلسوف المسيحية. يحاول هنا تغطية الموضوع من كل جوانبه حتى لا يترك مجالاً لأحد أن يفسر ما يقوله تفسيراً يتنافى مع حق الله المعلن بوضوح في الكتاب المقدس.

فيعود هنا ويخبرهم – يخبرنا – أن ما يقوله ليس من باب الفروض التي يجب الإلتزام بها وطاعتها في كل الأحوال دون مراعاة للقامات والاستعدادات النفسية والجسدية للعذراء فهو لا يرغم أحداً على قبول فكر البتولية وان كان قد فضله. إنما هو يُرَغِّب الكل ومن أراد سوف يكون من السهل عليه اتباع ذاك الطريق. هو على أي الحالات يريد للجميع أن يعبد الرب من دون ارتباك. سواء بمشغولية زوج أو زوجة أو أولاد. لأننا كما رأينا أن المتزوج يهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته. وبولس هنا يطلب على سبيل الإرشاد والنصح وليس الأمر والإلزام لمن يستطيع. حتى يعبد الرب باهتمام القلب لا بإرتباك العالم.

هنا ونتوقف عند بيت لعازر حيث مريم ومرثا والآية الشهيرة جداً..

«.. مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. والحاجة إلى واحد. أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح الذي لا ينزع منها» (لو ١٠ : ٣٨– ٤٢)

وقد فسر البعض النصيب الصالح هنا هو البتولية الكاملة التي تتيح للبتول الإلتصاق الدائم بالرب يسوع وعبادته في عدم ارتباك وبحرية. وهذا جائز، ولكننا نقول أيضاً أن هناك باستمرار احتياج لمرثا أيضاً. كما جاء في بستان الرهبان أن مريم في حاجة لمرثا. ومرثا في احتياج لمريم. وإلا لن يتمتع بالنصيب الصالح سوى الذين اتبعوا طريق مريم. وبالتالي سيهلك كل المتزوجين. الأمر الصعب الذي يتنافى مع كرامة الزواج كسر مقدس كان في فكر الله حتى قبل خلقة الإنسان..

«.. اثمروا واكثروا – تكاثروا – واملأوا الأرض..» (تك ١ : ٢٨) (١)

---

(١) هذه الآية يفسرها القديس اغسطينوس انها اشارة إلى سر الزواج الذي قدسه الرب في الإنسان منذ خلقته. قائلاً أن من يفسرونها على أنها تخص ما بعد السقوط (أقصد المعرفة الزوجية) يكون الله قد خلق أعضاءاً في الإنسان وظلت معطلة فيه إلى أن سقط وبدأ في استخدامها بشهوة. فهذا ما يتنافى مع قداسة وكمال الله. (أنظر تفسير سفر التكوين – القمص تادرس يعقوب ص ٨١).

لذلك عاد الرسول بولس وأوصى بالزواج لمن لم يستطع أن يحافظ لإبنته على عيشة البتولية الدائمة روحاً وجسداً إذا ما عزفت عن الزواج. لأن الزواج أصلح من التحرق كما رأينا. فمتى رأى الوالد أن هناك أمور حسنة سوف تكون في زواج ابنته – هكذا لزم أن يصير – فعليه بتزويجها ولم يخطئ في ذلك لأن موضوع الزواج من الأساس هو القاعدة أما البتولية فهى ليست للكل بل لمن وضع فى قلبه كما سنرى.

ظن البعض أن الكلام هنا عن المتزوجين الذين آثروا حياة البتولية بعد الزواج وفهموا ذلك من قول الرسول – فليتزوجا. ولكن هذا التفسير خاطئ لأن المقصود بالكلمة هنا فلتتزوج البنت مع عريسها الذي اختارته أو اختاره لها الأهل.

أما موضوع نذر البتولية بعد الزواج فهو أصعب بكثير من نذرها قبله وهذه درجة روحية ليست للكل لأنها محفوفة بالمخاطر والمحاربات ومن يحيا هذا الطريق تلزمه معونة قوية وكذا جهاد روحي عنيف..!!

[٣٧] «.. وأما من أقام راسخاً في قلبه وليس له إضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه فحسناً يفعل»

الرسول بولس هنا لا يهمه فقط اقبال الناس على فكر البتولية ثم تركهم لحياة التعب الداخلي والتحرق، بل هو – رغم تفضيله لحياة البتولية – لا يقرر هذا المبدأ إلا بالضمان الكافي له. حيث يتوفر التصميم القلبي والإرادة الحرة وفوق الكل حفظ العذراء أي الاعتناء بكافة احتياجاتها وفرزها وتكريسها لخدمة المسيح وتوفير كل الامكانات لذلك، حتى لا تشعر أنها سارت في طريق صعب عليها فتسلكه بالجسد أما القلب والروح ففي اتجاه آخر واهتمام آخر يقودها إلى الخطية بسبب الكبت.

ولكي يقرر فضل الزواج وأفضلية البتولية قالها في تركيز عجيب..

[٣٨] «.. إذاً من زوج فحسناً يفعل. ومن لا يزوج يفعل أحسن»

ولكن بالرجوع إلى احدى الترجمات التفسيرية للكتاب المقدس وجدنا أن الآية رقم (٣٦) مكتوبة هكذا:

«.. ولكن ان ظن أحد أنه يتصرف تصرفاً غير لائق نحو عزوبيته إذا تجاوز السن وأنه لابد من الزواج. فليفعل ما يشاء. إنه لا يخطئ فليتزوج العزاب في هذه الحال»

وإني لأرى في هذا التفسير بعض المغالطة، فالكلمة في الترجمة العربية جاءت «عذراء» وليست «عذراويته» حتى يتسنى للقائمين بالترجمة التفسيرية كتابتها «عزوبيته» كمرادف «لعذراويته».

ومع أن هذا التفسير قد يكون مقبولاً بمجرد النظرة البسيطة في التفسير. وكذا من جهة ما يحدث في الحياة العملية (.. من لا يستطيع حياة البتولية فليتزوج). إلا أنه بالرجوع أيضاً للترجمات الانجليزية للرسالة نجد أن النصوص فيها تؤكد ما ذكرناه قبلاً في الصفحات السابقة من أن المقصود «بالعذراء» هى إما «خطيبة الرجل» أو «إبنته»

"If anyone thinks he's acting improperly towards his virgin (not virginity) he is engaged to, and if she is getting along in years and he feels he ought to marry, he sould do as he wants. He is not sinning they should get married" (N.I.V.)

هنا الترجمة تركز على الشاب ومخطوبته. وفي توضيح آخر من نفس الترجمة قرأنا:

Or "If anyone thinks he is not treeting his doughter properly, and she is getting along in years and he feels she ought to marry, he should do as he wants. He is not sinning. He should let her get married"

كذلك في ترجمة انجليزية حديثة (T. E. V.) قرئت هكذا:

"In the case of an engaged couple who have decided not to marry, if the man feels that he is not acting properly towords the girl and if his passions are to strong and he feels that they ought to marry, then they should get married as he wants to, there is no sin in this"

وفي توضيح مرادف لهذا النص من نفس الترجمة قرأنا:

"In the case of a man and his unmarried doughter, if he feels that he is not acting properly towords her, and if she is at the right age to marry, then he should do as he wishes and let her get married"

وقد ذكرت الترجمة القديمة (K.J.V.) بصراحة هكذا:

Let her get married (she and her lover married)

«وعلى أي الحالات، إذا كان المقصود عذراوية الشخص (عزوبيته) أو مخطوبته أو ابنته

العذراء.. فيجب علينا أن نتخطى كل ذلك ونتفهم أن قصد الرسول هنا تقرير أفضلية حياة البتولية ان أمكن ذلك للإنسان أما من لا يستطيع فعليه الزواج.

سابعاً : وصيـــة للأرامـــل : (٣٩، ٤٠)

[٣٩] «..المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حياً. ولكن ان مات رجلها فهي حرة تتزوج بمن تريد في الرب».

هنا الرسول يسمح بزواج الأرملة التي مات زوجها ولكن يشترط أن تتـزوج مـن انسـان مؤمن (في الرب) والأمر ينطبق أيضاً على الزوج الذي ماتت زوجته. حتى لو كان الشريك الذي مات وثنياً. والرسول يقرر هذا حتى لا تكون هناك فرصة لضياع الأرملة متى تزوجت بوثني.

ولكن يعود الرسول محب البتولية ويرغبهن في عدم الزواج..

[٤٠] «.. ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيي وأظن أنا أيضاً عندي روح الله»

وكلمة أظـــن هنا لا تعني شكه في حقيقة ما يكتبه بالروح القدس بل يريد أن يقول أنه وان كان يكتب لهم في أمور لم يتحدث فيها المسيح له المجد مباشرة. إلا أنه بالروح القدس يقولها الذي هو روح الله. وهذا هو صميم اعتقاده الذي على أساسه كتب رسائله قبل الانجيل المكتوب.

www.diraasat.com

﴿ الأصحاح الثامن ﴾

مقدمة : نحن الآن أمام قضية محلية يتساءل فيها أهل كورنثوس وهى ما ذبح للأوثان. وهذه الأمور ليست جديدة في تاريخ المسيحية (النقاش حول الأوثان). فقد كانت موضع نقاش أول مجمع في تاريخ المسيحية المعروف بمجمع أورشليم وورد ذكره في الأصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل. ومن قراراته أن يمتنع المؤمنون خاصة الأمم الداخلين في الإيمان حديثاً. يمتنعوا عن أكل المخنوق والدم وما ذبح للأوثان.

«.. أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي ان حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون. كونوا معافين» (أع ١٥ : ٢٩)

وهكذا نرى أن القضية محسومة من قبل بواسطة الآباء الرسل. وبولس الرسول كان يعلم هذا. ولكن شعب كورنثوس لا يعلم معرفة من عنده رسائل الرسل الخاصة بالمجمع بل ربما كان بمجرد النقل الشفاهي. ذلك لأن بولس كتب رسائله قبل كتابة البشائر وسفر الأعمال. عموماً هو هنا يعيد عليهم حكمة الله في هذا الأمر فيقول بطريقته المعتادة في التمهيد للموضوع..

[١] **«... أما من جهة ما ذبح للأوثان. فنعلم أن لجميعنا علماً . العلم ينفخ ولكن المحبة تبني»**

ما العلم الذي يقصده بولس الرسول هنا؟ يقول عنه في (رو ١٤ : ١٤)

«.. إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيئاً نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس» (رو ١٤ : ١٤)

وهذا العلم الذي يريد أن يقوله يجرنا للكلام عن ما ناقشناه في دراستنا للأصحاح السادس. يريد أن يقول لنا أن الله قد خلق كل الموجودات طاهرة مباركة منه. ولما سقط الإنسان واستحق اللعنة لعنت الأرض أيضاً وبدأ الفساد يدب في كل الخليقة. وكان على الله أن يفصل لشعب

إسرائيل بين الحيوانات والطيور الطاهرة وغير الطاهرة.. حتى يدرك الإنسان أثر خطيته في الكون كله. ويعرف الله ويقترب إليه منضبطاً بهذه القيود التي تبغي تحكيمه وقيادته إلى الله. وعندما أتى الرب يسوع وصنع الفداء والصلح.. وزالت العداوة، بدأت الخليقة نفسها تدخل مع البشر من جديد عهد البركة هذا.. وان كانت معنا لم تنل الخلاص النهائي الذي أسماه بولس في (روميه ٨) **خلاص الأجساد.**

وبدأ يتربى لدينا هذا الشعور ، ان كل شئ طاهر للطاهرين.. وبشهادة الضمير الحي نحكم على الأمور بمقياس ما يليق وما لا يليق. ولكن بالنسبة للموجودات فنعلم أن الله خلق الكل طاهراً.. وليس شئ منها نجساً في ذاته. حتى لو كان قديماً قد تنجس بسلوك الإنسان.

هذا هو العلم الذي يريده بولس الرسول. خروجاً من دائرة الحلال والحرام وعبودية الحرف القاتل إلى معرفة الإنسان قيمة نفسه ونوال حاسة الإفراز والتمييز التي تتفق وحرية مجد أولاد الله في العهد الجديد حيث الروح المحيي.

ولكن ما يحيرنا الآن أن نجده يستطرد ويقول ان العلم ينفخ ولكن المحبة تبني! معطياً بذلك طريقاً أفضل للحياة مع الله. فالعقل البشري بخياله الواسع وكونه مجال حرب الأفكار ممكن أن يتعرض في وقت من الأوقات بخداع من إبليس. يتعرض لإنحراف خطير في مفهوم هذا العلم.. وعن طريق هذا نشأت الهرطقات في تاريخ الكنيسة. وكأنه يريد أن يقول لأهل كورنثوس – وسيؤكد هذا سريعاً – أنكم رغم علمكم ممكن أن تزوغوا عن الحق.. وتتساهلون في بعض الأمور وتجدون أنفسكم وقد سقطتم دون أن تدروا.. في فخ الكبرياء وهكذا يخدعكم إبليس.

وعن موضوع الأكل بالذات نراه يقول لأهل رومية:

«.. واحد يؤمن أن يأكل كل شئ – له علم – وأما الضعيف فيأكل بقولاً. لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل. ولا يدن من لا يأكل من يأكل لأن الله قبله» (رو ١٤ : ٢، ٣)

وهكذا نجد أن كون الإنسان يعلم شيئاً قد جعله يفرط في وصية المحبة للقريب ويسقط في احتقار الآخرين الضعفاء مم يضطرهم هم أيضاً إلى السقوط في الإدانة..!!

لذلك قال سريعاً ان المحبة تبني. نعم فلا شئ يقرب الإنسان إلى الله ويبني صرح العلاقة معه إلا أن نحبه من كل القلب. بصرف النظر عن كوننا علماء أو أميين. فبولس كان فيلسوفاً وبطرس كان جاهلاً لا يعرف الكتابة (صياداً) وكلاهما أمام الله مقبولين عنده.

هذا ولا يتركنا بولس الرسول نحتار في هذا المعنى حتى لا نظن أن كل العلم مرفوض أمام الله

بل يشرح لنا بأكثر توضيح ويقول:

[٢، ٣] «.. ان كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف. ولكن ان كان أحد يحب الله فهذا معروف عنده»

(أنظر أيضاً ١كو ١٣: ٨، ٩)

فنحن بحكم بشريتنا وعقلنا القاصر المحدود نعرف بعض الشئ عن بعض الأشياء. أما الله وهو كلي الحكمة والعقل الغير محدود فهو يعرف كل الأشياء عن كل الأشياء. وهكذا علاقتنا بالمعرفة هى علاقة بَعضية أي لا نعرف كل شئ. وفي الوقت نفسه هذا البعض الذي نعرفه ربما أيضاً لا ندركه أو نعرفه كما ينبغي لأن كل وسائل المعرفة على الأرض إنما هى بشرية معرضة أيضاً للخطأ. ويحكم عليها الإنسان من منطقه البشرى الذي كثيراً ما يحيد حتى في معرفتنا لله. الأمر الذي يجب أن نأخذه منه رأساً. كثيراً ما نقحم فيه ذواتنا زاعمين أننا نستطيع وفي الحقيقة نحن لا نملك. وأمامنا مثال لذلك، الهرطقات الكثيرة التي ظهرت في تاريخ الكنيسة وكلها قد قام بها أرباب علم ومعرفة ولكن للأسف بشرية!!

لذلك قال « كما يجب أن يعرف ». أي ليس بحسب الله.

أما من يحب الله.. فهو المقرب إليه.. المحبوب لديه.. بغض النظر عن كونه عالماً أو جاهلاً.. ذلك لأن المحبة هى أساس كل بنيان وعمل روحي.. وإذا وضعنا العلم في مقارنة مع المحبة سنرى بولس يقول:

«.. ان كان لي ... كل علم... وليس لي محبة فلست شيئاً ... » (١كو ١٣: ٣)

فالمحبة هى كل شئ.. تكميل الناموس كما قال الكتاب وهذا ما قاله رب المجد في (مت ٧: ٢١)

«.. ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات» (مت ٧: ٢١)

وطبعاً لا يمكن لأحد أن يطيع الله ويتمم إرادته إلا إذا أحبه! وصار واحداً معه في الإرادة والعمل لأن الرب:

«.. يعلم الذين هم له..» (٢ تى ٢: ١٩)

يعود الآن بولس الرسول لموضوع ذبائح الأوثان فيقول:

[٤ - ٦] «.. فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان. فنعلم أنه ليس وثن في العالم وأن ليس اله آخر إلا واحداً لأنه وان وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن بـه »

هذا هو العلم المطلوب توافره لدينا.. ان الوثن ليس إلهاً حقيقياً.. وأنه يوجد إله واحد.. هو الذي نعرفه ونعبده ونحبه. وهو الكل في الكل وليس سواه:

«.. هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود. أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري.. هل يوجد إله غيري» (اش ٤٦ : ٦ - ١٠)

ووصية عبادة ومعرفة الإله الواحد قديمة قدم الناموس نفسه..

حتى وان كان هناك في العالم. في السماء أو على الأرض، ما يمكن أن يطلق عليه مجازاً كلمة إله إلا أنه لا يوجد إلا أب واحد ورب (ابن) واحد .. هو ما نعرفه.

نسمع عن طغمة الأرباب في السماء.. ولكنها لا تعني أكثر من سيادات ورياسات أوكل إليها من قبل الإله الواحد أن تكون هكذا ذات مسئولية محددة حتى لو كانت لها سيادة على بعض الطغمات الأخرى ففوقها سيد الأسياد ذاته الله الواحد. وعن شعب إسرائيل نفسه لقد قال الرب أنهم آلهة..

«.. أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت أنكم آلهة ان قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب» (يو ١٠ : ٣٤)

ولم يكن يقصد أكثر من كونهم قد عرفوا الله وصاروا واحداً معه في المشيئة.. فصاروا على صورته وصفاته كما لو كانوا آلهة. مثلما قال لموسى أنا قد جعلتك إلهاً لفرعون!

فهذه التسميات هى من قبيل المجاز وليس الحقيقة.. مثلما نقول عن الأم أنها ربة البيت.. ليس معنى هذا أن يقدم لها سجوداً وعبادة.

فلنا إله واحد.. الهنا الحقيقي.

وهنا عندما يتكلم بولس الرسول عن هذا الإله الواحد.. يذكر الآب ويذكر الابن. وضمنياً يذكر الروح القدس كما سنرى. حتى يقرر التعليم بوجود الثالوث الأقدس والوحدانية في نفس الوقت فيقول لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء بمعنى أنه علة كل وجود وأصل كل

الموجودات لأنه كائن بذاته وليس معلول أي أنه ليس موجوداً بقدرة آخر. هو الكائن بذاته ومنه كانت كل الأشياء أي اكتسبت وجودها من وجوده. ونحن كبشر نحيا له. مدينين له بوجودنا منتمين له كأصل لطبيعتنا وكمصدر لحياتنا. موجودين بوجوده ولولاه لكنا عدم.

لذلك كل أعمالنا وتصوراتنا وتطلعاتنا وأفكارنا يجب أن توجه لهذا المصدر الإلهي الحي كحنين طبيعي فينا وليس عن ضغط واضطرار. وكاحتياج أصيل داخلنا موجود في أعماق نفوسنا منذ أن خلقنا الله وطبع فينا صورته.

ثم يأتي الحديث عن ربنا يسوع المسيح ابن الله الكلمة فيقول: لنا ربٌ واحدٌ يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به. لا يختلف اثنان مسيحيان على لاهوت ربنا يسوع المسيح مهما اختلفا في كثير من العقائد. والأدلة على لاهوت السيد المسيح كثيرة إن فكرنا في حصرها سواء في الكتاب المقدس بعهديه أو من أعماله له المجد أو من صفاته أو حتى من شهادة الآخرين عنه.

تعلمنا الكنيسة أن الرب يسوع – الأقنوم الثاني – هو كلمة الله وعقل الله وحكمة الله. الذي به خلق الكل بصفة القدرة الإلهية.

«.. به خلق العالمين» (عب ١ : ٢)

«.. به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع ١٧ : ٢٨)

«.. الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب ١ : ٣)

أي أنه ان كان الآب – الأقنوم الأول – هو الذات الإلهية مصدر كل وجود فقد أعطى الوجود للموجودات بقدرته – الابن – وأعطاها الحياة بروحه – الروح القدس – كما ذكر سفر التكوين.

«.. في البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخاوية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه وقال الله ليكن نور فكان نور» (تك ١ : ١ – ٣)

هنا نرى الثالوث الأقدس مشتركاً في العمل، الله الذي هو الآب الذات الإلهية يستدعى قدرته – ابنه – وحكمته الكلمة حتى يخلق به وبإستطاعته كل شئ ويعطي الحياة للموجودات بواسطة روحه القدوس الذي كان يرف على وجه المياه منتظراً بدء الخليقة حتى يعطيها الحياة من ذاته بصفته أصل كل حياة في الوجود أي الحي بذاته.

ويمكننا هنا في اختصار أن نوضح مفهوم التثليث فنقول أن الله واحد مثلث الأقانيم له ثلاث صفات ذاتية – جوهرية – باستثناء أحد منها لا يمكن أن يقوم الكيان الإلهي فنقول ان:

الآب كائن[1] **بذاته** عاقل ناطق **بالابن** حي **بالروح القدس**
الإبن كائن **بالآب** عاقل ناطق **بذاته** حي **بالروح القدس**
الروح القدس كائن **بالآب** عاقل ناطق **بالابن** حي **بذاته**

وحتى نلمح كلام الرسول بولس عن الروح القدس اسمعه يقول في (١كو ١٢ : ١٣)

«.. ليس أحد يقول أن يسوع رب إلا بالروح القدس»

أي أن روح الشهادة والإيمان بلاهوت السيد المسيح هو عمل الروح القدس فينا منذ أن كنا عدم. فهو الذي أعطانا الحياة. ولما فقدناها بالخطية عاد إلينا بعد الخلاص بالصليب وسكن فينا بالمعمودية والميرون ومازال يعمل فينا وسيظل يعمل حتى تتم فينا طباعة صورة الله أصل وجودنا وبذا نعود على صورته ومثاله كما خلقنا.

بعد أن وضح لهم بولس الرسول حقيقة الإيمان المسيحي بوجود الإله الواحد المثلث الأقانيم حتى يطمئن للعلم الذي ينادون بمعرفتهم به. يعود مرة أخرى للقضية التي شغلته طوال هذا الأصحاح ليقول لهم أن هذا العلم ليس في الجميع..

[٧] **«.. ولكن ليس العلم في الجميع بل أناس بالضمير نحو الوثن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس»**

فضعيف الإيمان الذي لم يتربى عنده هذا العلم الذي تملكونه أنتم. كثيراً ما يكون متشككاً ضعيفاً في ضميره بمعنى أنه كثير التساؤل ويطلب دائماً أن تكون الروحيات بالنسبة له مباشرة وصريحة ليس فيها التواء. وبسبب ضعفه هذا نراه يأكل طعاماً محللاً ولكن بسبب ضعفه الشخصي وقلة خبرته الإيمانية يأكله متشككاً، كأنه محرم (مذبوح لوثن). وهنا يكون قلبه قد تنجس وضميره تنجس أي ضعف وتراجع.

مع أن الطعام في ذاته..

---

(١) لاحظ في الحديث عن اللاهوت نقول أن الله « كائن » وليس « موجود ». فكلمة «موجود» اسم مفعول توحي بأن الله قد أوجده آخر. أما كائن فإسم فاعل توحي بأن الله قد أوجد ذاته. أما في الحديث عن عمل الله – بعيداً عن مناقشات لاهوت العقيدة – فيمكننا القول دون حرج أنه « موجود » كما جاء في (عب ١١ : ٦).

[٨] «.. لا يقدمنا إلى الله. لأننا ان أكلنا لا نزيد وان لم نأكل لا ننقص»

ذلك طبعاً، لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله. وان ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً (رو ١٤ : ١٧) بل هو روحاني فيه البر والسلام والفرح كثمر للحياة مع الله. لذلك الطعام بحد ذاته لا يقدمنا إلى الله والامتناع عنه في ذاته لا يحرمنا من الله بدون أن يكون هذا الأكل أو الامتناع مقروناً بعبادة روحية ترفع من قيمة العمل الجسدي سواء كان أكلاً أم شرباً أم امتناعاً لتعطيه بعداً روحياً يتلازم معه ويكمل به جهاد الإنسان.

هذا ليس معناه أن نتحلل من الأصوام بداعي أننا ان لم نأكل لا ننقص. وان نترك لبطوننا العنان بداعي أنه ان أكلنا لا نزيد. ولكننا نؤمن ونقر أن الصوم نافع جداً كتدريب للإرادة وقمع شهوات الجسد ان أقرناه بالصلاة والعمل الروحي الذي يرتفع به من مستوى الجسد إلى مستوى الذبيحة الروحية المرفوعة لله من على مذبح القلب. كثيراً ما نسمع عن عظماء في العالم أمثال غاندي وبرذا وكونفوشيوس هؤلاء كانوا يصومون أياماً بل أسابيعاً ممتنعين عن الطعام.. صائمين ومع هذا لم نسمع أن أحداً منهم كان له الإيمان الحقيقي بالمسيح والخبرة الإيمانية الحية التي هي ثمر لعمل روح الله داخل النفوس. ذلك لأنهم انحصروا فقط في مفهوم الشكل أو الامتناع عنـــه!!

نعود الآن لبولس الرسول لنجده يخاطب الكورنثيون ويقول لهم:

[٩] «.. ولكن انظروا لئلا يكون سلطانكم هذا معثرة للضعفاء»

هذا العلم الذي لديكم.. احترزوا لئلا يكون سبب عثرة لمن هم ضميرهم ضعيف بينكم. وهذا هو أول مستوى للخطأ الحادث من شخص يجادل ويدعى أنه عنده علم. ان يكون سبب عثرة. تماماً مثلما قال بولس لأهل غلاطية..

«.. لا تصيروا الحرية فرصة للجسد» (٥ : ١٣)

أنت في المسيح حر.. تفعل ما تريد.. لا شئ محرماً.. ولكن، إياك وأن تنسى وتفعل ما لا يليق بأبناء الله بداعي أنك حر..!! فأنتم أيضاً علمكم المؤكد بعدم وجود ما يسمى بإله بين الوثنيين.. وإيمانكم بالرب يسوع والآب الواحد.. إياكم والإستهانة بأخوتكم الضعفاء حتى لا تكونوا سبب عثرة لهم. أما كيف يكون هذا.. يقول بولس الرسول:

[١٠، ١١] «.. لأنه ان رآك أحد يا من له علم متكئاً في هيكل وثن. أفلا يتقوى ضميره إذ هو ضعيف حتى يأكل ما ذبح للأوثان فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله»

إن كنت أن تجلس في هيكل الأوثان.. وتسمح لنفسك بالأكل مما ذبح لهم.. وأنت واثق بإيمانك. لا تنسى أنه ممكن لأخيك الضعيف أن يراك ويتشجع ويمد يده ويأكل ليس بإيمانك بعدم الوهية الأوثان. بل بإيمانه الضعيف غير الثابت وبالتالي يصير هذا فرصة لا لنجاسة الضمير فقط بل ربما يتطور إلى عبادة الأوثان ذاتها وتكون أنت السبب في هلاكه. بكونك سبب عثرة واثقاً في نفسك بزيادة صرت سبباً في هلاك من مات المسيح من أجله لذلك.

[١٢] **«.. هكذا إذ تخطئون إلى الاخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف تخطئون إلى المسيح»**

وهنا نتذكر قول الرب يسوع:

«.. كل ما فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم» (مت ٢٥ : ٤)

وتصير الخطية موجهة للمسيح رأساً. من منا يحتمل؟ قول المسيح في (متى ١٣ : ٤١)

«.. يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته – الأرض – **جميع المعاثر وفاعلي الإثم فيطحونهم في أتون النار»**

لاحظ قوله المعاثر قبل فاعلي الإثم.. بل ويخاطبنا أيضاً له المجد ويقول:

«.. من اعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجة البحر» (مت ١٨ : ٦)

لذلك كانت النتيجة التي أقرها بولس الرسول..

[١٣] **«.. ان كان طعام يعثر أخي فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخي»**

حتى الشئ المحلل لن أفعله إن كان في ذلك معثرة لأخي الضعيف. وهذا ما قاله أيضاً في (رو ١٤ : ٢١)

«.. حسن ان لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف»

علينا إذن الاحتراس في كلماتنا وحركاتنا وكل تصرفاتنا حتى لا نكون سبب عثرة لأحد. لأنه كما رأينا مهما كانت أعمالنا صالحة وطاهرة وعلمنا كامل فمن المحتمل أيضاً أن يعثر البعض بسببنا وقديما قال المزمور

«.. الهفوات من يشعر بها» (مز ١٩ : ١٢)

إن كان الوضع كذلك فمن منا ينجو..؟! إن كانت كل حركاتنا وأمورنا محسوبة علينا.: وكل عمل وفكر سيحضر للدينونة. كيف يمكننا هذا الحرص المتناهي ونحن بشر ضعاف لا نعرف أي شئ كما ينبغي؟ تعلمنا الكنيسة والحال هذه أن نصلي على الراقدين ولأجلهم حتى يغفر لهم الله هذه الهفوات والعثرات التي فعلوها في حياتهم دون أن يدروا. ان كانت فعلاً دون أن يقصدوا ولكن ليس معنى هذا أن أتراخى في سلوكياتي وألقي بنفسي بلا ضابط سبباً للعثرة في طريق أخوتي. لو فعلت هكذا فلن تنفعني بعد مماتي صلاة. ولن يشفع فيَّ حتى ألف قداس! طالما كانت العثرة سببها تهاوني وتكاسلي وتراخيَّ.

لذلك وجب علينا حياة التدقيق المستمر.. وفحص ذواتنا باستمرار حتى لا نقع تحت هذه الدينونة الرهيبة التي لا نحتمل مجرد ذكرها.

في الأصحاح العاشر سوف يحدثهم بولس الرسول عن بعد آخر لموضوع ما ذبح للأوثان. وهو الاشتراك في ذبيحة الشياطين. (مائدة الشياطين) إلى جوار كونهم سبب عثرة.

ذلك بسبب ميل الكورنثيون المستمر للجدال والمناقشة وهم أرباب الفسق. ارتأى الروح القدس أن يمهد لهم في هذا الموضوع فحدثهم في الأصحاح الثامن عن ما ذبح للأوثان كسبب للعثرة. ربما يستميلهم إليه بدافع المودة الأخوية والخوف على اخوتهم. وان لم يفهموا سوف يوضح لهم الخطية بأكثر ظهور حينما يعلمهم أنهم لا يقدروا أن يشتركوا في مائدة الرب ومائدة الشيطان.

﴿ الأصحاح التاسع ﴾

مقدمة : في الفصل السابق رأينا معلمنا بولس يوضح لهم سلوكهم تجاه ما ذبح للأوثان، ويبدو أن هذا جاء رداً على رسالة منهم بخصوص هذا الأمر. وفي الأصحاح التاسع نجده أيضاً يتخذ أمر رسوليته وحقه فيها موضوعاً للحديث إليهم فيه معطياً بذلك أيضاً رداً على كثير من التساؤلات حول هذا الأمر. وان لم يكن في صورة رسالة منهم بل بمجرد السماع.. أو ملاحظة تشككهم فيه.. وانقلابهم عليه. مما إضطره للكتابة إليهم موضحاً لهم كل شئ.

هذا وحقوق الإرسالية هنا لا تعني أكثر من نفقات الخدمة التي أوكلت إليه من قبل ربنا يسوع المسيح. النفقات التي استكثرها عليه كثيرون من أهل المدينة - كورنثوس - وبسبب عدم رغبتهم التكفل بها طعنوا في قانونية كونه رسولاً للمسيح.

١- حقوق الرسولية (١- ١٥)
٢- خوف الرسول على اكليله (١٦- ١٨)
٣- شركة مجد الإنجيل (١٩- ٢٣)
٤- الجهاد والسعي (٢٤- ٢٧)

أولاً : حقوق الرسولية : (١- ١٥)

يبدأ الأصحاح بلهجة استفهامية ليست بقصد البحث عن استجابة - جواب - بل فيها يتعجب بولس من ادعاءاتهم عليه وهو منها براء.

[١] **«... ألست أنا رسولاً. ألست أنا حراً. أما رأيت يسوع المسيح ربنا. ألستم أنتم عملي في الرب»** (أنظر أع ٢٢: ١٧، ١٨)

عن ارساليته، طالما تحدث في مواضع كثيرة. وعن اختياره رأساً من قبل رب المجد كثيراً ما تكلم، بل لوقا الطبيب نفسه كاتب سفر الأعمال قد أوضح قصة ظهور الرب لشاول الطرسوسي في الأصحاح التاسع بعدما تقابل مع شاول نفسه وسمع حقيقة الأمر منه ومن مرافقيه ولم ينس أيضاً سماع حنانيا تلميذ الرب. وهذا ما رواه بولس نفسه في (أع ٢٢) ، إذ يقول:

«.. إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته وتبصر البار وتسمع صوتاً من فمه لأنك ستكون شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت» (أع ٢٢: ١٢- ١٦)

وهو نفس كلام الرب يسوع لحنانيا:

«.. اذهب لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي» (أع ٩: ١٥، ١٦)

ويستمر في تعجبه منهم فيتساءل «ألست أنا حراً..» ألست مثلكم حراً في المسيح وأعطاني بركة الحرية ونعمة الحياة في العهد الجديد معكم. أو لست انسانياً حراً أستطيع أن أفعل ما أريده - مثلكم تماماً - أنتم يا من تجلسون في هياكل الأوثان وتأكلون من ضحاياه وتدعون أنكم أحراراً فيما تمارسون من عادات.. متناسين في حريتكم ضعف اخوتكم. ليّ أنا أيضاً نفس الحرية ونفس الاستطاعة. لأني على أدنى تقدير بشر مثلكم.. ولكني في المسيح. أتسعت أبعاد حريتي إلى الحد الذي لا يقيدني فيه كلامكم عن أن أخدم حتى لو ادعيتم عليّ ما قلتموه فحق المسيح فيّ (أع ١١: ١٠).

ولكي يربط بين حق ارساليته. وحريته في المسيح يستطرد مباشرة ويقول «أما رأيت يسوع المسيح ربنا». وكأنه يريد أن يقول لهم بأكثر تأكيد أن ما أفعله من مباشرة كرازتي باسم المسيح وتنقلي في حرية وترفعي عن أمور كثيرة تعين هذه الكرازة ما هو إلا ثمرة لرؤيتي للمسيح قبلاً.. حينما سلمت الرسالة بعد أن دعاني واختارني وقبلني عنده نائلاً بنعمته الخلاص (أع ٢٢: ١٢- ١٨).

وهنا تنتهي القضية تماماً ويحسمها ظهور الرب له. وهكذا كل خادم يتعب من افتراءات وأكاذيب باطلة عليه.. قبل أن يفكر في ذاته كيف يدفع عن نفسه هذا الافتراء.. عليه أن يتساءل.. هل استلم الرسالة من ربنا يسوع أم لا؟! هل أرسله أم لا؟.. فطالما كانت الاجابة نعم فلن يستطيع القائلون أن يفعلوا شيئاً - لأن حق المسيح خروجه يقيناً كالفجر كما قال الكتاب.

وحتماً ستتضح كل الأمور.. لأنه لا يمكن أن تخفى مدينة كائنة على جبل.

هنا ونأتي لتساؤل آخر: ألستم أنتم عملي في الرب؟! أنتم الذين عرفتم المسيح عن طريقي كما قلت لكم أنني وأبلوس عاملان مع الله!! ولكن، «.. أنا غرست وأبلوس سقى»، أين إذاً غيابي عن ميدان الشهادة لديكم عن المسيح؟ أين ما تقولونه عني حتى أعطيتم الفرصة لعدو الخير أن يسبى ذهنكم عن أمر خلاصكم منشغلين بأمور لا تتعدى دراهم قليلة؟!

[٣، ٤] «.. إن كنت رسولاً لآخرين. فإنما أنا اليكم رسول لأنكم أنتم ختم رسالتي في الرب. هذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني»

بمرافعتي لديكم قد رأيتم أنني رسول.. فإن كنتم تقولون أنك أرسلت لغيرنا.. كونكم مسيحيين الآن.. في ذاته أصدق دليل على أني مرسلٌ إليكم. ووجود كنيسة في كورنثوس يعتبر عندي شهادة دامغة لكل من يفترى ويتقول عليّ.. تماماً مثل الختم الذي بدونه لا يصلح مستندٌ أو شهادة ما. وهذا هو ما أشهره في وجه من يريد.

بعد ذلك يوضح لهم الرسول بولس ما معنى حقوق الإرسالية.. ومطالب الإعاشة التي لما سيكتشفوها.. سيخجلوا من أنفسهم عندما يرونها بسيطة!

[٤- ٦] «.. العلنا ليس لنا سلطان أن نأكل ونشرب. العلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل وأخوة الرب وصفا. أم أنا وبرنابا وحدنا ليس لنا سلطان أن لا نشتغل؟»

وهو هنا يقسم احتجاجه ثلاثة أقسام:

الأول: هل نحن كخدام لله.. مرسلين بواسطته للكرازة من أجل اسمه.. هل ليس لنا حق في مأكل أو مشرب.. وكأننا لسنا بشراً.. نحتاج للجسديات.. التي تمتنعوا أنتم عن توفيرها لنا؟ وطالما كانت الاجابة بنعم.. فلماذا تبخلون علينا بها؟

الثاني: لقد كان ممكنا لنا - أيضاً كخدام المسيح - أن نتزوج مثل من تزوج من باقي الرسل.. وبطرس.. وكان ممكنا أن نجول بهذه الزوجة لتقوم بسد تلك الاحتياجات من جهة المأكل والملبس وأمور الزوج. ولكننا فضلنا حياة البتولية حتى نتفرغ بالأكثر لخدمتكم ونكون رهن اشارتكم دوماً. وقد قال هذا مشيراً إلى بطرس الرسول الذي كان يفعل ذلك فعلاً.

الثالث: إذا كنا بشراً نحتاج لهذه الأمور الجسدية. ولنا الحق في اتخاذ زوجة مسيحية ترافقنا في تنقلاتنا.. ولم نستعمل هذا الحق.. هل حق علينا فقط أنا وبرنابا أن نعمل بأيدينا ونعيش من تعب أنفسنا؟ حتى لو كان الأمر كذلك ليكن..

www.difaat.com

«.. ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد بل كنا نشتغل بتعب كد ليلاً ونهاراً لكي لا نثقل على أحد منكم ليس أن لا سلطان - حق - لنا بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا» (٢تس ٣ : ٨، ٩)

ولكن والحال هذه هلموا نتحاجج:

[٧] **«.. من تجند قط بنفقة نفسه..**

من يغرس كرماً ومن ثمره لا يأكل

أو من يرعى رعية ومن لبن الرعية لا يأكل»

من يذهب للحرب دفاعاً عن بلده أو أهله.. هل تكلفه البلد بشراء ما يلزمه من معدات أو حتى مأكله ومشربه خلال تجنده..؟ من أين يأتي بكل هذا..؟ فأنا مرسل للجهاد.. لهدم معاقل الشر والرذيلة فيكم بكرازتي باسم المسيح. هل تطالبوني بنفقة هذه الخدمة.. والله الذي أرسلنا قال لنا « لا تحملوا كيساً ولا مزوداً ولا أحذية » (لو ١٠ : ٤).

من يغرس كرماً - حتى لو كان أجيراً - ولا يتذوق ثمرته. أو من يرعى قطيعاً.. ومن لبنه لا يأخذ.. أمور غير منطقية تطالبوننا بها. لا تظنوا أنني أتكلم من نفسي أو بثقافتي.. بل هذا أمر الرب.. فلماذا نذهب بعيداً:

[٨ ١٠] **«.. العلي أتكلم بهذا كإنسان. أم ليس الناموس أيضاً يقول هذا. فإنه مكتوب في ناموس موسى. لا تكمّ ثوراً دارساً. ألعل الله تهمه الثيران. أم يقول مطلقاً من أجلنا. أنه من أجلنا مكتوب. لأنه ينبغي للحراث أن يحرث على رجاء. وللدارس على الرجاء أن يكون شريكاً في رجائه»** (أيضاً تث ٢٥ : ٤)

في العهد القديم، من شفقة الرب على الثيران.. أوصى الشعب أنه لا تكمّ ثوراً دارساً يعني لا تغطي فمه بكمامة. ودعه يلتقط طعامه أثناء دراسة الحنطة..

«.. لا تكمّ الثور في دراسه » (تث٢٥ : ٤) أي أثناء العمل..

بولس هنا يستشهد بهذا الأمر.. ليوضح لهم ما يريده.. فهو العامل في كرم الرب.. في دراسة حنطته.. مثل ثور في دراسة.. له احتياج للمأكل .. مما يدرسه. وفي الحقيقة، الله تهمه الثيران جداً لأنها خليقته أيضاً.. وهنا نفهم كلام الرسول حينما قال «.. ألعل الله تهمه الثيران». ليس المقصود بها أن الله لا تهمه الثيران.. بل يريد القول أن هناك غرضاً آخر لأمر الرب هذا.. فهو مكتوب لأجلنا يريد أن يعلمنا أنه إذا كان الثور يشترك في أعمال الحقل من حراثة ودراسة طامعاً في أن

يكون شريكاً فيما يفعله.. وهذا كل رجائه – فنحن كخدام الله لسنا هكذا بالضبط. نتعب معكم لأجل المسيح واثقين أن كل ما تعطوه لنا ليس بأجر.. ولا برجاء لأنها جسديات. لأن رجاءنا هو في المسيح ومكافأتنا هى من عنده. ولكن كل ما نريد أيضاحه بأكثر تركيز الآن هو:

[١١] «.. ان كنا نحن قد زرعنا لكم الروحيات. أفعظيم إن حصدنا منكم الجسديات»

هل يمكن أن تقارن الروحيات بالجسديات.. (الباقيات) بالفانيات .. الأبديات بالزمنيات .. قطعاً لا.. وان سألتم حتى الوثنيين سيكون الرد لا.. فلماذا اذن تستعظمون علينا نوال تلك الأمور الجسدية كفاف خدمتنا..!! لسنا نطلب أكثر من مأكل ومشرب.. وملبس – ثوباً واحداً يكفينا – حذاء في أرجلنا – آه لو علمتم ما حدث مع مرقس رفيقنا في مصر.. لقد تهرأ حذاؤه الوحيد..!! لا نطلب أكثر من هذا.. كتكلفة انتقال وسفر.. لأجل صالح الخدمة.

والآن بعد أن ساق إليهم كل هذه الحجج. يسوق إليهم حجة أخيرة بعدها سوف يُعَلِّمهم كيف أن المسيح له المجد وهو صاحب انجيل الملكوت سوف يكفل لهم حق الحياة بواسطة الانجيل نفسه سواء عن طريقهم أم عن طريق غيرهم..

[١٢] «.. ان كان آخرون شركاء في السلطان عليكم. أفلسنا نحن بالأولى لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمل كل شئ لئلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح»

نعم.. فالولاة وجباة الضرائب.. هؤلاء لهم الحق عليكم وتدفعوا لهم صاغرين دون نقاش. وعندما نطلب نحن تتذمرون.. كأننا نسرقكم. ها نحن نطمئنكم. رغم أحقيتنا فيما نطالب به.. فنحن لم نستعمل هذا الحق.. بل تحملنا كل شئ.. كل المصروفات حتى لا يتعطل فرحنا وفخرنا بكم عندما تقبلون كلمة كرازتنا بالانجيل.

وهنا يحسن لنا أن نتأمل ما قاله لهم في الرسالة الثانية.. لنر ماذا فعل حتى لا يتعطل لديهم وفيهم ثمر الإنجيل.. يقول لهم:

«.. ام أخطأت خطية إذ أذللت نفسي كي ترتفعوا أنتم لأني بشرتكم مجاناً بإنجيل الله. سلبت كنائس أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم. وإذ كنت حاضراً عندكم واحتجت لم أثقل على أحد. لأن احتياجي سده الإخوة الذين أتوا من مكدونية. وفي كل شئ حفظت نفسي غير ثقيل عليكم وسأحفظها. حق المسيح فيَّ. ان هذا الافتخار لا يُسد عني في أقاليم آخائية – كورنثوس احدى مقاطعاتها – **لماذا؟ لأني لا أحبكم؟. الله يعلم. لكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضاً فيما يفتخرون به» (٢كو١١: ٧-١٢)**

يصارحهم هنا بولس الرسول بأن ما فعلوه معه.. ما هو إلا حرب من أعوان الشر حتى يعطلوا عمل الله فيهم. ولكنه بحكمة الله. ونعمة الروح القدس قد فوت عليهم هذه الفرصة!!

بعد ذلك يورد الرسول بولس كلام السيد المسيح لفعلة كرمه. ماذا يفعلون وكيف يتعاملون متى خرجوا للكرازة. ولكنه لا ينس أبداً الربط بين ثقافته ومعرفته بالناموس، وبين ما سمعه من رسل ربنا يسوع عن الكرازة بل ومن الرب يسوع نفسه:

[١٣، ١٤] «.. ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون»

هنا يقصد بولس بالذين يلازمون المذبح طبقة اللاويين الذين كان منوط بهم حراسة الخيمة بكل متعلقاتها وخدمتها وتنقلاتها.. فهم يشاركون المذبح أي أنهم كل معيشتهم كانت من المذبح طالما اختارهم الله ليكون هو نصيبهم.

«.. كل رفيعة – تعويض عن سرقة أو قتل لا يوجد له من يستلم من المذنب – **مع كل أقداس بني إسرائيل التي يقدمونها للكاهن تكون له»** (عدد ٥ : ٩)

[أنظر أيضاً لا ٦ : ١٦، ١٧؛ لا ٧ : ٦، تث ١٠ : ٩؛ تث ١٨ : ١]

والعجيب هنا أن بولس يقرر معرفته السابقة بما أمر به الرب بخصوص هذه الخدمة في وضوح من سمع من الرب مباشرة. وهذا في حد ذاته شهادة حية عن إرساليته.. وأحقيته في الخدمة فمن أين له سماع هذا الأمر.. ما لم يكن قد أعلمه به الرب يسوع في ظهوره له. أو عن طريق آبائنا التلاميذ والرسل. ولا نقول من الانجيل المكتوب لأن الأناجيل الأربعة كتبت بعد سنة ٦٥ م. أي بعد كتابة الرسالة في سنة ٥٧م.

«.. أقيموا في ذلك البيت آكلين وشاربين مما عندهم لأن الفاعل مستحق أجرته.. أية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم» (لو ١٠ : ٧، ٨)

الأمر هنا بسيط جداً وواضح جداً. طالما أرسلتكم أنا بلا كيس ولا مزود للطريق فعليكم الأكل مما يقدم لكم. لأن هذا طبيعي وأصلح للخدمة حتى لا ترتبكوا في تدبير هذا الموضوع الجسدي الذي فعل منه أهل كورنثوس مشكلة عويصة الحل. ولكن بولس الرسول البنّاء الحكيم بنعمة الله يخاطبهم قائلاً رغم أحقيتي فيما أطلبه منكم إلا أني طواعية تنازلت عن هذا الحق لأجل مجد الرب والخدمة التي كلفني بها:

[١٥] «.. أما أنا فلم استعمل شيئاً من هذا. ولا كتبت هذا ليصير فيَّ هكذا لأنه خير لي أن أموت من أن يعطل أحدٌ فخري»

أنا لم أقصد أبداً بذلك أن أطالبكم بما لستم تريدون فعله عن طيب خاطر.. لأنه ان فعلتم هكذا وأنتم متضررون أكون أنا قد فشلت في توصيل المسيح إليكم، المسيح الذي علمنا المحبة التي تحتمل وتصبر وتتأنى وترفق.. لم أقصد هذا لأني أريد أن أفتخر بكم أمام الرب وأقول:

«.. هأنذا والأولاد الذي أعطانيهم الرب» (اش ٨ : ١٨)

فإن أعثرتم فيَّ. كيف يتسنى لي أن أقف وأنا حاملكم في قلبي مفتخراً بكم أمام الله. خير لي الموت من أن يتعطل هذا الفخر أمام الله.. خير لي أن أموت جوعاً أو عطشاً أو احتياجاً وأنتم تربحون المسيح من أن أملأ بطني وأستريح وأنتم معثرون وبسببي تهلكون.. حتى لو كان الأكل والشرب وسد الاحتياج حق من حقوقي.. فقد سبق، وقلت أنه:

«.. ان كان أكل طعام يعثر أخي فلن آكل لحماً» (١كو ٨ : ١٣)

أنا لم أثقل عليكم بل عملت وأكلت بتعب يديَّ ورغم ذلك لم تتعطل الخدمة. وأنتم أنفسكم رأيتموني بينكم أعمل خيامياً في بيت اكيلا وبريسكلا..

«.. ولكونه من صناعتهما أقام عندهما وكان يعمل لأنهما كانا في صناعتهما خياميين» (أع ١٨ : ٣)

«.. حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتهما هاتان اليدان» (أع ٢٠ : ٣٤)

[أنظر أيضاً: ١تس ٢ : ٩، ٢تس ٣ : ٨]

لماذا اذن تفترون عليَّ وكأني سلبتكم ما تملكون.. انها حرب من عدو كل صلاح يريد بها أن يعطل فخر الرسول المبارك الذي قال لأهل أفسس في خطابه الوداعي:

«.. لكنني لست أحتسب لشئ ولا نفس ثمينة عندي حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله» (أع ٢٠ : ٢٤)

ومن أجمل ما قاله نقلاً عن المسيح رأساً ..

«.. انه مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠ : ٣٥)

ثانياً : خوف الرسول على أكليلـــه : (١٦- ١٨)

[١٦] «... لأني ان كنت أبشر فليس لي فخر إذ الضرورة موضوعة عليَّ فويل لي إن كنت لا أبشر»

في الحقيقة أنا مديون للمسيح ولكم وواجب عليَّ أن أبشر.. وأكرز بالمسيح الذي رحمني واختارني ليظهر لطفه وأناته فيَّ حتى أكون مثالاً لكم تعرفون المسيح عن طريقي..

«.. أنا مديون لليونانيين والبرابرة. للحكماء والجهلاء» (رو ١ : ١٤)

لذلك واجب عليَّ أن أبشركم وأوصل إليكم المسيح المخلص دون أن أتعلق بشئ مما في العالم يعطل سعيي ويبدد افتخاري في المسيح. ويل لي ان سكت.. لأن الكرازة موضوعة ثقلاً لذيذاً على كتفي.. استلمته وحملني إياه ربي الحبيب يسوع بنفسه إذ قال لحنانيا عني:

«.. اذهب لأن هذا لي اناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي» (أع ٩: ٢٥، ١٦).

وكأني بالرسول العظيم يقول للكورنثيين: أنا لا أحتسب أبداً لالم الجوع والعطش والعري والبرد.. بل كل هذه أمور هينة عليَّ لأني منتظر آلام كثيرة وعدني بها الرب.. جعلتني أتوقع بإستمرار وثقاً وشدائد تنتظرني في كل مكان حللت فيه.. وهذه هى لذتي.. أن أتألم.. وإن كنت تألمت بينكم بسبب كلامكم فلم يكن ألمي أبداً بسبب حرماني من معونتكم. بل كان جل تألمي خوفاً عليكم من أن تعثروا بسببي وتفقدوا خلاصكم.

ويل لي أن لم أبشر.. لا لأن المسيح واقف أمامي بعصا من حديد يتوعدني بالويلات ان أهملت الكرازة.. بل لأني أخشى أن أفقد الأبدية التي نسعى إليها جميعاً. وصعب على قلبي جداً أن أرى نفسي أخون من أحبني ولا أتمم الخدمة التي كلفني بها.. أنا لست خائف ومرتعد منه لأني أحبه بسبب رحمته الكثيرة عليَّ. بل أنا خائف ومرتعد من أن تتعطل خدمتي وخلاصكم وأكون أنا السبب.

[١٧، ١٨] «.. فإنه ان كنت أفعل هذا طوعاً فلي أجر.. ولكن ان كان كرهاً فقد استؤمنت على وكالة. فما هو أجري؟ إذ وأنا أبشر اجعل انجيل المسيح بلا نفقة حتى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل»

أنا لا أنتظر عائداً أو أجراً من أحد منكم.. ان كنت أفعل هذا بحريتي واختياري لتوقعت أجراً بكوني قد اخترت لنفسي هذا المضمار.. ولكن واضح لكم أن المسيح قد استأمنني على رسالة

ومسئولية الكرازة لكم لذلك أنا أفعل ذلك مرغماً ولكني سعيد بذلك أنني أعمل معه ولأجل مجده وملكوته.

وربما تتعجبون.. وما هو أجرك؟.. وما الذي يعود عليك من ذلك التعب؟!

أجري ومكافأتي هو رحمة الله لي إذ دعاني لذلك العمل وحسبني أميناً عليه رغم عدم أمانتي واضطهادي لكنيسته قديماً. أجري ومكافأتي هو تنازلي عن حقوقي في الأكل من الكرازة والمعيشة منها ورغم ذلك نجحت كرازتي أمام الله وأكملت سعيي.. وتشهد بذلك الكنائس المختلفة التي عرفت المسيح بتعبي وتبشيري.. هذا هو أجري.. مدح الله لي. على عدم تعلقي بعائد مادي للخدمة. وتنازلي عن ما هو حق لي. والكرازة والتبشير في كل الظروف الصعبة عاملاً بيدي ناظراً فقط لتكميلي مسرة الله تجاه الخطاة.. التي هى عودتهم وتوبتهم.. وخلاصهم.

ثالثاً : شركة مجد الإنجيـل : (١٩- ٢٣)

[١٩- ٢٢] «... فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين فصرت لليهودي كيهودي لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شئ لأخلص على كل حال قوماً»

بولس الحكيم هنا يوضح لنا لماذا ارتأى أنه من الأفضل أن يتنازل عن حقه واستعماله بخصوص الكرازة. حتى يتحرر من الجميع ويصير كل ما يفعله يفعله بحريته الشخصية ولا يوجد أحد يقدر أن يعطل سعيه لأجل الكرازة طالما هو حر من كلام الجميع وافتراءاتهم عليه. ولكنه يعود ويقرر مرة أخرى أنه وان كان قد تحرر من الجميع فقد استعبد نفسه أيضاً للجميع بغية خلاصهم وربحهم لسيده يسوع المسيح وملكوته. وكأنه هنا يعطينا درساً في كيفية السيطرة على نفوسنا وما يعتمل فيها من مشاعر غضبية إذا ما حرمنا بعض حقوقنا أو قال الناس فينا كلاماً يتعبنا.. حقاً مالك روحه خير ممن يملك مدينة.

وحينما يعطي الإنسان بحرية سيكون عطاؤه حتماً من القلب لأنه لا يوجد من اضطره اضطراراً لذلك. بل هو طواعية اختار ذلك الطريق عالماً أنه مغبوط هو العطاء والبذل أكثر من الأخذ براحة من الآخرين حتى لو كان بحق.

ولكنه وان كان قد رفض عبودية من نوع ما.. فقد استعبد نفسه أيضاً بطريقة أخرى يضمن بها - بنعمة وحكمة الله - نجاح كرازته. فصار لليهودي كيهودي مطيعاً عوائد اليهود حتى يستميلهم إليه ومن ثم يستطيع وعظهم وجذبهم للمسيح. وكونه صار كيهودي لا يعني اتمامه كل فرائض اليهود التي بطلت في العهد الجديد بل مقصود به احترامه لما يدينون به ويعتبرونه شيئاً مقدساً. وكلنا نذكر كيف أن بولس حلق رأسه مرة لأنه كان عليه نذر قبل أن يصعد إلى مجمع اليهود في أفسس (أع ١٨ : ١٨) وكيف أيضاً أخذ تيموثاوس وختنه لأجل اليهود (أع ١٦ : ٣) وكأنه يؤمن بأهمية الختان في موضوع التبرير، وللذين هم بلا ناموس صار وكأنه بلا ناموس مع أنه تحت ناموس المسيح. ناموس روح الحياة ربما يذكرنا هذا بما فعله في اثينا عندما دخل واحتدت روحه فيه إذ رأى المدينة مملؤة أصناماً.. وظل يمشي حتى وصل إلى معبد مكتوب عليه «لإله مجهول». وهنا تقدم واعتبر الناس متدينون!!! وعرفهم بالإله الحقيقي الذي يجهلونه!!

«.. أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً... فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به. الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيدي» (أع ١٧ : ٢٢- ٣١)

وهنا نرى حكمته كيما يربحهم، وكأنه يوضح فلسفة استخدامه لذكائه في أثينا.

وقد كانت رغبته وشهوة قلبه أن يخلص على كل حال قوماً.. وكأني به يقول مع داود النبي:

«.. إني لا أدخل إلى مسكن بيتي. ولا أصعد على سرير فراشي ولا أعطي نوماً لعيني ولا نعاساً لأجفاني. ولا راحة لصدغي. إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب»
(مز ١٣٢ : ٣- ٥)

هذه هى مهمة الخادم الذي يحب الرب من كل قلبه ويرغب في توصيله للآخرين مهما كلَفه الأمر من مشقة وتعب وحرمان من النوم والراحة. المهم أن يجد الرب له موضعاً في قلوب الناس ومسكناً له وسطهم.

[٢٣] **«.. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه»**

في ماذا تطمع يا رسولنا المبارك وأنت قد تنازلت طواعية عن سلطانك وحقك في الحياة من الإنجيل؟

أليس بإرادتك واختيارك استعبدت نفسك هكذا للجميع كيما تربحهم؟

نعماً.. هذا كله حق. تركت الكل وتنازلت عن كل حقوقي لأكون شريكاً للإنجيل في

مجده وفي بركته.. أنتم لستم تعلمون ما أقصده.. أنا بالحقيقة أحيا لا من الإنجيل بل بالإنجيل لأن الكرازة والخدمة هما بالحقيقة زاد طريقي.. وضمان حياتي الأبدية وليست الحياة الأرضية التي تكفي لقضائها كسرة من الخبز.. وسترة من الحر والبرد.. وفراش متواضع لراحة جسدي كلما تعب!

فأنا لا أطمع في أن أكون شريكاً للإنجيل في شئ مادي هنا.. لأني أعرف من قال لي مجاناً أخذت مجاناً أعط. وها أنا أعطي مجاناً متغاضياً عن تكلفة هذا العطاء المادية الضرورية عاملاً بيدي منتظراً من إلهي الذي أخدمه وأكرز به نوال غاية إيماني خلاص نفسي ونفوسكم. وهكذا أكون بالحقيقة شريكاً في الإنجيل شريكاً في مجده.. في وعوده بالراحة الأبدية.. شريكاً في ملكوت السماوات..

رابعاً : الجهـــاد والسعـــي : (٢٤- ٢٧)

ولكن هناك معنى آخر لشركتي في الإنجيل أريدكم أن تعرفوه .. أنا أيضاً شريك في الإنجيل.. بكوني أسعى مجاهداً لأجل الإنجيل.. لأجل خلاصي وفي هذا أتساوى معكم.. أركض معكم في الميدان غير شاعر بأني مميز عنكم بل أقل منكم حتى استحق أكليل المجد والفخار الذي يهبه لي الرب يسوع الذي أعبده وأحبه وأشهد له. طائعاً لوصايا انجيله- وصاياه المحيية التي تقودنا جميعاً للحياة الأبدية – الذي أنادي به مراراً لكم.

[٢٤] «.. ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن واحداً يأخذ الجعالة هكذا أركضوا لكي تنالوا»

ما أعجب الحكمة التي يرشد بها الروح القدس رسولنا العظيم بولس. منذ قليل كان يحدثهم ويعاتبهم عن بخلهم الشديد وإمتناعهم عن الصرف على الكرازة وها هو يسحبهم الآن لما يبني نفوسهم. أعني الجهاد الروحي.. عجيب أنت يارب.. مسرة قلبك وارادتك خلاص نفوسنا واقبالنا إلى معرفة الحق. وها هو بولس الطوباوي فيلسوف المسيحية.. أتخيله يجري مع المتسابقين في حلبة السباق واحداً منهم يخاف أن يختطف منه اكليله.. وهو من اعتبرته أنت يا سيدي إناءاً مختاراً لك! حتى يعطينا درساً في أننا جميعاً علينا أن نجاهد.. ونثابر حتى النهاية بلا كلل. أنه يفعل كما يفعل قواد المعركة.. إذ تراهم يتقدمون الصفوف.. نازعين عنهم كل ما يميزهم عن باقي الجنود من رتب ونياشين حتى يتشجع الكل ويسعون حسناً لأجل المكافأة.

وهنا لنا تعليق على أن واحداً يأخذ الجعالة..

في العالم من يتسابقون واحدٌ منهم فقط يأخذ الجعالة.. وحاشا لله أن يحدث هذا في سعينا تجاه مكافأة الأبدية لأن الله أمين وعادل وقد وعد كل من يجاهد أن ينال المجازاة الحسنة حتى لو نجح كل البشر فسيعطيهم لأن هذه هى إرادته ومسرته.

إنما المقصود بأن واحداً يأخذ الجعالة في هذا التشبيه هو أننا كل من يجاهد ويغلب أعداء الطريق سينال المكافأة ويشعر بعطية خاصة به.. سيشعر بأن الله ترك الكون وتفرغ لعلاقة الحب معه كما قال له أغسطينوس:

أنت تسهر عليّ وكان ليس في الخليقة أحد سواي. تهبني عطاياك وكأني وحدك موضوع محبتك.

وهذا الأمر من حنان الله ومحبته.. أن يعطي الكل ويشعر كل منا بشبع بهجة السماء دون أن ينقص منا أحد عن الآخر.. فقط نشعر جميعاً بالامتلاء إذ نكون كلنا منتصرين. والله الواهب ذاته لنا بلا حدود يقدر أن يشعرنا في كل وقت أنه ملك لكل واحد فينا. وهذا يوضحه تعبير بولس الرسول عن نفسه لتلميذه تيموثاوس:

«.. جاهدت الجهاد الحسن. أكملت السعي. حفظت الإيمان وأخيراً وضع لي أكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الله الديان العادل. وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢تى ٤: ٧، ٨)

هذه هى الجعالة.. أكليل البر المعطى لمن يحب ظهور الله في حياته. لمن يجاهد جهاد الأمانة الحسنة. ويحفظ الإيمان مكملاً سعيه في مخافة الله.

بعد أن أوصاهم بالجهاد والركض في الميدان حتى ينالوا.. يوضح لهم الآن ميادين هذا الجهاد الذي خاضه هو بنفسه حتى ينال الأكليل فيقول لهم:

[٢٥] «.. كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شئ. أما أولئك فلكي يأخذوا اكليلاً يفنى واما نحن فأكليل لا يفنى»

كل من يجاهد.. يضبط نفسه في كل شئ. جملة لا تحتاج إلى تفسير. كل منا يعلم ما في داخله يحتاج إلى ضبط وتقويم واصلاح. فيجب عليه اليقظة الدائمة ومراقبة حواس الجسد كلها حتى لا يتسرب خلالها للقلب أي فكر شرير أو تمتلكه أية عادة رديئة. ومعلمنا بولس الرسول يوضح هنا مجال الضبط وهو ما يختص بالعمل الإيجابي في الحياة الروحية.. وهو منع الحواس عن الطياشة في الخطية وغصب الإرادة على السير في الطريق الروحي. ويوضح أيضاً مجال الجهاد قبل

الضبط موضحاً لنا أنه قبل العمل الإيجابي في ترك الخطية يكون الإنسان قد جاز في فكره وذهنه جهاداً شديداً حتى يستميل الإرادة في جانب الروح.

لاحظ كون الرسول يقول أما نحن .. حاسباً نفسه مجاهداً معهم مشاركاً لهم سعيهم كما قلنا.

ومكافأة للإنسان على جهاده سينال إكليلاً لا يفنى. تمييزاً عن الذين يجاهدون ويركضون في الميدان الجسدي العالمي بغية الحصول على اكليل يفنى. هذا ووصايا الجهاد الروحي كثيرة تذخر بها معظم رسائل الطوباوي بولس نذكر منها:

«.. ليس اني قد نلت أو صرت كاملاً ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجلى أدركني أيضاً المسيح يسوع» (في ٣ : ١٢) أي يدرك الخلاص!!

«.. لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢ : ٤)

«.. لو كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً» (٢تى ٢ : ٥)

[٢٦، ٢٧] **«.. إذاً أنا أركض هكذا كان ليس عن غير يقين. هكذا أضارب كأني لا أضرب الهواء. بل أقمع جسدي وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أكون نفسي مرفوضاً»**

أنا أيضاً أفعل هكذا.. لا أسعى وأجري وأجاهد بلا هدف. أو آلاكم ضارباً الهواء. بل لعلمي أنه يوجد لي أعداء كثيرون يتربصون بي مريدين هلاكي. أصبح جهادي موجهاً لصد هجمات هؤلاء الأعداء. وهم أعداء حقيقيون لا يصح معهم الهدنة أو الصلح ما دمت في الجسد.

«.. البسوا سلاح الله الكامل الذي به تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد ابليس. فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماوات» (أف ٦ : ١١، ١٢).

هذا هو عدونا.. وهذه هى طبيعة الحرب. ولأجل شدة الجهاد استخدم الرسول تعبير مصارعتنا.. والاكم.. وأضارب.. حتى يوضح لنا أنه لا هوادة في حياتنا بالجسد على الأرض بل علينا في كل حين بالسهر والجهاد مستخدمين أسلحة الحرب الروحية التي شرحها بولس الرسول في أفسس (٦).

- **من لا يقاتل عدوه فقد صار له صديقاً.**
- **من لم يجرحه مقاوموه فمن البين أنه لن يكلل.**

القديس يوحنا الدرجي

هكذا رأينا أننا نسعى ونجاهد بهدف. ونحارب في جهادنا أعداء كثيرين حقيقيين يتربصون بنا ويتصيدون تهاوننا وتكاسلنا.. إذن فلنسهر كما قال بطرس الرسول:

«.. اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان» (٢بط ٥: ٨، ٩)

في هذه الآيات التي ذكرناها نستطيع أن نحدد ثلاث أعداء رئيسيين لنا.. أولهما الشيطان .. ثانيهما العالم.. ثالثهما الجسد.،. وكلنا يعلم ما يحاربه به كل من الأعداء الثلاثة..

ولكن بولس الرسول يركز جداً في جهاده على قمع الجسد بصفته مجال الهرب التي يتفاعل فيها كل من الشيطان والعالم مع ارادة الإنسان. أو قل ميدان القتال الدائر بين الإنسان وقوات الشر. التي ترغب غزو الحواس وسبي إرادة الإنسان حتى يميل إليها بجسده وغرائزه وعندئذ يضعف الإنسان. لذلك يركز بولس الرسول على قمع الجسد واستعباده في كثير من رسائله:

«.. أميتوا أعضاءكم التي على الأرض. الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديئة الطمع الذي هو عبادة الأوثان» (١كو ٣: ٥)

وضراوة الحرب وشدة الجهاد توضحها لنا لفظة اقمع. وكان الجسد قد صار مدينة عاصية تمرد فيها بعض الناس وعلى القائد قمع هذه الثورة واخمادها. هكذا طبيعة جهادنا! قمع للجسد وضبط لحواسه وبعد ذلك سبيها كلها واستبعادها كلها وحصرها وأسرها لطاعة المسيح.

«.. وإذ اعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر. أتكلم انسانياً من أجل ضعف جسدكم. لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة» (رو ٦: ١٨، ١٩)

والأمر العجيب في هذا الكلام هو أن بولس الرسول العظيم يخشى جداً على نفسه من أن يصير مرفوضاً إذا ما هو تكاسل وتهاون في جهاده وقمع جسده واستعباده.. وكأنه يريد مصارحتنا القول أنه ليس أحد فوق الضعف وفوق السقوط مهما كانت رتبته ومكانته. فكلنا ضعاف مادمنا في الجسد وعرضة للسقوط مادمنا نحيا في العالم لذلك علينا بالجهاد. يعوزنا الوقت للحديث عن

بطرس التلميذ الذي أنكر سيده بعد أن نطق بإيمانه بالسيد المسيح من دون التلاميذ. أو عن يهوذا المقرب لسيده المعتبر أميناً لديه وقد باعه وسلمه مقابل ثمن بخس بل وتاريخ الكنيسة نفسه يشهد بسقوط كثيرين ممن تهاونوا مع أنفسهم غير مبالين بالعدو القائم الذي يتربص بهم في كل حين في كل مكان. لذلك قال الرسول أيضاً:

«.. من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو ١٠ : ١٢)

وهذا هو موضوع الأصحاح العاشر بنعمة الله.

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح العاشر ﴾

مقدمة : اختتم معلمنا بولس الرسول الأصحاح التاسع بالدعوة الصريحة الواضحة للكل أن يجتهدوا كي لا يفقدوا أكليل الغلبة والانتصار الذي وعد به الرب من يسعون حسناً موضحاً من ذاته مثلاً حياً لنا في الجهاد، حتى لا يستكثر أحد منا وصايا هذا الجهاد، ويشعر أن هذه الوصايا لغيره من الناس أما هو ففوق الضعف والسقوط.

والآن في الأصحاح العاشر يعود الروح القدس بنا للتاريخ القديم، ويسرد لنا بطريقة مؤثرة جداً مأساة شعب بأسره لم يجاهد.. ولم يسع.. ولم يحب الله.. لذلك استحق عقاباً شديداً وصار مضرباً للأمثال في خطورة التراخي. ومحبة الخطية والبعد عن الجهاد. ذلك الدرس هو من إسرائيل.

ولعل سائل يقول لماذا يصر الروح أن يحدث شعباً متغرباً عن إسرائيل مثل أهل كورنثوس عن معاملة الله مع شعب اليهود؟! والاجابة التي يلهمنا إياها الروح القدس أيضاً، هى أن كل ما سبق وحدث وكتب فقد كتب لأجل انذارنا وتحذيرنا من الإهمال والتواني بعدما أخذنا معرفة الحق. وكأن الروح يريد أن يقول لنا. تأملوا إسرائيل.. الإبن المدلل.. الذي لم يحظ غيره من الشعوب بما ميزه الله به ورغم ذلك لم يشفق الله عليهم بل لما أخطأوا وتمردوا عليه لم يتأخر الله في معاقبتهم حتى ترتدع بقية الشعوب وتتعظ باقي الأمم.

١- درس تحذيري من إسرائيل (١- ١٣)
٢- أعياد الأوثان وعشاء الرب (١٤- ٢٢)
٣- حرية أبناء الله (١٠: ٢٣- ١١: ١)

أولاً : درس تحذيري من إسرائيل : (١- ١٣)

في البداية يوضح الرسول بولس معاملة الله معهم التي جسمت محبته المتناهية وهذا أيضاً بقصد. حتى لا يظن أحد أن الله ظالم. فيقول:

[١- ٤] «... فإنما لست أريد أن تجهلوا أيها الأخوة أن آباءنا جميعاً كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر. وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً. وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم. والصخرة كانت المسيح»

في هذا الجزء المركز.. يلخص الرسول كل ما صنعه الله معه. من عنايته بهم في السحابة إلى شق البحر الأحمر.. إلى إعالتهم بالمن السماوي.. والماء المتفجر من الصخرة في البرية ولاحظ أن بولس يكرر عبارة جميعاً أو جميعهم حتى يرينا أن هبات الله كانت للكل ولم يحرم أحد منها أي شئ.. حتى لا يكون لأحد عذر إذا ما حاكمه الرب!

في سفر اشعياء النبي نلمح اشارة قوية لموضوع عبور البحر الأحمر ..والمعمودية إذ يقول:

«.. استيقضي. استيقظي. البسي قوة يا ذراع الرب.. ألست أنت المنشفة البحر مياه الغمر العظيم. الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين» (اش ٥١ : ٩- ١٢)

وقد كان يحلو جداً لشعب اسرائيل تذكر عمل الله معهم.. فكانوا دائماً يرددون هذه الأفعال المحبَبة.. لم يكن إسرائيلي ينسى أبداً أن ذراع الرب - تعني قوته - قد نشفت مياه البحر الأحمر.. لتصنع من قاعه طريقاً لعبور من فداهم الرب بخروف الفصح ليلة خروجهم من مصر (راجع خر ١٢). لم يكن إسرائيلي ينسى أبداً كيف أعالهم الرب أربعين سنة في البرية والأحذية في أرجلهم لم تتهرأ.. وثيابهم التي خرجوا بها لم تبل(تث ٨ : ٤). بل لم يكن لأحد أن ينسى المن السماوي والماء الفائض من الصخرة (خر ١٧) وان سولت لأحد نفسه أن ينسى ليتذكر قسط المن المحفوظ داخل تابوت العهد في خيمة الشهادة حتى يعود ويذكر مراحم الرب.

وحتى يوضح لهم أن الله كان هو القائد في رحلة البرية هذه يقول عن الصخرة التي روتهم أنها تابعتهم.. أي لاحظتهم ولم تتركهم ذلك لأنها لم تكن مجرد صخرة صماء بل كانت المسيح نفسه (Christ himself) T.E.V.

«.. سألوا فأتاهم بالسلوى وخبز السماء أشبعهم. شق الصخرة فانفجرت المياه. جرت في اليابسة نهراً» (مز ١٠٥ : ٤٠، ٤١)

ولكن رغم معاملات الله العجيبة معهم. لم يستطعوا أن يفهموه ويعبدوه كإله محب لهم أخرجهم بقوة من بيت العبودية لينعموا بحرية نسبهم إليه في أرض كنعان. لذلك لم يبهجوا قلبه بل حينما فكر أن يفرح بهم.. لم يفرحه أكثر من عدد أصابع اليد الواحدة (موسى وهارون ومريم النبية ثم يشوع بن نون وكالب بن يفنه) رغم أن العدد الخارج من مصر قد كان ٦٣٠ ٠٠٠ (ستمائة وثلاثون ألف عبراني) عدا الأطفال!!

[٥] «.. لكن بأكثرهم لم يسرْ الله. لأنهم طرحوا في القفر»

ولعل الترجمة الانجليزية لهذه الآية توضح لنا مفهوم هذا الطرح بشئ من الدقة أكثر إذ تقول:

ان جثثهم قد تناثرت في البرية!

God was not pleased with most of them, their bodies were scattered over the desert (N.I.V.)

هكذا كانت نتيجة أعمالهم وعصيانهم للرب. وصاروا كما ذكرنا قبلاً مضرباً للمثل في عاقبة التهاون لذلك قال الرسول:

[٦] «.. هذه الأمور حدثت مثالاً لنا»

وفي الحقيقة.. رحلة العبرانيين من مصر إلى فلسطين ليست بغريبة علينا نحن المؤمنين فكلنا يتكرر معنا هذا السعي. إذ يحررنا الرب بخروف الفصح الحقيقي – الرب يسوع – ليخرجنا من مصر خطايانا وتسخيرنا لفرعون الحقيقي – إبليس – ويجتاز بنا بحر المعمودية حتى يهلك إبليس ثم يخرج بنا.. متعاملاً معنا بكل الحب والعناية طوال رحلة غربتنا على الأرض حتى متى أكلمنا جهادنا في خوف اسمه المبارك نؤهل لميراث كنعان الحقيقية أورشليم السماوية. والمتتبع جيداً لخط سير رحلة البرية سيدرك حتماً أنها بكل تفاصيلها ترمز لحياتنا الحاضرة التي نحياها.. فعبور البحر كان رمزاً للمعمودية. والطعام الروحاني الذي أعالهم به الرب كان رمزاً للمن الحقيقي.. خبز الحياة .. جسد الرب ودمه.. الذي يضمن لنا الحياة الأبدية كما قال الرب بفمه الطاهر:

«.. أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز الحي النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم» (يو ٦: ٤٨– ٥١)

بل والماء المروي الذي أفاضه لهم الرب في البرية يرمز أيضاً لماء الحياة الذي يهبه الرب بعطية روحه القدوس لنا في العهد الجديد إذ قال عنه :

«.. من يؤمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن ينالونه» (يو ٧ : ٣٨، ٣٩)

ولعل موقف السامرية يوضح لنا هذا المفهوم إذ قال لها الرب:

«.. من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (يو ٤ : ١٤)

أيضاً طبيعة الحروب والضيقات وإغراءات الرجوع إلى عبودية المصريين[1].. كل هذه الأمور حدثت رموزاً واضحة لحياتنا الآن.. وكتبت مثالاً لنا.. حتى إذا ما وعيناها في صدورنا لا نفعل مثلهم حتى لا نعرض أنفسنا لمصيرهم الصعب..

[٦، ٧] **«.. حتى لا نكون نحن مشتهين شروراً كما اشتهى أولئك فلا تكونوا عبدة أوثان كما كان أناس منهم. كما هو مكتوب جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب»**

وهنا لمحة في غاية العجب من الروح القدس يبرز فيها موقف عمل العجل الذهبي وعبوديته كوثن واغاظة الرب به (انظر خر ٣٢ : ٦). يريد روح الله أن يوضح لنا أن تأخير موسى فوق الجبل وطول انتظار الشعب له لم يكن هو الدافع وراء هذا العمل المذري.. بل ولا ضعف شخصية هارون أمام الشعب الغليظ الرقبة كان السبب المباشر لذلك.

الروح الآن يعلمنا أن الشعب كان قد اشتهى شروراً...!! خرج بجسده من أرض مصر ولكن قلبه كان متعلقاً بها.. وشعروا عندما خرجوا للبرية أنه لكي ينعموا بكنعان عليهم باحتمال الكثير لذلك استثقلوا الجهاد وتمنوا لو يكسروا عنهم نير الرب الذي أخرجهم.. فصنعوا العجل وقالوا:

«.. هذه هي آلهتك التي أخرجتك يا إسرائيل» (خر ٣٢ : ٤)

لذلك يحذرنا الرسول المبارك بقوله« *«.. لا تكونوا عبدة أوثان.....»*

---

(١) أفاض الأب الموقر القمص تادرس يعقوب شرح هذه الأمور في تفسيره لسفريْ الخروج والعدد. فمنعاً للتكرار يمكنك الرجوع إليهما.

لان ما فعله إسرائيل هو عبودية للوثن بل لا أغالي إذا قلت، أنه أخطر من عبودية الأوثان. فالذي يعبد الوثن وراثة عن آبائه وأجداده غير من يعبده عناداً ورفضاً للإله الحقيقي الذي سبق وأراه يده وقدرته العظيمه!! الأول عن جهل وعمي بصيرة.. أما الثاني فما حجته؟! لا شئ سوى شهوة رديئة في القلب لسان حالها: لنتشبه بالأمم ونترك الرب. وننفض عنا نيره.. لنأكل ونشرب ونلعب ونرقص أمام هذا الإله الكاذب، الإله السهل الذي لا يعاقب.. بل ترضيه ألعابنا.. ويسره رفضنا للإله الحقيقي..

هكذا نحن.. الله قد أخرجنا.. سائرين في رحلة غربة يسندنا فيها بحبه.. زاد الطريق فيها جسد الرب ودمه الكريمين. ليتنا لا نعود ونشتهي ما تركناه حينما دعانا الله من الظلمة إلى نوره العجيب. ليتنا نستمر مجاهدين ومقاومين الشيطان الذي جحدناه في المعمودية. ليتنا لا نصغي لإغراءاته التي يقدمها لنا.. لينة ومعسولة ولكن فيها كل المرار إذا ما أطعناه. ليتنا لا نندم ولو للحظة على خطية تركناها.. أو على فرصة كان يمكننا فيها السقوط ولم نفعل رغبة منا في إرضاء الله الذي أحبنا. باختصار ليتنا لا نشتهي شروراً سبق الرب وحررنا منها.

ليت ذواتنا لا تتحول إلى أصنام نعبدها ونذبح لها افكارنا ونريق لها دماء القلب المكرسة لله..!! لنسر في رحلة الغربة هنا ناظرين فقط لرئيس الإيمان ومكمله يسوع (عب ١٢ : ٢) حتى نسير من مجد إلى مجد.. شاعرين بخفة نيره وحلاوة العشرة معه.

[٨] «.. ولا نزن كما زنى أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً»

والإشارة هنا لما حدث يوم زنى إسرائيل مع بنات موآب بغواية بلعام بن بعور..

«.. وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور - سيد الفجور - **فحمى غضب الرب على إسرائيل»** (عدد ٢٥ : ١ - ٥)

وعقاباً لهم تم قتل من سجد لسيد الفجور هذا.. وعلى زناهم ضربهم الرب بالوباء حتى مات ثلاثة وعشرون ألفاً.

في سفر العدد ذكر أن الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرون ألفاً. والاختلاف هنا يمكن رده إلى أن كتاب العهد الجديد اقتبسوا معظم آيات العهد القديم التي استخدموها من الترجمة السبعينية للتوراة. وهذه الترجمة وهذه الترجمة ذكر فيها أن العدد هو ٢٣٠٠٠. وهناك نسخ عبرية (للرسالة) ذكر فيها أن العدد أربعة وعشرون ألفاً مطابقاً لرواية سفر العدد. عموماً الاختلاف الظاهر هنا لا

يمس حقيقة الوباء.. ولا حقيقة غضب الرب عليهم بسبب شر زناهم.

وهناك تفسيراً.. أوقع لهذا الاختلاف يقوله المتنيح القس منسى يوحنا وهو أن بولس الرسول وعن السبعينية ذكر أن الذين ماتوا في يوم واحد هو ٢٣٠٠٠ أما سفر العدد فذكر عدد كل من ماتوا ٢٤٠٠٠!

---

[٩] **«.. ولا نجرب المسيح كما جرب أناس منهم فأهلكتهم الحيات»**

والتجربة المقصودة هنا خطيرة جداً. لأن الشعب قال لموسى:

«.. لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف» (عدد ٢١ : ٥)

تأمل هذا الوصف السيء للمن السماوي الذي يرمز للرب يسوع.. بل قالوا أيضاً عنه:

«.. الآن قد يبست أنفسنا. ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن» (عدد ١١ : ٦)

وقد كانت العقوبة حيات محرقة تلدغ ويموت بلدغتها الشعب!

وهكذا تعلمنا الكنيسة أن من يستخف بجسد الرب ودمه يجرب المسيح ويعرض نفسه لدينونة مرة لأن أكله من الجسد والدم سيكون حينئذ بدون استحقاق. وسوف نشرح ذلك بنعمة ربنا عند دراستنا للأصحاح الحادي عشر.

[١٠] **«.. ولا تتذمروا كما تذمر أيضاً أناس منهم فأهلكهم المهلك»**

وللملاك المهلك في العهد القديم قصة طويلة تبدأ باهلاك أبكار المصريين ونجاة العبرانيين كل من مسح بيته – القائمتين والعتبة العليا – بدم الخروف (أنظر خر ١٢ : ٢٣).

وأيضاً في سفر العدد أثناء رحلة الشعب عندما تذمر قورح وداثان وأبيرام على الكهنوت وانحساره في هارون ونسله وأبادهم الرب. تذمر أيضاً الشعب وهاجوا على موسى وهارون وقالوا لهما:

«.. أنتما قد قتلتما شعب الله» (عدد ١٦ : ٤١)

فحمى غضب الله عليهم وكاد يفنيهم لولا شفاعة موسى وهارون أمام الله. ولكن كان قد مات منهم بالوباء أربعة عشر ألفاً وسبعمائة نفس! عدا من هلكوا في مشاجرة قورح. تأمل عاقبة التذمر الذي يحمل في طياته خطية عدم الإيمان..

عموماً.. الأربعين سنة.. التي قضاها الشعب في سيناء.. قد كانت كلها تذمر على الرب وموسى.. لذلك مات الجميع في البرية ولم يدخل أرض كنعان سوى اثنان فقط هما يشوع بن نون وكالب بن يفنه.

وعلينا الآن الاستفادة من كل الذي حدث حتى لا نحرم من الدخول لكنعان السماوية بسبب عدم إيماننا وتذمرنا..

[١١] «.. هذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور»

نحن من وصل إلينا كمال تدبير الله حتى انتهاء العالم.. وأدركنا مقاصد الله من جهتنا وحقيقة دعوتنا لميراث السماء. لنأخذ درساً وعبرة حتى لا نفقد أبديتنا.

أواخر الدهور هنا قد تعني اشارات الأنبياء والرسل عن مجئ زمان المسيا وقد تعني أيضاً كما قلنا معرفتنا الأكيدة لما سوف يحدث معنا بعد انقضاء الدهر.

علينا بالحرص والسلوك كما يرضي الله لأن غربتنا في هذا العمر محفوفة بالأعداء والمخاطر من كل جهة، فمن لا يتمسك برجائه وإيمانه ثابتين سوف يفقد أبديته، ومن فينا يظن أنه قائم فليسلك بحرص لئلا يوقعه فخ الكبرياء.

[١٢] «.. إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط»

هذا الحذر والحرص هو عين ما قاله بولس عن نفسه في ختام الأصحاح التاسع:

«.. اقمع جسدي واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً» (١كو ٩: ٢٧).

[١٣] «.. لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا»

هنا في هذا الجزء بعدما أوضح لنا بولس الرسول أهمية الحذر والحرص حتى لا نسقط فيما سقط فيه شعب إسرائيل من تجارب وتذمرات وخطايا.. يريد أن يقول لنا لا تستغربوا أن يحدث معكم مثلما حدث معهم.. فإن هذه الأمور إن حدثت فهي من الطبيعة البشرية التي تقاوم عمل الله وبالتالي كل ما يحل بكم من أتعاب قد تظنون أنها أصعب من أن تحتملوها. هو في الحقيقة ما يناسب طبيعة الإنسان من التأديبات والتجارب حتى يعود مستفيداً بالتجربة. فالتجربة البشرية

المقصودة هنا قد تعني أن الله لن يجربنا بما لا ندركه من أمور وفي نفس الوقت سوف لا يتركنا حتى لا نيأس بل سيعطي التجربة مناسبة لطاقة احتمالنا بل وسيدبر لنا نحن المجربين وسيلة للخروج من الضيقة والتجربة حتى نحتملها.. وننال أكليل الصبر باحتمالنا إياها وهذا في الحقيقة سر في غاية العمق إذ يعطيني الله صليباً لأحمله.. ولعلمه بعدم قدرتي على احتماله يرفعه هو عني وحاملاً ضيق وتعب الصليب وهوان التجربة وفي النهاية أنال أنا إكليل المجد كمن حمل الصليب.. ولكن هذا بشرط تسليمي حياتي بالكامل له طالباً منه سرعة التدخل لنجدتي. وعليَّ بقبول الألم والتجربة برضا وفرح وشكر دون تذمر.. هنا فقط يرفعها الله عني.

والتجربة المقصودة هنا أيضاً قد تعني انخداع الإنسان نفسه بسبب شهوته كما قال الرسول يعقوب:

«.. كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته» (يع ١ : ١٤)

وهذه هى تجربة الخطية التي نختارها لأنفسنا وبسببها نجوز آلاماً هى في الحقيقة ثمرة للخطية وقد تكون عقاباً لها.. ولكن حتى في هذه الحالة.. الله سوف لا يدلنا بل لن يسمح لإبليس أن يخدعنا بما لا نستطيع الصمود فيه والنصرة عليه وفي نفس الوقت سيعطي المنفذ للخروج من هذه التجربة المرة.. ويمكننا الآن أن نقول أن هذا المنفذ هو امكانية التوبة والقيام بعد كل تجربة سقوط. حتى لا يهتز إيماني وتضعف ثقتي بالرب.

ولعل المعنى الثاني للتجربة هو ما كان يناسب الكورنثيين.. الذين كانوا قبلاً ظلمة سالكين في خطايا.. ومازال البعض منهم يرفض التوبة.. والبعض الآخر يفترى على رسل ربنا يسوع.. ويسقط في خطايا التذمر على القوانين الكنسية مريداً العودة لفوضى العبادة الوثنية.. لذلك استحسن الروح أن يكلمهم عن عبادة الأوثان فقال لهم:

[١٤] **«.. لذلك يا أحبائي اهربوا من عبادة الأوثان»**

ثانياً : أعياد الأوثان وعشاء الرب : (١٤- ٢٢)

[١٤، ١٥] «... لذلك يا أحبائي اهربوا من عبادة الأوثان. أقول كما للحكماء احكموا أنتم فيما أقول»

بولس هنا يخاطبهم ملهباً فيهم احساسهم بأنهم أناس حكماء تعودوا فحص كل شئ. ويطلب منهم رداً على التساؤلات التي سيطرحها أمامهم تاركاً لهم مجال الاختيار والحكم حتى متى قالوا

شيئاً يسيرون عليه ويعتقدون فيه..

[١٦] «.. كأس البركة التي نباركها أليست هى شركة دم المسيح. الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح»

ما هو إيمانكم بخصوص اجتماعنا للشكر – الإفخارستيا – هل هو اجتماع عادي فيه نتناول خمراً عادياً وخبزاً عادياً. أم نحن حينما نجتمع لعمل الشركة فنحن نشترك في دم المسيح وجسد المسيح ونتحد بهما علاوة على اجتماعنا معاً. كمعنى لحياة الشركة:

[١٧] «.. لأننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد»

إذا قلنا أننا جميعاً أعضاء جسم المسيح السري الذي هو الكنيسة من لحمه ومن عظامه يصير اشتراكنا في الافخارستيا تحقيقاً لهذا المعنى السري العميق. باشتراكنا في الخبز الواحد تتثبت حقيقة نسبتنا للمسيح الواحد الذي نعبده. والتصاقنا بمذبحه يصير علامة أكيدة على إيماننا بحقيقة حضوره الحي الحقيقي في كل افخارستيا.

[١٨] «.. انظروا إسرائيل حسب الجسد. أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح»

هذا حتى يوضح لهم قيمة المذبح والذبيحة والاشتراك فيهما كعلامة على التمسك بكل ما يحيط بهذه الذبائح من طقوس وعقائد وتدبيرات كل هذا الكلام تمهيداً للحديث عن الاشتراك في مذابح الأوثان.. فشركاء المذبح هم شركاء في الإيمان والعقيدة اللذين بهما قدمت الذبيحة.

[١٩، ٢٠] «.. فماذا أقول. إن الوثن شئ وان ما ذبح للوثن شئ. بل أن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشيطان لا لله فلست أريد أن تكونوا شركاء الشياطين»

على نفس القياس السابق لا يوجد فرق بين الوثن وما ذبح له. من جهة الاشتراك فيما يفعله الوثنيون. لأنهم إنما يفعلونه للشيطان. وأنا لا أريدكم أن تتعلقوا بعبادات الأوثان تاركين عبادة الله الحي. ولا معنى يا أحبائي أن تجلسوا في معابد الأوثان وتشتركوا فيما يذبح لها ثم بعد ذلك تدعون أنكم تتبعون للإله الحقيقي فوقتها ستكونون شركاءً للشياطين لا لله. بكونكم جالستموهم واشتركتم في ذبائحهم.

[٢١] «.. لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين. لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين»

وكلمة لا تقدرون هنا قد تفيد الأمر بعدم التقرب لمائدة الرب قبل التوبة والإعتراف، متى تقربوا مائدة شياطين. قبل التوبة والاعتراف. وقد تفيد أيضاً استحالة تحقيق شركة حقيقية على أي مستوى مع الله طالما اشتركنا في مائدة شياطين مهما تقدمنا إلى مائدة الرب. بل سيكون تقدمنا دينونة علينا!! علينا اذن بالنفور من موائد الشياطين والتقرب باستعداد لمائدة الرب.

---

[٢٢] «أم نغير الرب العلنا أقوى منه»

وبنفس الأسلوب. كمن يخاطب حكماء.. يقول لهم مستفهماً منهم عن سبب تمسكهم بمثل هذا الأمر.. هل تظنون أننا هكذا نثير غيرة الرب! لو كنا أقوى منه لجاز لنا ذلك. لنحترس إذن من محاولة إغاظة الرب لئلا يتقد غضبه علينا.. ساعتها لن يستطيع أحد الوقوف أمامه.

ثالثاً : حرية المؤمنين أبناء الله : (١٠ : ٢٣- ١١ : ١)

[٢٣] «... كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء تبني»

سبق ورأينا أثناء دراستنا في الأصحاح السادس أن هذا المبدأ هو القاعدة الذهبية للسلوك المسيحي دون التخبط في متاهة الحلال والحرام التي تقلق الكثيرين خصوصاً المبتدئين في الحياة الروحية. فالأصل في هذا الموضوع هو أن أفعل ما يوافقني كإبن لله وما يبني علاقتي به أكثر بحيث لا يتسلط عليّ شئ. أي شئ يعطل علاقتي بالرب (انظر ١كو ٦ : ١٣).

وتطبيقاً لقاعدة كل الأشياء تحل لي.. يطلب الرسول منهم أن لا يكون هذا التصريح سبباً في فساد العلاقات الإنسانية بينهم فيقول لهم:

[٢٤] «.. لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر»

فالحرية المسيحية لا تعني أبداً إيذاء الآخرين عن طريق استغلالها لممارسة غرائز الجسد في إباحية واستهتار وسلوك ردئ. فهو يدعونا هنا لطلب ما للآخرين قبل ما هو للنفس. لأبحث عن راحة الآخرين قبل راحتي. ولا أنس الناس وأخوتي البشر في غمرة انشغالي بنفس وانحساري في ذاتي ورغباتي.

ولداعي تخبطهم أيضاً في موضوع الحلال والحرام بسبب سكناهم وسط الوثنيين يحدثهم الرسول عن الأكل مع الوثنيين حديثاً عميقاً يريح به ضمائرهم المعرضة لأن تتشكك بسبب كثرة مذابح الأوثان:

[٢٥، ٢٦] «.. كل ما يباع في الملحمة كلوه غير فاحصين عن شئ من أجل الضمير لأن للرب الأرض وملأها»

أي أنه حتى لا تتعبكم ضمائركم.. كل ما يباع كلوه غير متسائلين في أنفسكم عن حقيقته لأن الله لم يخلق شيئاً نجساً في ذاته بل عطاياه كلها طاهرة. أما سلوك الإنسان ونظرته إليها بفساد عقله وضميره هو الذي ينجسها. وفي الآيات القادمة يوضح لهم الرسول ما يجب عمله إذا ما تعرضوا لمثل هذه المواقف التي تحتم عليهم الاشتراك مع الوثنيين في الأكل:

[٢٧، ٢٨] «.. ان كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون أن تذهبوا فكل ما يقدم لكم كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير. لكن ان قال لكم أحد هذا مذبوح لوثن فلا تأكلوا من أجل ذلك الذي أعلمكم والضمير لأن للرب الأرض وملأها»

كلوا منه من أجل الضمير.. من أجل ضميركم أنتم حتى لا تتعب أفكاركم، حينما تفحصون وتتباحثون عن حقيقة ما يقدم أمامكم.، فلأجل راحة ضميركم كلوا منه معتبرين إياه عملاً من أعمال الضيافة. وتعاملوا مع من دعاكم على هذا الأساس حتى لو كان غير مؤمن. هكذا يرتاح ضميركم ويصير بلا عثرة. أما إذا جلستم تتناقشون فيما بينكم أو معه عن ما يقدم ربما يؤدي ذلك إلى ضياع عنصر الود المفروض توافره بينكم. الأمور التي يمكن ادراجها تحت وصية:

«.. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس» (رو ١٢ : ١٨)

أما متى صارحكم مضيفكم القول بأن هذا اللحم مذبوح لوثن فلا تأكلوا منه ذلك لأن نظرتكم للطعام في هذه الحالة تختلف عن نظرته هو، أنتم لو أكلتم منه لن تضروا بشئ كما قلت لكم سابقاً:

«.. الطعام لا يقربنا إلى الله لأننا ان أكلنا لا نزيد وان لم نأكل لا ننقص» (١كو ٨ : ٨)

أما هو فعنده ذبيحة الوثن تعتبر تقدمة هيكل وذبيحة ينبغي عليه احترامها وضميره يسلك تجاهها هكذا. أنتم لن تشاركوه ضميره هذا بسبب إيمانكم بالمسيح وهو أيضاً لن يقبل منكم بارتياح الأكل منها كطعام عادي. وهذا أيضاً سوف يؤدي إلى فتور في العلاقات معهم.

هنا، بولس يحرص أشد الحرص على هذه العلاقة لا بسبب أهميتها في ذاتها كعلاقة بين مؤمن ووثني. ولا كتصريح منه للمؤمنين بالمخالطة مع الوثنيين. إنما هو يريد أن يجعل من يؤمن بالمسيح شاهداً له بين الوثنيين. ذلك حينما يرونه مراعياً لمشاعرهم ومعتقداتهم – دون أن يؤمن هو

بها – هذا السلوك في حد ذاته قد يجذبهم للإيمان. وفي نفس الوقت تكون الكرازة هادئة تسير في سلام وهدوء كطبيعة عمل الله.

أما قول بولس الرسول المتكرر أن للرب الأرض وملأها فسببه أن الرسول يريد أن يوضح لهم لماذا طلب منهم مرة أن يأكلوا من أجل ضميرهم هم. ومرة أخرى أن لا يأكلوا من أجل ضمير الآخر فالسبب في هذا المطلب هو ترك الأمر في كلتا الحالتين في يمين الرب الذي له كل الأرض. وملؤها.. المسكونة وجميع الساكنين فيها. فهو فاحص القلوب والضمائر والعالم بخباياها. وهو وحده الديان الذي سوف يحاسب البشر كلاً بحسب عمله. فعليهم إذن في بساطة الطاعة تكميل الوصية دون فحص ومباحثات قد تؤذيهم والله الذي خلق الكون كله يرى كل شئ!

أما عدم الأكل بسبب ضمير الآخر، لا يعتبر ذلك تحكماً فيَّ منه. وربما يتساءل أحد. طالما أنا أصلي وأتناول طعامي بشكر أقدمه للرب الذي أعطاني إياه لماذا يفترى عليَّ؟ وهذا الافتراء تأكيداً لسلوك الأخ غير المؤمن إذا تناول منه أحد المؤمنين طعاماً مذبوحاً لوثن وهو يعلم ذلك. هذا ما عناه الرسول بقوله ضمير الآخر. ربما يتعبك بإفترائه عليك إذا ما اعتبرك غير مبالٍ بتقدمته التي تعتبر عنده بمثابة ذبيحة مقدسة سبق وأخبرك عنها. صحيح الأمر بالنسبة لك لا يعني أكثر من الأكل بشكر أما بالنسبة له فالموضوع يختلف:

[٢٩، ٣٠] «.. لأنه لماذا يُحكم في حريتي من ضمير آخر. فإن كنت أنا أتناول بشكر فلماذا يفترى عليَّ لأجل ما أشكر عليه»

ويمكننا تقريب هذا المفهوم لأذهاننا إذا تصورنا أحد المسيحيين يرى صديقاً له غير مسيحي يمسك بقربانة يأكل منها ببساطة أكله الخبز العادي ، ماذا سيكون موقف المسيحي؟! سيتعب ضميره جداً وربما يدفعه ذلك للشجار والغضب هو في غنى عنه لو أن غير المؤمن قد رفض الأكل. هذا طبعاً مع الفارق. مركزين فقط على نظرة الإنسان لما يعتقد فيه ويقدسه ويخاف عليه من عبث الآخرين.

[٣١] «.. فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شئ لمجد الله»

وطالما وضعتم هذا المرام قدام أعينكم. لن تتعبوا ولن تتعبكم ضمائركم بل حينما ترون مجد الله يقرر ويزداد بسبب أبسط الأمور التي تمارسونها – حتى لو كانت مجرد أكل – حينئذ ستفرحون بأن أعمالكم تمجد الله.

[٣٢] «.. كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله»

وفي هذه الآية يجمل الرسول كل ما يريد توصيله إليهم.. كونوا بلا عثرة.. أي إسلكوا بلياقة ومراعاة لمشاعر الآخرين.. اليهود.. واليونانيين.. وكنيسة الله.

+ **اليهود**.. أي لا تحتقروا ما يفعلونه بسبب إيمانكم بأنه قد بطل مع انتهاء عهد الناموس، لأنك لو نظرت لنفسك قبل إيمانك لم تكن تحتمل أن يوبخك أحد ويتقول بشئ على ما تؤمن به. فلا تعثروهم بل في بساطة المودة الأخوية اجذبوهم للإيمان بأعمالكم وعلاقاتكم الحسنة.

+ **اليونانيين** الذين تتعاملون معهم وتعيشون بينهم متذكرين أنكم كنتم قبلاً مثلهم. تعتقدوا بما يعتقدون.. وتفعلوا ما يفعلون فلماذا تعثروهم الآن؟ الله الذي دعاكم أنتم من الظلمة إلى نوره العجيب يدعوهم هم أيضاً فقط ربما لم يأت الوقت بعد الذي فيه يقدمون توبة ويصيروا معكم فلا تعثروهم بل في علاقة السلام والاحترام قدموا لهم مسيحكم الذي علمكم الحب حتى للأعداء. عندئذ سيدخلوا هم أيضاً الإيمان!

+ **ولكنيسة الله**.. حتى لا يتعب البسطاء الذين تعودوا عدم الفحص وعدم النقاش وضميرهم مستريح جداً في طاعة الوصية دون جدال! وعدم الفحص هنا ليس معناه فقدان الإفراز والتمييز، لأن هذان يعطيهما الرب مكافأة على البساطة والإيمان القلبي البسيط.

كونوا بلا عثرة أمام أنفسكم أيضاً. لا تُعثروا في الوصية المقدمة لكم من الله عن طريقي. ولا تعثروا فيَّ أنا بولس إذا ما رأيتموني أطلب اليكم طاعة ما تحسبونه تحكماً في ضمائركم من ضمائر الآخرين بل ارضوا الجميع كما أفعل أنا أيضاً. ولينظر الإنسان ليس فقط ما يريده هو وما يوافقه هو فقط بل الآخرين الكثيرين حتى يعرفوا طريق الرب. وبذا يخلصون..

[١٣] «.. كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شئ غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا»

ثم يختم حديثه معهم بآية في غاية العمق الروحي:

«.. كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو ١١: ١)

بولس الحكيم الذي سوف يقول لهم سلمتكم ما قد تسلمته من المسيح (١كو ١١: ٢٣) يريد منهم هنا رؤية المسيح الذي يحمله ويكرز به حتى يراه فيهم الناس أيضاً.

ومتى تمثلنا كلنا بالمسيح لن يبقى هناك مجال للنقاش والعثرة. لأن في شخص المسيح المبارك تتقابل وتتلاقى كل المتناقضات وتذوب. بل وتتكامل فيه كل المفاهيم التي يعجز الفرد فينا عن ادراك القصد الإلهي منها. وفيه أيضاً تنحل كل غوامض الأمور التي تتعب عقولنا وضمائرنا. والسيد المسيح بدوره سبق وترك لنا مثالاً في كل شئ حتى نتبع خطواته ونكون مثله (١بط ٢ : ٢١).

وفي هذا صدق القديس أوغسطينوس الذي قال: «.. **ان المسيحي مسيح آخر**»!

✠✠✠

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح الحادي عشر ﴾

مقدمة : في هذا الفصل المبارك يناقش الرسول بولس مبدأين هامين يخصان العبادة في الكنيسة. الأول هو وضع كل من الرجل والمرأة في الكنيسة، والثاني ضرورة وكيفية الاستعداد لسر الافخارستيا المقدس.

ويبدو أيضاً أن أهل كورنثوس قد ارسلوا إليه شفويا يطلبون منه نصحهم بخصوص هذه الأمور كما طلبوا منه ما شرحه قبلاً في الأصحاحات الثامن والتاسع والعاشر.

هذا ويمكننا تقسيم الفصل كالآتي:

١- المرأة في الكنيسة (١- ١٦)

٢- الاستعداد لسر الافخارستيا (١٧- ٣٤)

- ممارسات خاطئة (١٧- ٢٢)
- حقيقة الافخارستيا (٢٣- ٢٦)
- الاستحقاق للتناول (٢٧- ٣٤)

أولاً : المرأة في الكنيسة : (١- ١٦)

كمدخل للكلام يمدحهم الرسول بولس على حفظهم لتعاليمه لهم، وتمسكهم بها. وهذا المدح يأتي رغم علمه بانحرافاتهم في كثير من أمور العبادة ولكنه بنوع من الحكمة لكسب قلوبهم حتى يسمعون إليه في طاعة وبذا ينتفعون..

[١- ٣] «... فأمدحكم أيها الاخوة عليّ أنكم تذكرونني في كل شئ وتحفظون التعاليم كما سلمتها إليكم. ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة هو الرجل ورأس المسيح هو الله»

كلمة الرأس هنا معناها القيادة والاتحاد وامكانية المبادرة والتقدم ولكنها لا تعني أبداً أن المرأة ليست لها صلة مباشرة بالمسيح أو أن علاقتها به تأتي فقط من خلال الرجل لأننا نعلم أن كلنا في المسيح يسوع.

«.. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح» (غلا ٣ : ٢٧)

ولكن الرسول بولس يعني مبدأ الخضوع الواجب توافره لقيام حياة الشركة الزوجية بين الرجل والمرأة التي تتمثل بقوة في خضوع الإنسان للمسيح وأيضاً خضوع المسيح في تجسده للآب (١كو ١٥ : ٢٨). وقد يعني أيضاً أن صلة المرأة بالمسيح رغم وجودها وحقيقتها إلا أنها لا تلغي ولا تنفي صلتها بزوجها.

[٤ - ٦] «.. كل رجل يصلي أو يتنبأ وعلى رأسه شئ يشين رأسه وأما كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شئ واحد بعينه. إذا المرأة ان كانت لا تتغطى فليقص شعرها وان كان قبيحاً بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط»

مسألة تغطية الرأس بالنسبة للمرأة لا تشير أبداً إلى تداني في المرتبة عن الرجل لكنها تعبير عن الدخول في مجال الاختفاء عن العيون لتصير صلاتها أو يصير تنبؤها بغير تشتت وبلا عثرة عند الآخرين. وتمييزا لها عن الرجل أمام الله والملائكة، مظهرة أنها لا تزال تحترم وتخضع لنسق حسن الخليقة الأولى التي خلقها بها الله كأنثى (خاضعة للرجل) حتى وبعد حصولها على ملء حريتها وخلاصها وفدائها ومساواتها بالرجل. ودليل مساواة المرأة بالرجل الآية نفسها. إذ يفهم منها أن النساء كن يحضرن مع الرجال ويتنبأن بمقتضى مواهب الروح القدس التي منحت لهن كباقي المؤمنين الرجال. وهنا يأتي وضع النسوة وهن يتنبأن مساوياً تماماً لوضع الرجال ولا فرق إلا وجوب تغطية الرأس، إنما لا يتجاوز هذا الوضع دور المؤمنين العاديين ولا يرتفع إلى مفهوم الرئاسة في الخدمة أو قيادة الصلاة فالكلام هنا محدود في خورس المؤمنين وبالذات في محيط النساء.

كذلك يقول أن المرأة التي لا تريد أن تتغطى لتقص شعرها.. هو هنا يحث المرأة على الالتزام بالوصية.. موضحا لها ان كانت هى تستغنى عن غطاء الشعر عليها بحلق رأسها لتصير مساوية للرجل. وهذا الأمر كان يعتبر عادة مشينة جداً واشارة أن هذه المرأة سيئة السمعة. خارجة عن سلطان زوجها ولا تحيا حياة الطاعة والخضوع يستحثها هنا الرسول حتى يقنعها بأن تغطي رأسها وتكتفي بما حباها به الله من طبيعة مختفية في الرجل وان كان لها كل حقوق الرجل الروحية في العهد الجديد كما رأينا.

أما قوله أن الرجل صورة الله ومجده.. هذا بسبب الكرامة التي أخذها الرجل بكونه خلق أولاً

«لنخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١ : ٢٦)

وان كانت المرأة أيضاً هى صورة الله ومجده إلا أن ذلك هو هدف خلقتها ضمنا والتصريح الذي قاله الرب هو:

«.. ليس جيداً أن يكون آدم وحده لنخلق له معيناً نظيره» (تك ٢ : ١٧)

ومن وقتها والمرأة مختفية في الرجل وهذا ليس سلبا لحق من حقوقها إنما ذلك يتم بطبيعة تكوينها الأنثوي سواء النفسي أو الجسدي.

ومن هنا جاءت الوصية للرجل بأن يقف أمام الله برأس مكشوف لأنه وهو صورة الله ومجده فليس له رئيس منظور يحتشم منه فيغطي رأسه مثل المرأة. ولا يحسب هنا متجاسراً إذ يقف مكشوف الرأس أمام الله والملائكة. وقوله أن المرأة هى مجد الرجل معناها أيضاً أن وجودها مرتبط بوجود الرجل مأخوذة منه – ضلع من أضلاعه لحم من لحمه وعظم من عظامه. لذلك فهي مجده وافتخاره كما أن الرجل مجد الله وافتخاره. وهذا ليس معناه أبداً أن المرأة ليست مأخوذة من الله – إنما نقول أنها مأخوذة مباشرة من جسم الرجل بقوة الله الخالقة وهذا ما أوضحه الرسول بالآية الآتية :

[٨– ١٠] **«.. لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة»**

وفي هذا يقول الرسول أيضاً:

«.. لأن آدم جبل أولا ثم حواء وآدم لم يغو ولكن المرأة اغويت فحصلت في التعدي» (١تى ٢ : ١٣، ١٤)

والرسول بولس في هذا الجزء لا يأمر فقط بتغطية الرأس بل أيضاً بصمت النساء في الكنيسة كما رأينا سالفاً. موضحاً علة عدم جواز ترأس المرأة على الرجل انها متى ترأست تكون قد خالفت نسق الخلق الأول الذي كان حسناً جداً قبل الخطية. وأيضاً **كيف تصلح المرأة لتعليم الرجل والرئاسة عليه من جهة النصح والإرشاد وقيادة الافخارستيا. وهى العنصر الأضعف إزاء الغواية والخطأ وهي التي حصلت في التعدي وأوقعت آدم معها. هنا يرى بولس أنه ان كانت المرأة قد قدمت الخطية لرجلها فإنه من اللائق والواجب أن يقدم هو لها النصح أولا ثم الصفح**

والغفران (الذبيحة) بواسطة الرجل ومن أقوال الآباء الأولين نرى هذا المفهوم واضحاً جداً إذ يقول القديس كيرلس الكبير [ان آدم كان في خلقته أكمل بالضرورة – من الناحية السيكولوجية. من المرأة التي خلقت لتكون من أجله] وهناك اشارة أكثر وضوحاً من هذه ولكن تعزز قوله عن هذا القصور الذي أصاب المرأة من الله عن عمد عندما عاقبها على المخالفة بقوله إلى زوجك يكون اشتياقك. *هذا العقاب أفقدها القدرة أن تكون ندا للرجل دون معاناة!* من هنا نفهم بأكثر تركيز أن كل الحقوق التي نالتها المرأة متساوية مع الرجل هى حقوق روحية صرفة لا تبيح للمرأة الاشتراك مع الرجل في عبادة عامة إلا تحت ضوابط وقيود لابد منها وهى ما بحثناه في هذا الأصحاح. ولكننا لا يمكننا اعتبار قوله أن المرأة خلقت من أجل الرجل مدعاة لتسلط الرجل على المرأة ولا حتى كلام الله للمرأة بعد السقوط..

«.. إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» (تك ٣ : ١٦)

ليس فينا من يدعي فرقاً في المرتبة أمام الله رغم اعتبار الرجل صورة الله ولذلك يقول الرسول أيضاً:

[١١، ١٢] «.. غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب لأن كما أن المرأة هى من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة ولكن جميع الأشياء هى من الله»

أما سلطان المرأة على رأسها من أجل الملائكة معناه أنها ينبغي أن تتغطى لتظهر نفسها أمام الملائكة أنها تحت سلطان ورئاسة زوجها خاضعة للوصية. (To show that she's under the authority of her husband T.E.V.) ولكن في الرب ليس فرقاً كما رأينا أن المرأة أخذت من الرجل كأساس للخلقة وأيضاً الرجل يأتي بواسطة المرأة. وهنا تتبلور فكرة مساواة الاثنين في الرب الخالق وأيضاً احتياج كل منهما للآخر.

خضوع المرأة للرجل هو خضوع في الرب وكذا محبة الرجل لإمرأته هى في الرب أيضاً والرب بدوره أجزل مواهبه للمرأة والرجل على السواء. أما فيما يخص قيادة العبادة في الكنيسة فقد أوقفها الرب على الرجل وحده بطبيعة تكوينه الرجولي ولكي تتلافى مواقف العثرة إذا ما وقفت المرأة تعلم والتجاوز الموجود في هذا الخصوص هو فقط في اجتماعات النساء حيث تنتفي فرص العثرات..

[١٣] «.. احكموا في أنفسكم هل يليق بالمرأة أن تصلي إلى الله وهى غير مغطاة»

القديس بولس الرسول هنا يستحث المؤمنين رابطاً بين ما يريد تقريره ومحكما عوائدهم

وتقليداتهم وبين ما يقتنعون به. إذا كان من عادة النساء أن لا يظهرن مكشوفات الرؤوس أمام الرؤساء ، أو حتى رجال القوم الغرباء. هذا من باب الاحتشام فما بالكن لا تحبذن تغطية رؤسكن أمام الله والملائكة متى وقفتن لتصلين!!

والكلمة تصلي هنا تعني تشترك في عبادة شعبية جماعية (ليتورجيا) كالقداس الإلهي مثلاً. أي عبادة عامة تجمع الرجال والنساء والكل. هل يليق أن تظهر المرأة غير مغطاة أمام هذا الجمع المرئي. وبالأحرى كثيراً غير المرئي أعني جموع الملائكة بل وحضور الله نفسه.

[١٤، ١٥] «.. أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم أن الرجل ان كان يرخي شعره فهو عيب له وأما المرأة ان كانت ترخي شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قد أعطي لها عوض برقع»

يبدو هنا أن بولس الرسول يستخرج من موحيات الطبيعة ما يسند أدلته على ما يوصيهم ويطلب منهم سواء بخصوص غطاء الرأس بالنسبة للمرأة في العبادة أو سائر الأمور وكأنه يريد أن يقول لهم: لماذا تطيعون قوانين الطبيعة ولا يترك الرجال شعورهم مرخية على أكتافهم وتعتبروا ذلك أمراً مشيناً بينما المرأة تفرح بذلك وتعتبره فرصة للزينة بل مجدها؟

ولو نظرنا لموضوع الشعر بالذات ستجد أنه لو ترك الرجل والمرأة شعرهما سوف ينمو شعر المرأة بسرعة تفوق نمو شعر الرجل وبذلك يطول أكثر منه وكأن الله يرضى عما سماه بولس هنا **قانون الطبيعة** فأنتم الآن خاضعون لقانون مثل ذلك ولا تجادلوا بشأنه. فلماذا إذن تناقشون وتجادلون متى جاءت بعض الضوابط الروحية على اشتراككن في العبادة يا نساء كورنثوس؟

كما قلنا سابقاً: الرسول هنا يلجأ إلى حكمهم على ما هو لائق وطبيعي في العبادة العامة بحسب ما يرون هم في سائر أمورهم حتى لا يستغربوا ما يطلبه منهم وحتى لا يوقعوا أنفسهم في فخ المشاحنات والمخاصمات لذلك قال لهم:

[١٦] «.. ولكن ان كان أحد يظهر أنه يحب الخصام فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله»

موضحاً أن إلهنا إله سلام دائماً لا يحب الخصام والكنيسة كبيت الله لا يجب أبداً أن تكون فيها مثل هذه المخاصمات. وهو هنا ضمنياً يطلب منهم الطاعة في هدوء وعدم مجادلة حتى يظلوا باستمرار ضمن القطيع الخاضع في هدوء لوصايا الله وتقاليد الرسل التي قادهم فيها الله أيضاً.

ثانياً : الاستعداد لسر الافخارستيا : (١٧- ٣٤)

١ - ممارسات خاطئة : (١٧- ٢٢)

طالعنا الرسول بولس في مطلع هذا الأصحاح بأنه يمدح الكورنثيون بسبب تمسكهم بالتعاليم التي سلمها إليهم كما هى (١كو ١١ : ١) ولكنه يعود الآن ويشجب كونهم يحيون في خصام وانشقاق:

[١٧، ١٨] «... ولكني إذ أوصي بهذا لست أمدح كونكم تجتمعون ليس للأفضل بل للأردأ لأني أولاً حين تجتمعون في الكنيسة أسمع أن بينكم انشقاقات وأصدق بعض التصديق»

وما أصعب على نفسية خادم كونه يسمع عن رعيته ان بها انشقاقات. فهذا يقوض تماماً ثمر خدمته ويجعله يشعر بالفشل والمرارة بسبب تفشي هذا المرض الخطير الذي لا يناسب الكنيسة بل العالم. لذلك هو يستغرب جداً ولكنه يصدق بعض التصديق في الوقت نفسه لوجود روح غواية إبليس وضلاله ومحاولة تعطيل ثمر خدمته ووحدة رعيته.

وكونه يشجب هذه الانشقاقات التحذبات ليذكرنا بما قاله لهم من قبل أن المسيح لا يمكن أن ينقسم Christ can'nt be devided (أنظر تفسير ١كو : ١٠- ١٣؛ ١كو ٣ : ١-٦)

وأيضاً يعتبر الرسول كلامه هذا أنه مدخل للحديث عن سر الافخارستيا ووحدة الكنيسة كلها في الخبزة الواحدة جسد الرب يسوع ودمه الأقدسين. أما كونه يصدق بعض التصديق كما قلنا فبسبب وجود إبليس الذي يريد كسر وحدتنا في المسيح لعلمه أنه كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب وكل بيت منقسم على ذاته يخرب (أنظر مت ١٢ : ٢٥) فيحاول بث روح التفرقة والإنشقاق سعياً لخراب الكنيسة وهذا هدفه. لذلك قال رب المجد نفسه:

«.. ويل للعالم من العثرات فلابد أن تأتي العثرات» (مت ١٨ : ٧)

ولكن الرسول بولس في إيجابيته المعتادة ينظر للأمور من منظور مختلف تماماً. فهو يرى في الانشقاقات وعمل إبليس فرصة ليتزكى المؤمنون الحقيقيون ويكونوا ظاهرين بينهم:

[١٩] «.. لأنه لابد أن يكون بينكم بدع أيضاً ليكون المزكون ظاهرين بينكم»

وهذا يذكرنا بما حدث في تاريخ الكنيسة إذ لما قامت الهرطقات وحوربت الكنيسة بالانشقاق من قبل إبليس كان ذلك فرصة لبيان الإيمان الحقيقي وثباته عبر الأجيال وعلى صخرة هذا الإيمان الثابت تكسرت كل محاولات إبليس للنيل من وحدة الكنيسة الحقيقية وما عداها

سيضعف وسيكون مصيره الزوال بحسب قول الرب:

«.. ولكن كان أيضاً في الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم. يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً» (٢بط ٢ : ١ – ٢)

هذا وهناك اشارة خفية عن هذا العداء الدائم بين إبليس والكنيسة في الإنجيل المقدس قيلت على فم سمعان الشيخ منها نفهم أن العداء في حقيقته موجه للرب يسوع رأس الجسد ومدبر الكنيسة..

«.. ها ان هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامة تقاوم» (لو ٢ : ٣٥)

وأيضاً يوضح لنا الكتاب مصير الذين يذهبون وراء بدع ظاهرها الحياة وباطنها الموت لكل تابعيها كما أشار إلى ذلك سفر الرؤيا.

«.. ولما فتح الختم الرابع.. نظرت وإذا فرس أخضر والجالس عليه اسمه الموت والهاوية تتبعه» (رؤ ٦ : ٧، ٨)

فاللون الأخضر هو علامة الحياة إنما هذه البدع تؤدي لتابعها إلى الموت والهاوية.

وفي مقابل عمل بدع الفساد هذه يتزكى المؤمنون الحقيقيون وتصير فضيلتهم وتدينهم ظاهرين أمام الله وأمام الناس شهادة لهم.

وإذا عدنا إلى الرسالة التي بين أيدينا نجد أن الانشقاقات والتحزبات حدثت في هذا المضمار بخصوص حضور المؤمنين ولائم الأغابي التي كانت تبدأ بعشاء عادي يجمع المؤمنين ثم يختمون احتفالهم بعمل الافخارستيا. في هذه الولائم ظهر أناس لا يعرفون المسيح حق المعرفة لذلك صاروا سبب تعب وعثرة للكنيسة وللمؤمنين وهؤلاء قال عنهم الكتاب أيضاً:

«.. آخذين أجرة الاثم الذين يحسبون تنعم يوم لذة. أدناس وعيوب يتنعمون في غرورهم. صانعين ولائم معكم» (٢ بط ٢ : ١٣)

«.. هؤلاء صخور في ولائمكم المحبية (أغابي) بلا خوف راعين انفسهم» (يه ١٢)

ولعل الرسول بولس أشار إلى ذلك أيضاً حينما أوصاهم أن يكونوا بلا عثرة وقال:

«.. إذا كنتم تأكلون وتشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شئ لمجد الله كونوا بلا عثرة

لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله» (١كو ١٠ : ٣١، ٣٢)

بعد ذلك يشرح لهم الرسول ما تناهى إلى علمه من أخطاء يمارسونها حين اجتماعهم للأغابي والافخارستيا فيقول لهم:

«.. فحين تجتمعون معاً ليس هو لأكل عشاء الرب. لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل فالواحد يجوع والآخر يسكر» (ع ٢٠، ٢١)

وهذا ما تسبب في حدوث الانشقاقات إذا تسارع الناس في الأكل متناسين الفقراء والمساكين وبذلك أ عثروهم واتعبوهم. وهنا نجد أنفسنا في حاجة لتوضيح ترتيبات الافخارستيا في العصر الرسولي:

بحسب الكتاب المقدس نعلم أن الرب يسوع أسس الافخارستيا ليلة آلامه في وسط عشاء الفصح في بدايته أعطاهم جسده ثم جلسوا ليأكلوا عشاء الفصح الذي فيه غسل أرجلهم ثم بعد العشاء أخذ الكأس وشكر وبارك ثم ناولهم منه (لو ٢٢ : ٢٠).

بعد ذلك أخذت الكنيسة نفس الترتيب وكان المؤمنون يجتمعون في مساء اليوم لعمل الافخارستيا وقد كانوا يبدأون بمائدة الأغابي التي تخدم توطيد أواصر المحبة بين المؤمنين وكذلك زوال فوارق الغنى والنسب فيما بينهم وقد سماها الآباء الرسل ولائم المحبة (أنظر ٢بط ٢ : ١٣، يه ١٢) وهناك نص في سفر الأعمال يخدم تماماً هذا الموضوع.

«.. وكانوا يواظبون على تعاليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات وصار خوف في كل نفس» (أع ٢ : ٤٢)

حيث تعاليم الرسل هنا هى خدمة قداس الكلمة أو ما نسمية تجاوزاً قداس الموعوظين[١]، ثم الشركة التي تعني حفلات وعشاء المحبة وبعد ذلك كسر الخبز الذي يعني الافخارستيا ثم الصلوات والطلبات ثم شعور كل نفس بخوف ومهابة من جراء حضور الرب حضور حقيقي بجسده ودمه داخل كل نفس.

وقد كانت الأغابي تقام مرتبطة بالافخارستيا طوال القرن الأول الميلادي، ثم أصبحت طقس

(١) لا يوجد ما يسمى قداس الموعوظين بل هو تطهير المؤمنين بكلمة الله لذلك فتسميته الصحيحة قداس الكلمة ولكن هو الجزء من القداس المسموح بحضوره للموعوظين.

منفصل عنه يعمل بغرض تكريس حياة الشركة بين المؤمنين وسميت أيضاً عشاء الرب، وصار لسر الافخارستيا ما قاله الرسول بولس لأهل كورنثوس في الرسالة التي بين أيدينا سنة ٥٤م وغالباً كان نجاح هذه المحاولة هو الذي شجع الكنيسة كلها بعد ذلك لوضع حد فاصل بين الأغابي وسر الافخارستيا[١].

نعود الآن إلى الرسالة لنرَ لماذا طلب بولس الرسول الغاء ارتباط الأغابي بالافخارستيا.. ذلك لأن الناس لم يعودوا يلتزمون بأصول المحبة بينهم كما سنرى. كانت العادة لخدمة حياة الشركة أن يأخذ كل من المؤمنين معه نصيبه الذي يساهم به في هذه الوليمة، ثم يجلس الجميع وبعد صلاة شكر لمباركة الطعام يأكلون وفي حياة شركة يذوبون في بعضهم البعض متناسين أو متجاهلين الفوارق الطبقية وفوارق الغنى والفقر بينهم تكريساً لوحدانية جسد المسيح. فالذي حدث هناك، أن تسربت روح خبيثة رديئة إذ صارت هذه الولائم مبعثاً للأنانية عوض أن تكون رمزاً للمحبة فاحتقر الأغنياء الفقراء لأنهم لا يستطيعوا احضار مساهمتهم من الأطعمة معهم.. ومع الشبع وروح الأنانية صارت فرص الخلاعة والسكر بدل المحبة والاتضاع لذلك قال لهم الرسول بولس:

[٢٠] **«.. حين تجتمعون معاً ليس هو لأكل عشاء الرب»**[٢]

أي، لم تعودوا تقدموا صورة واضحة قوية لمحبة المسيح بل للأنانية المجردة عن روح الاخوة.

[٢١] **«.. لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل فالواحد يجوع والآخر يسكر»**

ويبدو أن البعض من الأغنياء كان يأكل وحده ما قد أتى به – عشاء نفسه – بدلا من اشراك الفقراء معه وبذلك يجوع الفقير ويسكر الغني من كثرة الأكل والشرب لأنه والوضع هكذا، لم يكن نصيب الفقير سوى القليل الذي أتى به الذي قدر عليه هذا ان كان يقدر على الاتيان بشئ لذلك وبخهم الرسول قائلاً:

[٢٢] **«.. أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا. أم تستهينون بكنيسة الله وتخجلون الذين ليس لهم. ماذا أقول لكم أأمدحكم على هذا لست أمدحكم»**

إذا كنتم تجتمعون للأكل والشرب فقط فلماذا أتيتم؟ حري بكم أن تبقوا في بيوتكم وتأكلوا وتشربوا فيها كما شئتم عوض أن تأتوا وتخجلوا الفقراء اخوة الرب يسوع لأنكم بذلك تستهينون

---

(١) لاحظ أن النص الذي ندرسه الآن هو أقدم وأول نص كتابي عن الافخارستيا. فكم تكون أهميته؟

(٢) عشاء الرب هو التسمية التي أطلقت على وليمة الأغابي بعد فصلها عن الافخارستيا وذلك بنهاية القرن الثاني.

بالكنيسة بل وتهينوا محبة الرب ولا تقدمون شهادة واضحة وصحيحة عن تدينكم وبذلك تكونون غير جديرين بالمدح كما قلت لكم سابقاً.

[١٧] «.. لست أمدح كونكم تجتمعون ليس للأفضل بل للأردأ»

عن ذات الخطايا، يحدثنا الرسول يعقوب في رسالته:

«.. يا اخوتي لا يكن لكم ايمان ربنا يسوع المسيح رب المجد في المحاباة فإنه ان دخل إلى مجمعكم رجل بخواتم ذهب في لباس بهي ودخل أيضاً فقير بلباس وسخ فنظرتم إلى اللابس اللباس البهي وقلتم اجلس أنت هنا حسنا. وقلتم للفقير قف أنت هناك أو اجلس هنا تحت موطئ قدمي فهل لا ترتابون في أنفسكم وتصيرون قضاة أفكار شريرة.... أنتم أهنتم الفقير» (يع ٢ : ١ – ٩)

٢ – حقيقة الافخارستيـــا (*) : (٢٣ – ٢٦)

بعد أن بين الرسول بولس فساد ممارستهم بخصوص عشاء الرب والافخارستيا يوضح لهم الآن ماهية الافخارستيا حتى لا يعودوا ويستهينوا بها موضحاً أنها سر حقيقي أسسه الرب يسوع نفسه واستلمه منه هو شخصياً.

[٢٣ – ٢٦] «... لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً. ان الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم إصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. إصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ»

الكلمة «من الرب» لا تفيد الاستلام من الرب مباشرة بل عن طريق آخر وهو بذلك لعله يقصد أنه تسلم ذلك من الآباء الرسل الذين قبلوه وأعطوه معهم يمين الشركة في الخدمة الرسولية. واستلم منهم حقائق الإيمان والعقائد. وبذلك يكون ما كتبه هنا عن الافخارستيا أول وصف لحقيقتها كسر سلم من الرب يسوع وبحق يعتبر أول ما سجلته الأسفار المقدسة عنه. وهو يقدر أهمية التقليد المسلم والمتوارث من جيل إلى جيل إذ وهو يتسلم ممن سبقوه يعتبر نفسه قد

(*) للإستزادة الروحية من هذا الجزء أرجو الرجوع إلى كتابيّ :
[عند باب الماء ، كنيستي حنطة وخمر وزيت] للمؤلف.

تسلم من الرب يسوع نفسه. ومن الأهمية طبعاً أن نذكر كونه يتصل خاصة ببطرس الرسول ويوحنا ويعقوب وهم شهود عيان لما فعله الرب يسوع ليلة آلامه.

هذا والنص الذي نعالجه بنعمة الرب فيه الكثير ليقال وأيضاً قد كُتب فيه الكثير، ولكن ما يهمنا هنا في تركيز بيان حقيقته كسر ويحسن أيضاً أن نطالع معه ما قاله السيد له المجد في الأصحاح السادس من انجيل معلمنا يوحنا حيث كان حديث رب المجد عن نفسه كمَنٍ حقيقي نازل من السماء لا يموت من يأكل منه بل تكون له حياة أبدية ليس كما أكل آباؤهم المن في البرية وماتوا.

وحديث الرب المسلم لنا هنا هو عودٌ على ذي بدء حيث لا يأخذ منه الكلام استطالة لفهم ما يعتبره التلاميذ عسراً ذلك كما قلنا لأن السيد كان قد أنهى الموضوع شرحاً وتوضيحاً في يوحنا ٦. لذلك هو هنا يتمم لهم السر دون نقاش بل ويعطيهم أن يأكلوا «.. **خذوا كلوا...**» وأن يشربوا.. «.. **خذوا اشربوا**» لا بصيغة رجاء أو طلب إنما كأمر.. وكأنه يقول لهم لا وقت كثير تضيعونه في نقاش.. كفاكم وأنا معكم ثلاث سنوات لتكونوا قد آمنتم بي وبأقوال فمي وما تعمله يداي. لذلك يأمرهم أن يأكلوا ويشربوا من دون كلام أو اعتراض.

السيد المسيح ليلة آلامه كان يأكل عشاء الفصح مع تلاميذه وبينما هم يأكلون أخذ الخبز وصلى عليه صلاة الشكر والبركة [١]، ثم قسم وأعطى التلاميذ ليأكلوا قائلاً لهم:

[٢٤] «.. خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم»

وكأن المسيح يعتبر نفسه فعلا قد مات. بل قد ذبح نفسه بالنيه أو كما يقول القديس غريغوريوس الثيئولوغوس [أن المسيح صلب نفسه للعالم قبل أن يصلبه العالم] لذلك هو يعطي من وراء الزمان عطية ذاته جسده المكسور بالنيه والذي سوف يذبح على الصليب في الغد.

وبعد أن أكل منه التلاميذ [٢]، جلسوا وأكملوا عشاء الفصح ثم بعد العشاء أكمل الرب لهم سر حبه بتقديم دمه الكريم.

---

(١) لقد كان في الطقس اليهودي أيضاً أن يمسك الخبز كبير الأسرة ويشكر الرب الذي أعانهم وأخرج آبائهم من مصر . ولكن بركة الرب يسوع هنا غير ما كان يقوله اليهود.

(٢) لاحظ في كل روايات العهد الجديد عن ليلة آلام الرب، لم نقرأ أن واحداً من تلاميذ ربنا اعترض أو شك أو اعتفى من تناول السر. لأنه كما قلنا لم يكن هناك مجال للعثرة بعد أن وضح لهم الرب كل شيء (يو ٦).

[٢٥] «.. هذه الكأس هى العهد الجديد بدمي»

وهو بذلك قد أدخل عالم الإنسان عهداً جديداً – عهد حبه – حيث يموت الإله فداء للإنسان الأمر الذي اعتبره الرب يسوع شهوة قلبه فقال لتلاميذه:

«.. شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم لأني أقول لكم أني لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله» (لو ٢٢: ١٥، ١٦)

لقد كانت طلبة الرب يسوع أن لا يموت قبل أن يسلم تلاميذه سر حبه وذخيرة الحياة الأبدية.. واشتهى ذلك فعلاً لذلك كان فرحاً جداً بتقديم ذبيحة نفسه على يديه لتلاميذه كما قال بذلك القديس كيرلس الكبير [*هو الكاهن .. هو المذبح.. هو الذبيحة*].

أما قوله:

«.. لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله »

فمعناه يدل على سرعة احداث تلك الليلة وبسرعة تم القبض عليه ومحاكمته وصلبه وملكه على خشبة الصليب حيث ظهر ملكوت الله ***«الرب ملك على خشبة»***. (مز ٩٥: ١٠ الترجمة القبطية).

لاحظ أيضاً دقة الكنيسة القبطية في ممارسة سر الافخارستيا، فالكاهن يقدس الخبز أولاً ثم الخمر ثانياً كما فعل السيد المسيح نفسه أما كون القسمة تأتي في آخر القداس فقد استعاضت عن ذلك الكنيسة بتقسيم جزء من الجسد تقسيماً دون انفصال تحقيقاً لقول الرب بعد قسمه **«خذوا كلوا..»** أما قول الكتاب **«.. اصنعوه لذكري»** فلا يصح أبداً أن نأخذه مأخذ التذكار العادي، لأن الكلمة تعني ما هو أبعد من ذلك بكثير.

حيث كلمة « ذكرى » أنافسيس = αναμνεσις = anamnisis = Recalling في اللغة اليونانية تعني دخولاً حقيقياً واستعادة حقيقية لما تتذكره بدخول حقيقي في كل مقدراته وملابساته. تماما كما حفظ موسى بعضاً من المن في القسط الذهبي ليريه لأبناء إسرائيل. إن هذا ما فعله الرب معهم في القديم فتصير الذكرى ليست مجردة بل تذكر حقيقي بكل مفاعيله.

هذا ولو كان الموضوع لا يتعدى كونه مجرد ذكرى، لما كان الرسول قد غضب من إهمالهم إياها ولما استدعى الأمر الحديث عنها. كذلك لما كان من يأكل بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه كما سنرى.

إنما معنى قول الرب «اصنعوه لذكري» قد وضحه الرسول المبارك فى رسالته إذ قال لهم:

[٢٦] «.. أنه كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ»

وبذلك يقرر أن الافخارستيا هى اخبار حقيقي وتذكار فعلي لموت الرب عنا.

هذا التذكار الفعلي العملي يريد منا الرسول أن يصير متكرراً وممارساً باستمرار في الكنيسة لا من باب التكرار بل من باب التذكار العملي والأخذ الفعلي من الذبيحة اللانهائية التي قدمت مرة واحدة عن حياة العالم. فنحن في الافخارستيا لا نعيد ذبح المسيح أو نكرره إنما نحن نستلهم ونستحضر هذه الذبيحة بقدرة الله الفائقة المعرفة وبصلوات استدعاء الروح القدس لكي يغير الخبز والخمر إلى جسد ودم الرب يسوع.

وبذلك نراه أمام عيوننا مصلوباً دائماً نأخذ من دمه غفراناً لخطايانا ومن شركة جسده وحدانية الكنيسة التي هى جسده السري ونحن بذلك نعلن موت الرب ونخبر به في كل زمان ومكان إذ ونحن نعلن موته عنا على الصليب نجاهر بمحبته لنا. نفتخر بها. وتصير أيضاً ممارستنا لهذا السر شهادة دائمة على عظمة محبة الرب لنا وأيضاً صدق إيماننا به ورجائنا الأكيد في عودته لأنه حي باستمرار يشفع فينا بدمه أمام الآب.

البعض الآن يتحدثون عن تعظيم دم الحمل. ويتشدقون بالحديث عن حماية الدم ووو .. دون ممارسة عملية للأكل من جسد الرب والشرب من دمه .. نريد أن نقول لهم ان كان الموضوع مجرد كلمات فماذا تعني كلمات الرسول بولس؟ وبالأولى، ماذا تعني كلمات الرب يسوع؟ لا مانع أن نعظم دم الحمل بل هو واجب ، ولكن اعلم يا حبيبي ان أعظم تمجيد لدم الحمل تعمله الكنيسة حينما تقيم لك الافخارستيا لتتحد بالرب المصلوب عنك. جيد أن تثق بقوة وحماية الدم ولكن أن تعرض عن التناول منادياً بمنطوق نظري فقط سيكون إيمانك كلاماً وثقتك واهية دون أن تشترك باستحقاق في التناول من جسد الرب ودمه. وهذا هو موضوع الجزء التالي.

٣ - الاستحقاق للتنـاول (*) : (٢٧- ٣٤)

[٢٧- ٢٩] «.. اذاً أي من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب»

بادئ ذي بدء أريد التنبيه على أن الآية (٢٧) في الأصل اليوناني جاءت هكذا: « إذا أي من أكل هذا الخبز وشرب (ليس أو شرب) » لقد حذف الأخوة البروتستانت حرف (و) التي تفيد ملازمة الشرب للأكل ووضعوا بدلاً منها (أو) حتى يخلو السر من هذه الملازمة فلا يصبح سراً. طالما أن الموضوع اختياري أن آكل أو أشرب.

والجزء الذي نعالجه بإرشاد الرب الآن من أخطر الاثباتات لصحة عقيدة الافخارستيا في الكنيسة الرسولية التقليدية. إذ لو كانت الافخارستيا مجرد ذكرى فحسب لما حسب التناول منها بلا استحقاق مجلبة لدينونة أكيدة للنفس. فالرسول يشير إلى عدم تمييز جسد الرب ودمه حتى يوضح لنا نحن أنهما خبزاً وخمراً ليسا عاديين بل بالصلاة والبركة عليهما قد حمّلهما الرب يسوع سر جسده وسر دمه وأصبحا بعد التقديس جسده ودمه الحقيقيين ولو تحت أعراض الخبز والخمر حتى تصير علاقتنا بالله مبنية على أساس من الإيمان وليس العيان.

ولعل ما يؤكد ذلك تحقيق السر وتأسيسه قبل الصليب وفي نفس الوقت يحمل كل بركات الصليب. فالدخول إليه هنا يكرس مفهوم الإيمان. ومعنى ذلك هو أنه إذا كنا نقبل حقيقة أن المسيح له المجد قد استحضر ذبيحة نفسه على يديه قبل موته فهل لا نقبل حقيقة تحويله الخبز إلى جسده الحقيقي والخمر إلى دمه الطاهر؟ الإيمان هو الذي يحسم هذه القضية.

أما عدم الاستحقاق هذا فهو قضية كل انسان يتقدم للمائدة الربانية بلا استعداد فيتناول ولا يشعر بقوة الذبيحة في حياته لذلك أرى لزاماً علينا أن نبحث هذه النقطة بشئ من التفصيل.

أول مفهوم لعدم الاستحقاق، هو التقدم للمائدة بلا إيمان ثابت في حقيقة السر.. لأن عدم الإيمان يغلق أمام الإنسان باب الاستفادة من بركات السر. وهذا يذكرنا بالحية النحاسية التي رفعها

(*) أرجو الرجوع إلى كتاب « لكي لا ندان » للمؤلف.

موسى في البرية فكان كل من نظر إليها وقد لدغته الحيات المحرقة فنظر إليها بإيمان كان ينال الشفاء، ولكن عدم الإيمان يجعله يموت ولا يشفى. لعل ذلك يذكرنا بقول الرب يسوع:

«.. كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرُفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٤)

يجب اذن أن يتقدم الإنسان للتناول بإيمان ثابت راسخ ويقين شديد غالب لكل حروب الشك من قبل إبليس حتى يحسب مستحقاً لجسد الرب ودمه، أما عدم الإيمان أو ضعفه فيدخل بالإنسان إلى متاهة أخرى من عدم الاستحقاق إذ أن عدم إيمانه يجعله – وقد صار جاهلاً لحقيقة وعظمة السر – يستخف ويستهين به وبذلك أيضاً يحسب متجاسراً غير مستحق للتناول وبالتالي لا تثمر فيه الافخارستيا ثمار الحياة الأبدية وجدير بنا هنا أن نشير إلى ما وراء عدم الإيمان والاستخفاف بالسر من كبرياء وتعالي دفين في النفس يرفض به الإنسان **خفض عقله لمستوى تصديق عقيدة لا يصح فيها التعامل بالعقل!!**

المفهوم الثاني لعدم الاستحقاق يعني تقدم الإنسان بلا توبة للأخذ من الجسد والدم الإلهيين وهذا يعرض لخطورة المرض والضعف بل والموت أيضاً بحسب قول الكتاب:

«.. من أجل ذلك فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون» (ع ٣٠)

وهو نفس ما قاله الكتاب عن ذبيحة السلامة رمز الافخارستيا في العهد القديم إذ قال:

«.. أما النفس التي تأكل لحماً من ذبيحة السلامة التي للرب ونجاساتها عليها فتقطع تلك النفس من شعبها» (لا ٧: ٢٠).

لذلك تؤكد الكنيسة على موضوع ممارسة سر التوبة والاعتراف قبل التناول حتى حينما يعترف الإنسان تصير خطاياه ضمن ما حمله المسيح من خطايا على الصليب، وبذلك ينال هو البراءة وينجو من القطع (الضعف أو المرض أو حتى الموت) متى تقدم للتناول.

المفهوم الثالث لعدم الاستحقاق هو المخاصمات والانقسامات وهذا ما عناه الرسول بولس بخصوص أهل كورنثوس إذ كانت فيهم هناك مخاصمات وانقسامات وفي هذا قال رب المجد:

«.. إن قدمت قربانك على المذبح وتذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فأترك قربانك على المذبح واذهب أولاً إصطلح مع أخيك» (مت ٥: ٢٣)

فلا يصح التقدم تجاه المذبح ونحن متخاصمون. وبنظرة إلى الافخارستيا، السر الذي يوحدنا

جميعاً ويخدم وحدتنا واشتراكنا في جسد المسيح الواحد. سنجد أنفسنا ساعين إلى الصلح الدائم حتى لا يصير تناولنا دينونة لأننا في تناولنا نعلن وحدتنا في المسيح. واخبروني كيف تكرس هذه الوحدة ونحن متخاصمون ومنقسمون؟ ألا يحسب هذا تظاهراً وتجاسراً ندان ونلام عليه؟ الله يرحمنا.

لنسع للصلح يا اخوتي أو على الأقل عدم حمل ضغينة في القلب لأحد، وعدم اعثار أحد.. ولنطع قول الرب:

«.. إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه. إن سمع منك فقد ربحت أخاك وان لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار»
(مت ١٨ : ١٥ – ١٧)

على هذه المستويات الثلاثة علينا محاولة الصلح (العتاب الهادي – بحضور شهود – أمام الكنيسة) وإذ لم تجد، فلنتعامل معه كالوثني والعشار أي لا نتعامل ولكن لم يقل الكتاب أبداً أن أكره، وأحقد وأدين.

بعد ذلك يأتي مفهوم رابع لعدم الاستحقاق وهو الاستعداد اللائق بالسر من حيث النقاوة الخارجية كما الداخلية وكرامة الحضور إلى الكنيسة بيت الله والتقدم بهيبة ووقار لجسد الرب.

هذا كله لابد له من جلسة يمتحن الإنسان فيها نفسه.. يختبرها هل هى تسلك في الإيمان (٢كو ١٣ : ٥). هل يستخف بالسر؟ هل هناك خطية لم يقدم عنها ندم وتوبة واعتراف؟ هل يتخاصم مع أحد ويحمل في قلبه ضغينة تجاهه؟ وأخيراً هل يستعد حسناً للسر؟

[٣١، ٣٢] «... لأننا لو حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكي لا ندان مع العالم»

حكمنا على أنفسنا ورؤيتنا لها واصلاحها ينجيان من الدينونة حتى لو كانت النتيجة ان الكنيسة تحكم علينا والرب يؤدبنا برؤية الضعف والمرض فينا نتيجة تهاوننا فالكنيسة ترغب ليس فقط عقاب المتهاونين بل أيضاً ردع واصلاح الباقين حتى لا يدانوا مع العالم الشرير.

[٣٣] «.. إذن يا اخوتي حين تجتمعون للأكل انتظروا بعضكم بعضاً. ان كان أحد يجوع فيأكل في البيت كي لا تجتمعوا للدينونة»

يأمر الرسول بالانتظار في تناول عشاء الأغابي حتى كما قلنا تكرس حياة الشركة والمحبة وأيضاً حتى لا يحرم المتأخرون من بركة الصلوات التي تقال كبداية لاحتفال الافخارستيا – أعني قبل الافخارستيا أي احتفال الأغابي – أما عن الأكل في البيت فالمقصود به حتى لا تجتمعوا للأكل بنهم بل باكتفاء لأن الهدف ليس هو في الشبع بل كنوع من الرمز يشترك المؤمنون في موائد الأغابي لأخذ بركة لا دينونة..

[٣٣] «.. أما الأمور الباقية فعندما أجئ أرتبها»

هذه الأمور هى الممارسات الطقسية بخصوص السر. الأمور التي وصلتنا الآن بالتقليد وهذه الآية شهادة عنه.

✠✠✠

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح الثاني عشر ﴾

المواهب الروحية وحياة الشركة

مقدمة : في هذا الفصل المبارك يجيب الرسول بولس على تساؤل من مؤمني كورنثوس بخصوص المواهب الروحية. وقد تكون هذه التساؤلات حقيقية في رسالة بعثوا بها إليه أو يكون هو باستخدام الحاسة الروحية لديه، بعمل الروح القدس قد رأى أنهم بصدد الانحراف بمفهوم المواهب واستخدامها كنوع من التظاهر، لا بهدف خلاص وبنيان النفوس كما قبلوها منه ومدحهم عليها في الأصحاح الأول (١كو ١ : ٥-٧).

وهو يقسم الحديث هنا إلى ثلاثة أقسام:

١- حقيقة المواهب وبرهانها (١-٣)

٢- مصدر المواهب الروحية (٤-١١)

٣- حياة الشركة :

- وحدانية الجسد (١٢-١٤)
- توافق أعضاء الجسد الواحد (١٥-٢٧)
- الكنيسة جسد المسيح (٢٨-٣٠)

أولاً : حقيقة المواهب وبرهانها : (١-٣)

هنا يوضح معلمنا بولس الرسول حقيقة وجود المواهب الروحية ورغبته الأكيدة في عدم مداراة أي شئ عنهم، حتى يكونوا كاملين في معرفة ربنا يسوع المسيح من ناحية ومن ناحية أخرى يبغي بهذا التأكيد أن يعلمهم كيف يحترمون ويقدرون ويتعاملون حسناً مع المواهب أو مع من تعمل

www.difa3iat.com

فيهم من المؤمنين فيقول:

[١] «... أما من جهة المواهب الروحية أيها الأخوة فلست أريد أن تجهلوا»

ذلك لأنها طالما هى مواهب – هبات مجانية من الروح القدس – فهي متاحة لمن يشاء الروح أن يعطيه وليست قصراً على فئة معينة.

[٢] «.. أنتم تعلمون أنكم كنتم أمما منقادين إلى الأوثان. البكم كما كنت تساقون»

الآن تجترئون وتتحدثون عن المواهب وأنتم من كنتم قبلاً في عبودية الانقياد التام للأوثان التي ان نطقت تحركها الشياطين. ويخدعونكم بحماس روحي كاذب حتى أنكم ظننتم في أنفسكم أنكم متدينون – الآن أنتم في اختبار روحي عال – يقصد المواهب – يقودكم في هدوء إلى خلاص نفوسكم الأمر الذي لم تستطع الأوثان أن تفعله لكم طوال انقيادكم لها.

وهنا يريد الرسول بولس أن يوضح لهم المحك الرئيسي لبرهان وجود المواهب الا وهو وجود الروح القدس في الكنيسة كقائد ومدبر ورئيس يوزع مواهبه ويعطي المؤمنين ماذا يتكلمون وكيف ينطقون عوض الانقياد الأعمى وراء شياطين تحتل أصناماً بكماء:

[٣] «.. لذلك أعرفكم أن ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما وليس أحد يقول يسوع رب إلا بالروح القدس»

والكلمة أناثيما هنا تعني ملعون أو محرو م وكأنه يريد أن يقول لهم لا يستطيع أحد يملك روح الله في داخله – بعد ايمانه ومعموديته – أن يقول بسهولة اللعنة على يسوع أي يجدف عليه. لأن خضوع الإنسان لعمل الروح القدس وارشاده يمنعه من أن يجدف عليه. لأن الروح القدس هو روح المسيح. والمعنى هنا غامض بعض الشئ انما يمكننا اعتبار أن كلمة اللعنة على يسوع تعني كل ما يمكن أن يقال من ألفاظ تحوي في داخلها فكر انكار وتجديف على الرب يسوع.

وعلى الجانب الآخر يقول لهم أن شهادة إيمانهم ونطقهم بألوهية الرب يسوع ليس من ذواتهم بل من روح الله العامل فيهم. الروح هو الذي يعلم ويرشد ويقود وعلى الانسان التسليم والإنقياد التام لتأثير روح الرب فيه. ليعرفه عن يسوع الرب القادر على كل شئ، كلمة الآب الذي على الكل، الذي في ملء الزمان أيضاً أتى إلينا متجسداً منا ليخلصنا من العقاب. لاحظ هنا أن الرسول يقول «يسوع» التي تعني «الله يخلص» أي ان الاعتراف المطلوب هنا هو اعتراف كامل

بألوهية الرب يسوع وأيضاً بحقيقة تجسده. وهذا المحك هو ملخص قانون الإيمان الذي يتلى في كل الكنائس.

الآن نعلم أن المحك الرئيسي لوجود المواهب وبرهانها هو وجود الروح القدس وعمله فينا. وقيادته لنا في كل مواقف الشهادة للرب.

ثانياً : مصدر المواهب الروحية : (٤- ١١)

في هذا الجزء يركز الرسول بولس كلامه في أنه رغم تنوع المواهب - حوالي التسع مواهب - إلا أن المعطى في كل منها هو واحد ، هو الروح القدس ..

[٤- ٦] «.. أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد. أنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد. أنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل»

هذه العبارة تعتبر من الاشارات الواضحة جداً والمبكرة جداً إلى عقيدة الثالوث الأقدس فالروح القدس الواحد يعطي مواهب النعمة مثل الحكمة والمعرفة والإيمان لأنه ..

«.. روح الحكمة والفهم. روح المشورة والقوة. روح المعرفة ومخافة الرب» (اش ١١ : ٢)

والرب يسوع يعطي خدم مثل الشفاء والمعجزات لأنه قام بها في حياته على الأرض باستمرار وكذلك الأعمال مثل تمييز الأرواح والتكلم بألسنة تختص بالله الآب والثلاثة (الآب والابن والروح) . هم في واحد ثابت لا يتغير يعطي النعم المتنوعة لسد احتياجات الكنيسة في كل عصر.

[٧] «.. ولكن لكل واحد يعطي اظهار الروح للمنفعة»

أي أن الله بواسطة هذه الهبات لكل واحد يعطي علامة حضوره وسكناه فينا بواسطة اظهار قوة وفعل الروح القدس الساكن فينا، ذلك بما نعتبره خارقاً لطبيعتنا مثل النبوات والتكلم بألسنة وكلام الحكمة وغيرها.. الأمور التي يستطرد ويؤكد الهدف منه ألا وهو المنفعة الروحية وبنيان المؤمنين.

بعد ذلك يبدأ القديس بولس في بيان هذه المواهب:

[٨ - ١٠] «.. فإن لواحد يعطي بالروح كلام حكم. ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد والآخر ايمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد. ولآخر عمل قوات. ولآخر نبوة ولآخر تمييز أرواح ولآخر أنوا ع ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة»

وسوف نعرف هنا هذه المواهب بتركيز إلى أن يحين الحديث عنها بالتفصيل وعلاقتها بعضها ببعض في الأصحاح الرابع عشر بنعمة الرب.

١ - مواهب مختصة بالروح القدس:

ا - **كلام الحكمة:** هو القدرة على التفسير بعمق ورؤية مقاصد الله واضحة كما يراها هو. وخاصة مقاصده من جهة خلاص الإنسان وبنيانه الروحي.

ب - **كلام علم** : هو استنارة عقل الإنسان واستيعابه لكلام الحكمة وفهمه الصحيح لكلمات الوحي وهذا له علاقة بكلام الحكمة. إذ يقوم بدور المفسر لكلام الحكمة حتى يعرف المؤمنون طريق الخلاص.

جـ- **ايمـــان:** وكلنا نعرف أن الإيمان من ثمر الروح القدس (غلا ٥ : ٢٢) بمعنى أن عمل الروح هنا كموهبة هو نقل الإنسان إلى حالة من الادراك اليقيني بكل ما سمعه وطولب بأن يصدقه. أو بمعنى آخر تصبح الموهبة تشجيع إلهي لإرادة وفكر الإنسان لقبول حقائق الإيمان والمزيد منها بأكثر تصديق وثقة.

٢ - بعد ذلك يأتي الكلام عن المواهب المختصة بربنا يسوع المسيح:

ا - **مواهب شفاء ،** (ب) **عمل قوات:**

وهذه غنية عن التعريف إذ يقول الرب يسوع في مز ١٦)

« .. هذه الآيات تتبع المؤمنين.. يحملون حيات وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون..» (مر ١٦ : ١٧، ١٨)

« اشفوا مرضى طهروا برصاً اقيموا موتى. اخرجوا شياطين مجاناً أخذتم مجاناً اعطوا » (مت ١٠ : ٨)

وهى القوة التي منحها الرب يسوع للرسل، ولبعض المؤمنين ليشفوا كل الأمراض الجسدية ويخرجوا الشياطين ويقيموا الموتى ويجروا عجائب أخرى بالإيمان وقوة الصلاة باسم الرب يسوع[١].

---

(١) عن اختصاص الكهنة والأساقفة بالمواهب ودور المؤمنين فيها . أرجو قراءة « كنيستي » للمؤلف.

www.dfa3iat.com

وقد كانت خاتم الرسولية وبرهانها في ذلك الزمان بين قوم كانوا في حاجة إلى هذه العلامات المادية لإيمانهم كما يقول بولس في (٢كو ١٢ : ١٢)

«.. إن علامات الرسول عملت بينكم في كل صبر بآيات وعجائب وقوات»

لم تختفِ من الكنيسة حتى الآن. فمازلنا نسمع عن قديسين في حياتهم تظهر هذه المواهب وينال المؤمنون بركتها. والأهم من ذلك موهبة شفاء النفوس المريضة بالخطية ذلك بسر الاعتراف في الكنيسة وكذلك مداواتها واحيائها بقوة جسد الرب ودمه. كما يقول أحد الآباء المعاصرين:

المسيح هو أعظم طبيب والكنيسة بأسرارها هى أعظم مستشفى والكتاب المقدس هو أعظم صيدلية إذ تظهر مواعيد الله التي بالثقة فيها ننال الشفاء. ذلك بواسطة خدام اللاهوت كهنة الرب.

جـ - النبـــوات :

وهذه النبوات تظهر في التنبـؤ بحوادث المستقبل، مثلما أخبر النبي أغابيوس وأشار بالروح القدس عن الجوع العتيد أن يكون على المسكونة وقد صار فعلا (أنظر أع ١١ : ٢٨).

كذلك في كشف غموض بعض معاني الأسفار المقدسة وكذا خفايا القلوب وهذا واضح من الحديث عنها في (١كو ١٤ : ٢٥)

«.. ان كان الجميع يتنبأون فدخل أحد غير مؤمن أو عامي فإنه يوبخ من الجميع.. يحكم عليه من الجميع وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة وهكذا يخر على وجهه ويسجد لله مناديًا أن الله بالحقيقة فيكم»

٣- مواهب خاصة بالله الآب :

ا - تمييز أرواح : وقد كان لابد من وجود هذه الموهبة كضابط ومرشد لموهبة النبوة للتمييز بين التنبـؤ الحقيقي والانفعال البشري أو الشيطاني وهي ما قيل عنها:

[٢٩] «.. أما الأنبياء فليتكلم اثنان أو ثلاثة وليحكم - يميز - الآخرون»

ب - التكلم بألسنة : وهذه الموهبة كانت ضربًا من الهيام الروحي، وانخطاف الذهن في أوقات الصلاة والتسبيح إلى حد النطق بلغة لا يفهمها إلا من وهب موهبة ترجمة الألسنة. وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل أثناء دراستنا في الأصحاح الرابع عشر بإذن الله.

جـ- ترجمة الألسنة : وهى المختصة بجعل موهبة التكلم بألسنة نافعة لمجموع المستمعين من المؤمنين. إذ يعطي المترجم القدرة على ترجمة الصلوات والأغاني الروحية من لغة الروح التي يهيم بها من يتكلم بلسان إلى لغة بشرية مفهومة تفيد الكل.

عموماً التكلم بألسنة وترجمتها أمور اختفت من الكنيسة تماماً، وهى من أعقد الأمور في معالجتها بسبب الغموض التي يكتنفها. هكذا يقول القديس يوحنا ذهبي الفم.

يعود بعد ذلك ويكرر الرسول في تأكيد بالغ إلى المحك الرئيسي في موضوع المواهب، أقصد قيام الروح القدس بقيادة الكنيسة وتدبير الخدمة فيها حسب مايرى هو!

[١١] «.. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء»

والتقسيم هنا لا يعني أبداً محاباةً لأحد، وظلماً لآخر. إنما ينفي ذلك تماماً كون الموهبة موهبة خلاص النفوس وبنيان الكنيسة بحسب احتياج كل من اعضائها، الاحتياج الذي لا يعرفه أحد مثلما يعرفه الروح القدس.

واستعمال عبارة « كما يشاء » توضح لنا أن الروح القدس ليس مجرد قوة إلهية. ولكن أقنوم إلهي. ذلك لأن الإرادة هى أهم خصائص الشخصية الأقنومية. والمعنى أن الروح القدس له مشيئة وارادة وهو يوزع المواهب بحسب هذه المشيئة بصفتة ذات عاملة وليس مجرد قوة للعمل. وهذا دليل أيضاً على سلطان الروح القدس وألوهيته [واهب القداسة بمسرة وسلطة للذين أحبهم وليس كالخادم] (١).

والسلطة هنا لا تعني كما قلنا التفريق والمحاباة بل تعني مقدرته الذاتية. أما قبول الموهبة من عدمه فهو أمر يتوقف على ارادة الإنسان نفسه. لأن الروح القدس لا يعمل في انسان لا يرغب له أن يعمل. كما أن تحقق المنفعة من الموهبة يتوقف على حسن استخدامها فإذا أسيء استعمالها لم تعد تحقق الغرض منها.

---

(١) سر حلول الروح القدس في القداس الكيرلسي.

ثالثاً : المواهب الروحيـة وحياة الشركـة : (١٢- ٣٠)

١ - وحدانية الجسد (١٢- ١٤)

بالحقيقة يعد ما كتبه بولس الرسول هنا أبدع ما كتب بخصوص شركة المؤمنين بعضهم مع بعض في جسد واحد هو جسد الرب يسوع الذي هو الكنيسة المقدسة.

«..كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد.. لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥ : ٢٣، ٣٠)

وهنا يشير إلى أهمية المواهب من جهة بنيان هذا الجسد الواحد وتنوعها بهدف تكامل وظائف أعضائه مبيناً في المقام الأول أن المواهب هى عطايا مجانية لا يشترط أبداً توافرها للكل بل كما يعطي الروح للمنفعة. وهو هنا ينفي إفتخار الأعضاء واحتقار الأصغر فيها وكذلك يعطي الكرامة والرجاء للأعضاء الظاهرة بلا كرامة. ذلك طالما المعطي هو نعمة الرب.

والجميل أيضاً في هذا الجزء، أنه لا يقول: أفراد الجسد الواحد. بل أعضاء الجسد الواحد. وهنا حقيقة رائعة لأن الفرد منعزل بذاته مكتفياً بقدراته وملكاته. أما العضو فهو فرد عامل باشتراكه في مجموعة أعضاء تعمل معاً كل في عمله، لتكميل بنيان الجسد الواحد كما سنرى..

[١٢، ١٣] **«.. لأنه كما أن الجسد واحد وله أعضاء كثيرة. وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً إعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً. وجميعاً سقينا روحاً واحداً»** (أنظر أف ٥ : ٣٠)

هكذا ينظر الله إلى الكنيسة، انها جسد المسيح الواحد والرب يسوع نفسه رأس لهذا الجسد (حسب أف ٥ : ٣٠) ولكن ليس كمثل باقي الأعضاء بل يقصد الرسول رياسة للجسد بمعنى أنه أصل الحياة ومعطيها القائد للجسد كله الواجب له الخضوع من قبل كل أعضاء الجسد.

ويشير الرسول بولس إلى البداية المحيية التي اشتركنا فيها جميعاً. أعني المعمودية الواحدة التي فيها إلى جوار خلاصنا وانعتاقنا من العبودية والموت، نصير أيضاً من تلاميذ المسيح وشركاء في جسده يوحد بيننا الروح القدس الواحد الذي نُعطاه جميعاً ويسميه الآباء روح الشركة. ومن هنا يأتي معنى اعتمادنا إلى جسد واحد. أي انضمامنا إلى الكنيسة وانتمائنا لها وخضوعنا لرأسها الرب يسوع. وفي هذا الجسد الواحد ينبغي أن تذوب كل الفوارق.. سواء فوارق الجنس أو العنصر أو القوميات المتعددة ذلك لأن الموحد هو الروح القدس. من هنا جاءت تسمية الكنيسة بالجامعة أي

التي تحوي داخلها كجسد عناصر كثيرة متميزة في شخصياتها.. وقومياتها وأحوالها الاجتماعية ولكن غرقت كلها في وحدة أكبر وأشمل من وحدتها في كونها بشرية. إلى وحدة سماوية بالروح القدس اسمها جسد المسيح. تماماً مثلما يجمع الصياد سمكاً كثيراً من كل نوع وجنس وحجم في شبكة واحدة..

«.. يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل نوع » (مت ١٣ : ٤٧)

«.. فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثة وخمسين ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة » (يو ٢١ : ١١)

وهنا أيضاً يختفي الافتخار بالنسب والعنصر والجنس..

«.. ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر ليس ذكر وانثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غلا ٣ : ٢٨)

أما من يميز الآن ويتفاخر ويتعالى على اخوته في الجسد راغباً في أن تميزه الكنيسة عن غيره هو في الحقيقة يخطئ خطية عظيمة في حق الروح القدس. روح الوحدة، ليت الكنيسة كلها تفهم هذا الكلام لنعيش جميعاً في وحدة واحدة نكمل كل منا الآخر وصولاً لبنيان كامل لجسد المسيح الذي لبسناه في المعمودية (غلا ٣ : ٢٧) وراحة لروح الوحدة الذي سقيناه جميعاً أيضاً في المعمودية.

وهناك معنى آخر لحياة الشركة أو قل مبدأ آخر لها يقرره بولس الرسول استناداً على حقيقة اشتراكنا جميعاً في الخبز الواحد الذي هو جسد الرب يسوع ..

«.. فإننا نحن الكثيرون خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد» (١كو ١٠ : ١٧)

فإن كانت معموديتنا الواحدة هى التي تطعمنا في الجسد الواحد وتجمعنا معه تكون الإفخارستيا هى التي تحفظ فيها هذه الشركة والوحدانية مهما باعدت الأقطار والمسافات والأزمنة بين مؤمني كنيسة العلي. ستجمعها الافخارستيا بحكم كونها ذبيحة حية ممتدة لا نهائية في عملها. ويكون الروح القدس مشتركاً في كل التدبير بكونه روح الوحدة.

ب – توافق أعضاء الجسد الواحد: (١٥ – ٢٧)

قياساً على الجسد البشري يوضح الرسول عمل الأعضاء المختلفة وتعاونها بهدف حياة الجسد وهدوئه فيقيس اعتفاء بعض المؤمنين عن الاشتراك في العمل في الجسد الواحد – بأي عرض ودافع – يقيسه على اعتذار الأذن أو العين عن العمل لكون الأذن ليست عينا وكذا العين ليست أذناً. موضحاً أن هذا الاعتفاء لا ينفي أبداً وحدة الجسد لأن الوحدة قائمة أساساً على عمل روح الله الواحد الذي يستخدم الأفراد ويجعل منهم أعضاء عاملة. أما من رضى وقنع بأن يبقى فرداً خاملاً إلا عندما يأخذ فرصة أكثر شهرة وكرامة ليست من حقه، فهذا يبقى وحيداً منفرداً. أما وحدة الجسد فستظل حتى وان كان في ذلك أثره المحزن في نفوس باقي الأعضاء . ليكتفي كل عضو بما قسم له الله من هبات ومواهب. عالماً أن تنوع هذه المواهب هو الذي يخدم الوحدانية في ذلك التوافق الهادئ العجيب الذي يقوده الروح القدس.

[١٧] « .. لو كان كل الجسد عين فأين السمع. لو كان الكل سمعاً فأين الشم»

كل عضو من أعضاء الجسد في احتياج للآخر. أو بالأحرى الجسد في احتياج لكل عضو فيه مهما كانت وظيفته. هكذا الكنيسة يا أحبائي في احتياج لكل نفس فيها الكبير والصغير الكاهن والشماس.. الرجل والمرأة.. كل له دوره يكمل وحدة الجسد.

[١٨] « .. أما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها في الجسد كما أراد »

وبطريقة طريفة جداً يقول لهم:

[١٩ ، ٢٠] « .. لو كانت جميعها عضواً واحداً فأين الجسد؟ فالآن أعضاء كثيرة ولكن جسد واحد »

وهنا نذكر أصرار الكنيسة في كل ليتورجياتها أن تكون جماعية حتى تتبلور فينا وأمامنا مفاهيم الوحدة ، ففي القداس الإلهي لا معنى لوجود الكاهن المصلي فقط! بل تشترط الكنيسة لقيام الليتورجيا حضور ثلاثة أشخاص على الأقل (الكاهن – الشماس – الشعب) حتى تكتمل الوحدة.

بعد أن عالج الرسول مرض الطمع في كسب كل الوظائف لعضو واحد، الآن يقرر أن كل عضو في احتياج دائم وملح للعضو الآخر. بل ينفي تماماً امكانية استغناء العين عن اليد أو الرأس عن الرجلين (٢١)، حتى يشعر كل عضو من أعضاء الكنيسة أنه في احتياج للآخر يكمل به وحدته ولعل هذا كان في فكر الله حينما أوصى بمحبة الله والقريب.

[٢١] « .. لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لي إليك أو الرأس أيضاً للرجلين لا حاجة لي إليكما »

والآن إذا قلنا أن الرأس تعني القيادات في الكنيسة سواء قيادات الكهنوت أو قيادات الخدمة فتقدير الآخر أيضاً واجب. لا يصح أبداً لهذه القيادات أن تحتقر باقي الأعضاء لأن القائد مهما كانت مهارته وذكاؤه لا يقدر أن يفعل شيئاً بدون جنود صغار توفرت فيهم الطاعة والخضوع وعرف كل منهم عمله..

[٢٢- ٢٤] «.. بل بالأولى أعضاء الجسد التي تظهر أضعف هى ضرورية وأعضاء الجسد التي تحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل. والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل أما الجميلة فينا فليس لها احتياج. لكن الله مزج الجسد معطياً الناقص كرامة أفضل»

ما نظنه نحن أنها أضعف - من وجهة نظرنا - هى في الحقيقة ضرورية جداً لقيام الجسد هذا عن *سلوك الأعضاء* تجاه بعضهم. عيب كبير أن نهمل ما نراه ضعيفاً فينا بحسب الظاهر ونتناسى أنه عضو معنا في الجسد الواحد وبالضرورة الله قد أعطاه قوة ما يعمل بها حتى ولو لم نر نحن. وهذا يفسر لنا مدارس القداسة التي ظهر ولمعت في الكنيسة وقد كانوا في حياتهم أناس ضعفاء وبسطاء قيل عنهم في تسرع وتهور أنهم مخبولين (امثال القديسة الهبيلة - والقديس يسطس الأنطوني).. أما عن احساس الأعضاء تجاه نفسها فقد يحسب عضو منا أنه بلا كرامة - أي تصغر نفسه إما بسبب حروب الشياطين التي أوهمته وأقنعته أنه بلا أهمية أو بسبب احتقار الآخرين له. عن هذا الذي يحسب نفسه بلا كرامة يوصينا الرب أن نعطيه كرامةً أفضل، أي نمدحه ونخرجه بالرجاء من فخ صغر النفس هذا ونظهر له احتياج الجسد كله لوجوده ولعمله مهما كان صغيراً.

وفي رأيي، أن الرسول يقصد هنا كيف صنع الله نفسه بالجسد. إذا أعطى الأعضاء التناسلية - وهى ما يظنها البعض أنها بلا كرامة ويحتقرها - أعطاها الكرامة أن تكون الأداة التي يشترك بها الإنسان في الخلق مع الله..! وهذه هى كرامتها.

بل وأكثر من ذلك فلأجل كرامة الأعضاء القبيحة فينا يفلسف لنا الرسول موضوع الجمال الأفضل. ولعله يقصد تغطيتها بالملابس، ليس فقط بقصد ستر عورتها بل أيضاً لأجل كرامتها لأنه على كل مجد غطاء (اش ٤ : ٥)وأما الجميلة فينا مثل الوجه أو اليدين ليست لها احتياج لهذا الغطاء والستر.

وهكذا يعمل الله معنا معطياً الناقص فينا كرامة حتى لا نحتقر بعضنا البعض وأيضاً لاتصغر نفس أحدٍ فينا ظاناً في نفسه أنه بلا كرامة!

ذلك بهدف واحد هو:

[٢٥] «.. لكي لا يكون انشقاق في الجسد بل تهتم كل الأعضاء اهتماماً واحداً بعضها لبعض»

كي ينقلنا إلى عنصر إيجابي هام جداً وهو محبة الأعضاء بعضهم لبعض. وذلك هو الاهتمام الواحد. محبتنا بعضنا لبعض حتى نتبلور في النهاية محبتنا كجسد واحد لله. هذه المحبة تظهر في:

[٢٦، ٢٧] «.. ان كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه وان كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه أما أنتم فجسد المسيح وأعضاءه أفراداً»

هذه الآية التي استعارها كثير من الهيئات العالمية والتنظيمات الاجتماعية لبيان أهمية المحبة والتعاون المشترك تألماً مع من يتألم وفرحاً مع من سينال حظوة وكرامة

«.. فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين» (رو ١٢ : ١٥)

حتى لو قسنا هذه الحقيقة على الجسد الإنساني سنجدها قائمة أيضاً.. متى تألمت اليد أو العين أو غيرهما فالجسد كله يئن ويمرض ويطلب الشفاء. ومتى شفي العضو المريض تفرح معه كافة الأعضاء. لكي يعلمنا الرسول أننا فعلاً **مخلوقين على صورة الله ونحن موضوع محبته** إذ وضع فينا صورة مصغرة – كجسد – لجسده السري الذي هو الكنيسة. يقودنا فيه الروح القدس ملهماً لأرواحنا بطاعة وخضوع العقل والإرادة وبذا يكتمل كيان الإنسان كثالوث مصغر تظهر فيه صفات الله بصورة نسبية.

جـ- الكنيسة جسد المسيح : (٢٨- ٣٠)

[٢٨] «.. فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء. أعواناً تدابير وأنواع ألسنة»

والآن يتجه الرسول بكل قوته ليقرر حقيقة المواهب وأهمية تنوعها على مقياس ملء جسد المسيح الذي هو الكنيسة محدداً الوظائف التي أعطاها الله لنا كمواهب وعطايا منه لقيادة ولسير الجسد في رحلة تغربه على الأرض. تحفظه الوحدانية من كل ضلال ويصونه الروح القدس من

كل انحراف بل هو كجسد خاضع للمسيح كرأس يدرس ويبتلع كل المحاولات التي تهدف هدم وحدانيته واهدار كرامته.

وهو لا ينس هنا أن يوضح الدور البشري في الكنيسة. ممثلاً في رتب الكهنوت من شمامسة وقسوس وأساقفة.

فالله وضعهم وأقامهم في الكنيسة لخدمة بنيان جسده الذي هم أعضاء فيه..

«.. وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياءً والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح» (أف ٤ : ١١، ١٢)

هذا التنوع العجيب في أعمال الخدمة في الكنيسة يلغي ما ابتدعته البروتستانتية من بدع مختصة بتعميم الكهنوت على كل المؤمنين، وبذلك ألغوا سلطة الكهنوت الرعوية. وكذلك سيامة النساء في رتب كهنوت – قسوس وأساقفة – ليست من اللائق لهن إلى آخر ما نسمعه وسوف تحمله لنا الأيام...

أما الكنيسة في نظر الله فهي ذلك المجتمع السمائي الأصل، والذي بسبب وجوده وغربته في العالم استلم من الله تدبير الرعاية والقيادة والخدمة في هدوء ليضمن لتابعيه العودة سالمين إلى وطنهم في السماء . هذا الذي يشمل رسلاً .. أنبياء .. معلمين .. قوات .. مواهب شفاء.. أعوانًا.. تدابير .. أنواع ألسنة وترجمتها وهو كل ما يحتاجه الجسد عبر غربته في هذا الزمان. الرسل بشروا بالانجيل للخليقة كلها وإلى كل المسكونة خرج منطقهم ولم ينته القرن الأول الا وكان العالم كله قد عرف المسيحية حتى سمى ذلك العصر بعصر الرسل أو العصر الرسولي. وقد أيد الرب خدمتهم بمواهب النبوة والتعليم والقوات وأعمال الشفاء والألسنة وترجمتها. وحتى الأعمال الاجتماعية الخيرية – أعوانًا – المقصود بها معونة ومساعدة الآخرين استلمتها الكنيسة من المسيح. كذلك نعمة تدبير شئون المؤمنين. كلها أعطاها المسيح للكنيسة حتى لا تحتاج لحكمة بشرية أو معونة عالمية.

بعد ذلك يعود الرسول ويذكرنا بما قالته الأذن والعين فيقول:

[٢٩، ٣٠] «.. ألعل الجميع رسلاً العل الجميع أنبياء العل الجميع معلمون. العل الجميع أصحاب قوات. العل للجميع مواهب شفاء. العل الجميع يتكلمون بألسنة. العل الجميع يترجمون» ؟

حتى يرينا أن الكنيسة كجسد واحد قامت بالفعل وستستمر على تنوع المواهب فيها وخضوع الأعضاء كلها للروح الواحد المعطي المواهب. مثل التكلم بألسنة وترجمتها – فالله يعطي للكنيسة احتياجها كل يوم وكل عصر. عسانا جميعاً نخضع ونوحد قلوبنا لاستقبال مواهبه لأن المحبة هذه لله ولبعضنا البعض هى التي تضمن للكنيسة أن ينظر لها الله ويتغاضى عن عدم أمانتنا كأبناء لها ويعطينا هباته المجانية. لذلك ليس اعتباطاً ، قال الروح:

[٣١] «... جدوا للمواهب الحسنى. وأيضاً أريكم طريقاً أفضل»

و « جدوا » هنا لا تعني طلبها بالحاح بل التشوق إليها مع التسليم الكامل بأنها نعمة تعطى للإنسان بحسب ما يشاء الروح – أما المحبة فهي الشئ الباقي وحسناً سماها الرسول الطريق الأفضل. وهذا هو موضوع الفصل القادم بنعمة الرب.

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح الثالث عشر ﴾

أنشـــودة المحبـــة الخالـــدة

مقدمة : من الجميل حقـاً أن معلمنا بولس الرسول حينما يتكلم عن المحبة يقول أنها الطريق الأفضل كما رأينا في الأصحاح السابق **«جدوا للمواهب الحسنى وأيضاً أريكم طريقاً أفضل»** (١كو ١٢ : ٣١) وحسناً سماها هكذا لعظمة المحبة ومكانتها المتصدرة لكل الفضائل التي يدعى الإنسان الروحي لممارستها كتعبير عن ايمانه وعقيدته. فالمحبة هى الفضيلة التي بدونها لا تقوم أي فضيلة وعندما يتكلم عنها الآباء يشعرون أنهم متجاسرون إذ يتحدثوا أو يكتبوا عن الله ذاته، لأن «الله محبه» فمن هو الإنسان الضعيف حتى يدرك كنه ذات الله وحقيقة جوهره.. ولكن هذا ما وفره علينا الهنا المحب لما وضح لنا محبته جلية فوق الصليب **«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له حيـاة أبديـة»**
(يو ٣ : ١٦)

ولا ينسى الآباء في حديثهم عن المحبة أن يتحدثوا عن الاتضاع.. ذلك لأن المحبة الحقيقية هى التي تنسى ذاتها وتتضع وتطلب ما هو للآخرين أولاً. باذلة حتى النهاية. ومن هنا جاء كلام رب المجد **«ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه»** (يو ١٥ : ١٣) كلمة يضع هنا تعنى أن كمال المحبة هو في كمال الاتضاع وأن المحبة متى خلت من فعل الاتضاع والبذل حتى النهاية ستصبح بلا شك أمراً آخراً غير أن تكون محبة!.

والرسول بولس يحدثنا في هذا الأصحاح عن ثلاث نقاط رئيسية:

١- أهمية وضرورة المحبة (١- ٣)

٢- صفات المحبة الحقيقية (٤- ٧)

٣- ثبات المحبة أبداً (٨- ١٣)

أولاً : أهمية وضرورة المحبة : (١- ٣)

قد يظن انسان ممن يعيشون في الكنيسة ويشتركوا في صلواتها وتسبيحاتها سواء بالترنيم أو بالصلاة «السنة الناس والملائكة»، أو حتى ممن نالوا بعض المواهب الروحية، قد يظن أنه قد أكمل جهاده وعلامة ذلك السنة الناس والملائكة التي يخاطب ويسبح بها الله ولكن في حقيقة الأمر كما يعلمنا الرسول أن هذا العمل خلواً من المحبة يجعل الإنسان مثل اناء أجوف لا يسمع له إلا رنين:

[١] «... إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن»

أي يكون لي شكل خارجي فقط وكل كلماتي تخرج بلا قوة ولا تأثير يدوم بل هى قصيرة المدى وعديمة التأثير في النفوس بل ومعدومة الرجاء أمام الله الذي أوصاني بالمحبة وقال «تحب الرب الهك.. تحب قريبك كنفسك». وهذا ما نراه واضحاً في أيامنا هذه إذ تمتلئ الكنيسة بالمصلين والمسبحين والكل له شكل العبادة والترنيم والتسبيح ولكن كم منا يحيا المحبة الكاملة التي تتفق وقلب الله من حب وطول اناة وترفق واحتمال كما سنرى عند الحديث عن صفات المحبة؟! والأغرب من هذا أن البعض منا قد ينفتح بالأكثر على بعض المواهب الروحية الأخرى ولكن متى خلت من المحبة هى أيضاً يصبح كل عمل الإنسان كلا شئ.

[٢] «.. إن كان لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم وإن كان لي الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً»

عجيب حقاً هذا الكلام. كيف يكون لي الإيمان حتى أنقل الجبال ثم أصبح لاشئ بخلوي من المحبة. هذه هى أهمية المحبة لأن الإيمان يجب أن يكون عاملاً بالمحبة كقول الرسول في (غلا ٥: ٦).

« لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة»

" .. faith expressing itself through love" (N.I.V.)

والرسول بولس هنا يريد أن يركز ضمنياً على عدم جواز الجمع بين هذه المواهب وبين فقدان المحبة. لأن هذه المواهب كعمل إلهي لا يتوفر إلا لمن استطاع أن يحب الله والقريب وإلا سيصبح كل عمله لاشئ. أو هو درب من أعمال الجسد أو حتى خداع الشياطين! ومن جهة أخرى يريد القول أن فتور المحبة أو ضعفها نهائياً يهدد الإنسان بفقد كل ما أحرزه من تقدم روحي حتى لو إلى حد التنبوء والعلم والإيمان الذي ينقل الجبال.

ثم يكمل بولس العظيم ويقرر شيئاً خطيرا جداً فيقول:

[٣] «.. ان أطعمت كل أموالي وان سلمت جسدي حتى أحترق ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً»

والخطير هنا أن ما يتحدث عنه الرسول يعتبر من أعمال البذل المفروض توافرها في المحبة. فالانفاق من المال على المحتاجين وأعمال الخدمة الجسدية من تعب واحتمال مشقات وأسفار وسهر لأجل الآخرين هى في الحقيقة أعمال تبلور عنصر المحبة، وجوده من عدمه، وهنا يعلمنا الروح.. أن الإنسان يستطيع القيام بكل هذه الأعمال كاملة ولكن بدافع **منحرف عن الدافع الحقيقي وأيضاً بهدف زائف تماماً لا يتفق مع الهدف الحقيقي**. وهنا تكمن الخطورة ، إذ تحل الدوافع والأهداف المنحرفة محل الحقيقية ويصبح الإنسان كمن يتاجر برأس مال وهمي حيث لا رصيد من روحيات أو أساس روحي يضمن للإنسان سلامة التدين واستقامة الفضيلة ونهاية ممجّده للسعي.

فنحن نعلم أن كل حياة وسعي وجهاد الإنسان هدفه الوصول إلى محبة الله وارضائه والدافع إليه أيضاً هو الرغبة الصادقة في تسليم الله الكيان كله في محبة حقيقية. ولكن متى حلّت الذات محل الله وجاءت الرغبات الجسدية والأرضية لتطرد الآمال السماوية. وقتها سيضيع كل شئ ويصبح كل هم الإنسان أن يمجد ذاته وينال مدحاً كاذباً لها. الأمر الذي يجعله لا ينتفع شيئاً حسب قول الكتاب إذ يستوفى الإنسان أجره على الأرض ويخسر السماء بمنتهى السهولة أما ذاته فلن تشبع طويلا مما اختارته لنفسها لأن عطايا العالم والمادة والذات والجسد ناقصة بطبيعتها!

لذلك كان لابد من الحديث عن صفات المحبة الحقيقية حتى يتسنى للإنسان أن يُقَوِّم طريقه ويصلح سيرته الروحية خوفاً مما حذرنا منه الرسول بولس. خوفاً من أن أكون نحاساً أو صنجاً يطن. أو لا أنتفع شيئاً وفي هذا كل الخسارة.

وهنا لابد لي أن أذكر كيف جاهد رسول الأمم بولس في سعي المحبة هذا فاستحق الأكاليل وقال عن ثقة ويقين لتلميذه تيموثاوس:

«.. فإني أنا الآن أسكب سكيباً ووقت انحلالي (موتي) قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن. أكملت السعي حفظت الإيمان. وأخيراً قد وضع لي أكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » (٢تى ٤ : ٦- ٨)

ثانياً : صفات المحبة الحقيقية : (٤- ٧)

١- المحبة تتأنى وترفق: وهذه من صفات الله العجيبة وليس غريباً لأن الله محبه كما رأينا. الله يتأنى ويرفق بنا ومن منا لم ينل حظه من هذا التأني والترفق العجيب المفعم به قلب الله تجاه البشر؟ ولنا وصية الله الجديدة ..

«.. وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا» (يو ١٣ : ٣٤)

يوصينا بالتأني بعضنا على بعض والترفق بعضنا ببعض. ان لا يحاكم بعضنا الآخر بلا احتمال وبدون اعطائه الفرصة كاملة للدفاع عن نفسه. وهذا التأني يأخذ أيضاً صورة الهدوء والسكوت والصبر وطول الأناة التي لا تيأس من اصلاح أحد مثلما لم ييأس الله وهو كليُّ المجد من اصلاح وخلاص البشرية وقد كانت كلها في الضعف.

هذا والتأني والترفق هما في حقيقتهما وجهان لعملة واحدة اسمها طول الأناة . التأني هو الهدوء والسكوت والصبر وانتظار حدوث الأمور الإيجابية في علاقة القريب بي ، أما الترفق فهو السلوك والمعاملة الهادئة المبنية على التأني الذي سبق تقريره في قلبي وذهني. **فالأولى** طول أناة في الفكر والضمير. **والثانية** طول أناة في السلوك والعمل وأسلوب التخاطب.

٢- المحبة لا تحسد : والحسد لغوياً يعني الحقد على الآخرين بسبب نعمة نالوها.. وطلبها لذاتي. ثم تمني لو تزول منهم إذا أنا لم أتمكن من الحصول عليها. وقد يتطور الحسد إلى اضطهاد عنيف مني للآخرين سببه عدم كمال قلبي أمام الله. وخطورة هذه الخطية أن ابليس يحركها بكل قوته. **ذلك لأن قلبه قد امتلأ بالحقد والحسد مقابل قلب الله الذي امتلأ بالحب والعطاء تجاه البشر.** فعدو كل خير وصلاح هو الحاسد الأول في تاريخ البشر بل في تاريخ الكون

إذ أنه حسد الإنسان على نعمة الله الفائضة عليه وأسقطه بغواية وأدخل عليه حكم الموت [يا الله العظيم الأبدي الذي جبل الإنسان على غير فساد والموت الذي دخل إلى العالم بحسد ابليس هدمته] صلاة الصلح في القداس الباسيلي، وهذا ليس بغريب عليه فمن قبل امتلأ بالكبرياء والحقد حينما قال في قلبه أصير مثل الله وأرفع كرسيّ فوق كرسيه. فقلبه خلى تماماً من كل محبة فهو لا يستطيع أن يحب. لأنه لا يتمنى للإنسان أي شئ صالح بل يريد ضرره في كل وقت. أما المحبة التي أحبنا بها الله فهي قوية جداً إلى حد الموت بل أقوى من الموت ، محبة تتمنى للإنسان أن ينطلق من الأرض ليعاين السماء شريكاً في طبيعة الله. محبة لا تتأخر أن تعطي للإنسان كل شئ بلا حدود.

وهي نفس المحبة التي يريدها الله منا.. أن لا نحسد .. ***لنتمنى باستمرار الخير لغيرنا.. ولا تصغر قلوبنا في غيرة مُرة متى رأيناهم في حال أفضل منا***. وهذا يتأتى بمراقبة الإنسان نفسه ودوافعه وشعوره على الدوام حتى لا يكون شريكاً لإبليس في حسد البشر.

٣- **المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ** : وهذا سبق الحديث عنه في علاقة المحبة بالإتضاع كما قلنا ان كمال المحبة هو في كمال الاتضاع وهنا نرفع أذهاننا إلى السيد المسيح الخادم المحب الذي انحنى واتضع ليغسل أقدام تلاميذه.. جبلة يديه ويوصيهم قائلاً « **فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً**» (يو ١٣ : ١٤، ١٥) أي أحبوا بعضكم بعضاً في اتضاع كما رأيتم مني وكما علمتكم هذا عملياً إذ تركت لكم مثالاً تتبعوا خطواتي..!!

هذا وطبيعة العلاقات توضح أن الناس ينفرون تماماً من الشخص المفتخر والمنتفخ أما المتضع فهو محبوب من الجميع لما يلمسونه من محبة كاملة في قلبه.

٤- **المحبة لا تُقبِّح** : فالشخص المحب متى اضطر إلى التوبيخ ففي هدوء وبألفاظ مهذبة لا يجرح أبداً مشاعر أحد بكلام سفيه يحد به من شأنه. أي أنه انسان له من الحساسية ما يجعله يحترم الآخرين حتى لو أخطأوا ولا يتسرع لسانه ويسبهم.. وهنا نتذكر كلام رب المجد ..

«.. من قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجباً نار جهنم..» (مت ٥ : ٢٢)

وكلمة رقا هنا تعني أقل كلمة احتقار يمكن أن تقال للآخر!!

المحبة الحقيقية تعلم تماماً كلام الكتاب «**.. باركوا ولا تلعنوا**» (رو ١٢ : ١٤).. نعلم تماماً

كيف يكون كلامنا مُصلَح بملح الروح القدس في هدوء وبلا قبح.

« ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد» (كو ٤ : ٦)

٥- المحبة لا تطلب ما لنفسها : فالمحب هو الذي يقول الآخرين أولاً ثم نفسي؛ أما الأنانية فلا تتفق مع روحيات انسان يريد الحياة مع الله في رضاه.

«.. لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً» (فى ٢ :٤)

وما أجمل التأثير الحلو الذي يتركه في نفس الإنسان سعيه لإعطاء السعادة في عيون الآخرين. وعلى حد تعبير أحد الفضلاء [أن المجد هو أن تكون نافعاً] فالمجد والعظمة الحقيقية هى في مدى استعداد الإنسان لحياة البذل لأجل الآخرين بلا غرض خفي يهمه في سعيه وبلا هدف جانبي يقود حركاته. بل متعلماً من المسيح الذي مات لأجل الآخرين وتعب لأجل الخطاة.. وعندما هم الجند بالقبض عليه في البستان.. قال لهم:

«.. إن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون» (يو ١٨ : ٨)

وقد كان يقصد تلاميذه! فالمسيح يا أحبائي ليس فقط لم يطلب ما لنفسه لأجلنا. بل تنازل بحريته عما يمتلكه من مجد لأجلنا! وعندما استرده بصعوده استرده لأجلنا ولحسابنا أيضاً! (انظر يو ١٢ : ٢٨- ٣٠)

لنتعلم منه التعب لإراحة الآخرين. والخدمة والبذل لخلاص الآخرين. وفي هذا يعطينا معلمنا بولس الرسول نفسه مثلاً عجيباً إذ قال عن شعب إسرائيل:

«.. كنت أود أن أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل اخوتي أنسبائي حسب الجسد» (رو ٩ : ٣)

ولنا مثل عجيب حقاً في محبة موسى النبي لشعبه إذ وقف أمام الله في دالة عجيبة يحامي عن شعبه ويقول لله:

«.. الآن ان غفرت خطيتهم. وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت» (خر ٣٢ : ١٢)

من منا يستطيع اليوم أن يتجاسر ويقف أمام الله ويقول:

[أنا مستعد يارب ان أفقد خلاصي وأبديتي من أجل خلاص وأبدية أخي] ؟

صدقوني متى قالها انسان منا... من عمق قلبه ... فإني أتجاسر وأقول لقد صار قلبه قلب الله لأن المحبة تجعل القلب أوسع من السماء (القديس اسحق السرياني).

٦- **المحبة لا تحتـــد** : والاحتداد هو ثورة الغضب. أو غضب الإنسان متى اتخذ صوراً خارجية من السلوك مثل الاحتجاج بصوت مرتفع. ورفع الأيدي والسب ثم العراك والقتل أحياناً! المحب انسان هادئ بطبعه تعلم الهدوء من الله كليّ المحبة الذي لم يذكر عنه الكتاب إلا النذر القليل من المواقف التي غضب فيها وقد كان له كل الحق! فطبيعي أن يغضب عندما يرى هيكله بيت الصلاة قد صار مغارة للصوص (مر ١١ : ١٧) وعن حبه ورقته ووداعته قال الكتاب:

«.. لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ» (اش ٤٢ : ٢)

والاحتداد عكس الوداعة التي تعالج كل المواقف في هدوء وحزم وبلا تجريح. أما الغضب المقدس فهذا موضوع آخر إذ أن هناك مواقف معينة يتطلب فيها عدم السكون بدافع الغيرة الحقيقية ولكن أيضاً فى عدم غيظ وتجريح.

٧- **المحبة لا تظن السوء** : المحبة الحقيقية تفترض الثقة في كل الاخوة طالما تجمعنا كلمة الله وكنيسة المسيح. أما المحبة الشكاكة فهي ضعيفة جداً إذ تفترض العكس تماماً... ان الجميع أشرار... ما لم يثبتوا غير ذلك من معاملاتهم معنا..!!

وعدم ظن السوء لا يعني التعامل ببساطة بلا حكمة مع الكل بل تعني عدم ترك الفرصة لعدو الخير لزرع شكوك العداوة بيننا وبين الآخرين. وتعني أيضاً عدم التسرع في الحكم عليهم والدفاع عنهم متى أمكن ذلك. أما الحكمة فتحتم التروي والبطء في اتخاذ مواقف عدائية أو مواقف خصومة تجاههم متى كنا لم نتأكد من شئ يقال عليهم. ومتى تأكد لنا ذلك فالحكمة أيضاً تقتضي الإنسحاب في هدوء إذا لم يمكن بشئ من العتاب الهادئ انهاء الأمر. وهكذا لا نعطي ابليس مكاناً بين الاخوة ليزعزع ثقتهم بعضهم في بعض.

في الترجمة الإنجليزية جاء المعنى أعمق من مجرد ظن السوء (حرفياً تعني عدم الاحتفاظ بسجل لأخطاء الآخرين) "Love Keeps no record of wrongs" (N.I.V.) فهي تعني نسيان أخطاء الآخرين وعدم تسجيلها ومعاملاتهم بها كخلفية في القلب ولعل هذا ما يخدم كون الله محبة.. فطالما أخطاء نسيها الله لنا لو فكر في معاملتنا بها ما ثبت أحد منا أمام وجهه!

٨- **المحبة لا تفرح بالإثم** : والفرح بالإثم يعني تجاه الله عدم كمال التوبة.. وعدم جدية المحبة له. لأن من يفرح بالخطية يغيظ الله. وبالتالي من يتوب ويكره الإثم يفرح الله جداً..

«.. الشرير يفتخر بشهوات نفسه والخاطئ يجدف يهين الله» (مز ١٠ : ٣)

— ذلك لأن من يفرح بالخطية وفرص السقوط فيها يسقط في عداوة الله أكثر، ويبعد نفسه عن طريق محبة الله.

«.. لأن محبة العالم عداوة لله» (يع ٤ : ٤)

أما تجاه الآخرين فالفرح بالإثم يعني السرور لسقطاتهم والشماتة فيهم متى سقطوا.. أما الشخص المحب فإلى جوار عدم تمنيه الشر لغيره. يتمنى أيضاً له دوام الانتصار ودوام اليقظة الروحية. يذكرني هذا بما حدث مع القديس يحنس القصير الذي كان يبكي إذا ما أخطأ أحد اخوته الرهبان قائلاً أن أخي سقط اليوم وأنا ربما أسقط غداً..!!

بل وفي مرة هرب من الاستشهاد ليس خوفاً من الموت بل عدم رغبة في أن يهلك انسان بسببه متى مات على يديه بالسيف. انها محبة قلب نسى ذاته تماماً وانفتح بالحب الكامل تجاه الله والقريب.

٩- **بل تفرح بالحق** : والحق هو الرب يسوع نفسه «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤ : ٦) وبالتالي يكون الفرح بالحق هو الفرح بالرب والمسرة بكل طرقه التي تشبع النفس سروراً. والفرح بالحق هو تماماً عكس الفرح بالإثم. ذلك لأن من يحب الله يرفض إغاظته.. ويكتفي بمحبته فوق كل الأشياء يفرح جداً متى تاب ، ويسرع إلى ما يسر قلب الله من توبة وعبادة روحية من القلب. يهرب من كل العالم ليختلي مع الحبيب في جلسة هادئة وخلوة روحية يتلذذ بقربه من الحب الكامل والحق الكامل. أما المستبيح فلا يهمه ان هو أحزن قلب الله أو أسره. فعنده الأمر سيان ولا تفرق معه الأمور كثيراً مثل عيسو المستبيح الذي باع بكوريته وفرط في بركته وأغاظ أبيه بزواجه من وثنية إذ أحب الإثم ورفض الحق لذلك لم يمكنه أبداً أن يتوب بل لم يجد مكانا للتوبة في قلبه المستبيح (عب ١٢ : ١٦، ١٧).

١٠- **المحبة تحتمل كل شئ** : وهذا القول - المحبة تحتمل - شائع جداً بين المسيحيين الأمناء لأنهم رأوا في محبة المسيح لهم كل الاحتمال. والذي لا يحتمل منا الآخرين يكون للآن لم يدرك كيف وإلى أي مدى احتمله المسيح له المجد وهو في عمق شره وخطيته. الإنسان المحتمل هو الذي لا يغضب بسرعة حتى لو كانت هناك أسباب قوية للغضب. ولا يثور على الآخر لو أخطأ

في حقه عالماً أن كل انسان هو تحت الضعف كل يوم وأن الشر دخيل على طبيعة البشر. لذلك عليه الاحتمال وعدم التضايق حتى يعبر تيار الاثم وفي هدوء تُسوى كل الأمور أما الغضب فهو لا يصنع بر الله أي لا يوضح احتمال الله للخطاة. وهناك قول جميل لقداسة البابا شنوده الثالث يقول فيه: عجيبة هى محبة الله الذي و هو قدوس بلا خطية يغفر خطايا البشر. وأما البشر الخطاة فلا يحتملون أخطاء الآخرين. المشكلة في عدم الاحتمال هى عدم معرفتي أنني تحت الخطية مثل أخي ، وأنه عليَّ احتماله في اساءته إليَّ حتى يحتملني هو أو غيره متى أسأت إليهم.

«.. كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا» (لو ٦ : ٣١)

والمحبة أيضاً تحتمل الضيقات والمشقات التي يتكبدها الإنسان سواء في علاقته بالله أو الناس فالذي يحب الله سيقبل من يده كل شئ عالماً أن ارادة الله من نحوه هى دائماً للخير. كما قال أحب الآباء: [المر الذي تختاره لي الذ عندي من الشهد الذي أختاره لنفسي] والاحتمال يترجم في الهدوء والتوقع بسكوت خلاص الرب حتى لو تأخر فهناك المكافأة اكليل الحياة..

«.. طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال أكليل الحياة » (يع ١ : ١٢)

وهناك وصية عجيبة حقاً لمن لا يستطيع الاحتمال يقولها الطوباوي بولس في (عب ١٢ : ١-٣)..

«.. ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في أنفسكم»

يريد القول لنا أن التأمل المستمر في احتمال المسيح يعطي للإنسان احتمالاً في كل المواقف. وهنا يصير المسيح له المجد، المثال الحي الدائم الذي ينبغي لنا أن نتبع خطواته. حتى يمكننا الاستمرار في كل تدبير روحي بصبر ورجاء في نهاية حسنة.

١١- المحبة تصدق كل شئ : وهذه الصفة نابعة من المحبة التي تحتمل كل شئ من ناحية ولا تظن السوء من ناحية أخرى فهي محبة واثقة فيمن تحب. لا تصدق بسهولة أي أمر ردئ يمكن أن يقال على المحبوب. بل تصدق ببساطة ظاهره الذي يبدو لها لعلمها أن الإنسان له الظاهر لكن الداخل فيعلمه الله . لذلك فالمحب لا يفتح مسامعه لكلام الواشين والساعين في الظلمة لتدبير المكائد بدافع الحسد، إنما هو ينفي ذلك ولا يصدقه لأن في المحبة لا يصدق إلا ما يقوله محبوبه وما يتعامل به معه . ولكن ليس معنى ذلك أن هذا التصديق ينطبق على كل الحالات. لأن

هناك مواقف يبدي فيها الشخص صفاته السيئة ويؤكد بذلك ما أشيع عنه. هنا ينبغي على المحب اتخاذ حذره ومعالجة الأمر بهدوء وليس بخصام محاولاً اظهار محبته واصلاحه وان لم يمكنه فالاختصار في هذه العلاقة أمر مستحب لأنه يجنب الإنسان تطورات الخلاف والشك إلى حد العنف والبغض.

وهنا أيضاً لا ننسى بساطة محبة الله لنا.. وكيف أنه يفرح ببادرة حب وتقرب إليه. بل وأيضاً صدقوني كم من المرات نأتي إليه متظاهرين بالمحبة له ولكننا نضمر أهدافاً منحرفة، ورغم ذلك يفرح بنا ويقبلنا لأن محبته بسيطة تصدق كل شئ فلا تفضحنا في الحال.

١٢- المحبة ترجو كل شئ : هذه المحبة المترجية لا تعرف اليأس اطلاقاً. مثلما لم ييأس الله من ضعف الإنسان وترديه في أودية الهلاك. هى محبة تتوقع عمل الله بهدوء وسكوت وصبر طويل. ورجاء في أن الله لابد سيتدخل ويعطي الإنسان ما فقده بل وأكثر. هذا الرجاء يعطي عزاءاً للإنسان والثقة تعطي اطمئناناً، هذا من جهة المحبة لله.

أما من جهة القريب فمحبتي المترجية تعنى عدم اليأس من اصلاح علاقتي به وتوقع تدخل الله بيني وبينه لإعادة الهدوء للعلاقة معه. وعدم التسرع في قطع أواصر المحبة معه لمجرد سماع كلمة سيئة عنه أو حتى لو كان سيئاً بالفعل ، لأتريث طالما هناك الفرصة في علاجه. وحتى لو اضطررت لمقاطعته ليكن ذلك في محبة وبلا تجريح مع ترك صادق حبي له. ودعائي المستمر أن يتدخل الله لافتقاده وعلاجه.

١٣- المحبة تصبر على كل شئ : وهذه صفة ضمنية لأن المحبة المحتملة والمصدقة لكل شئ والمترجية كل شئ هى بالضرورة محبة صابرة لا تتعجل النتائج ، ولا يفرغ صبرها سريعاً. مثل فلاح القى بذاره في الأرض وانتظر على رجاء الزرع والثمر في احتمال لكل ظروف البيئة التي كثيراً ما تكون صعبة. وفي هذا يقول الحكيم في سفر الجامعة.. ***«.. ارم خبزك على وجه المياه تجده بعد أيام كثيرة»*** (جا ١١ : ١) أي لا تتعجل ولا تنزعج ولا تشعر بخراب العالم لو رأيت مؤشرات سريعة توحي بالفشل في علاقتك بالله والقريب. إنما افعل الصلاح والخير ودع الأمور كلها في يد الله الذي لما يرى صبرك وطول أناتك سوف يعطيك مجازاة عادلة لقاء تعبك وانتظارك.

«.. الضيق ينشئ صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزي لأن محبة قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رو ٥ : ٣)

وفي هذا التسلسل العجيب كل البركة إذا ما عايشه الإنسان. الصبر يزكيني أمام الله وهذه

التزكية تعطيني رجاءً في أني مقبول عنده. وهذا الرجاء يتخطى الزمن ولا يخيب أبداً والسر في ذلك محبة الله المنسكبة في قلبي بالروح القدس. وهكذا لا يسعني إلا أن أشكر الله على نعمته ومحبته وأسأله أن يديم عليَّ نعمة محبته في صبر فأحتمل الضيقة في إفتخار.

وإذا كنا نتعلم عن المحبة الصابرة.. نتعلمها من صبر المسيح وانتظاره رجوعنا إليه من وديان هلاكنا.

ولنا أخيراً تعليق على جملة «**كـــل شـــئ**» فالمحبة لا تفرق. ولا تحابي الوجوه فتعامل البعض حسناً والآخر لا. بل يوصينا الكتاب بمحبة الكل حتى الأعداء. وسلوك الهدوء والتواضع والصبر والاحتمال تجاه كل الخليقة وكل شئ في الوجود . لذلك لم يجد بولس الرسول أجمل من تعبير «**المحبة لا تسقط أبداً**» ليختم به هذه السيمفونية الرائعة التي قاده فيها الروح القدس ليرويها لنا. والتي تجعلنا نجد أنفسنا نتكلم في (١كو١٣) في كل مرة يأتي فيها ذكر المحبة لأنها بالحقيقة آيات ذهبية عن المحبة تلك التي نتأملها الآن.

واختصاراً لكل قول.. يخيل إليَّ – وهذه حقيقة – أن الرسول بولس بحديثه عن المحبة هنا. كان يرسم لنا عن قرب صورة واضحة للرب يسوع وكيف تجسدت فيه كل محبة الآب تجاه الجنس البشري. لذلك قرأت لأحد الآباء صياغة جديدة لهذا الكلام استبدل فيها كلمة «المحبة» بكلمة «المسيح» فجاءت الصياغة معزية جداً.. تأملها معي أخي الحبيب :

[١ – ٨] «.. ان كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي *المسيح* فقد صرت نحاساً يطن أو صنجا يرن. وان كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم. وان كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي *المسيح* فلست شيئاً. وان أطعمت كل أموالي وان سلمت جسدي حتى أحترق ولكن ليس لي *المسيح* فلا أنتفع شيئاً. *المسيح* يتأنى ويرفق. *المسيح* لا يحسد. *المسيح* لا يتفاخر ولا ينتفخ ولا يقبح ولا يطلب ما لنفسه. ولا يحتد ولا يظن السوء. ولا يفرح بالإثم بل يفرح بالحق. *المسيح* يحتمل كل شئ ويصدق كل شئ ويرجو كل شئ ويصبر على كل شئ. *المسيح* لا يسقط أبداً» !!!

ثالثاً : ثبات المحبة أبداً : (المحبة لا تسقط أبداً) (٨- ١٣)

وثبات المحبة أبداً يأتي من ثبات الله نفسه لأن الله محبة كما نعلم كلنا . وطالما أن الله سرمدي (أزلي أبدي)، هكذا المحبة سرمدية لا تنتهي رغم بطلان أمور كثيرة سوف تنتهي بانتهاء الزمان. مع بقاء المحبة أبدية لا تزول..!!

---

[٨] «...أما النبوات فستبطل والألسنة فستنتهي والعلم فسيبطل»

لأن هذه كلها أمور وان كانت من الروح القدس إلا أنها أعطيت لفترة محددة ولغرض كرازي معين لأجل ذلك قال الطوباوي عن المحبة أنها الطريق الأفضل لسبب بقائها أبدياً..

[٩، ١٠] «.. لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبوء ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض»

نعم فكل المواهب من علم ونبوات كلها تفتح بصيرة الإنسان على أمور بعضية، أي غير كاملة ولكن متى جاءت ساعة الأبدية لابد أن أكون مؤهلاً لها بمعرفة أبدية تجعلني أنفي وأتجاوز كل ما هو زمني. بمعرفة كاملة تجعلني أبتلع وأنسى كل ما هو وقتي. هذه المعرفة هى في الواقع محبتي الثابتة لله التي لا يمكن أن تتغير عدم تغير الله ذاته. والتي ستضح بأجلى بيان حين أرى الله وجهاً لوجه.

لذلك يسوق لنا بولس الرسول مثالين لهذا الموضوع فيقول:

[١١، ١٢] «.. لما كنت طفل كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفتكر ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل. فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت»

يريد القول أن كل المواهب والنعم هى بمثابة الغذاء سهل الهضم. ولبن الروحيات الذي يضمن لنا سلامة المسيرة وقوة نمونا الروحي. أما في الأبدية – الرجولة الروحية – فعليّ أن لا أتعلق بهذه الأمور لمعرفتي الكاملة بدورها المحدد بالزمن في حياتي وحياة الآخرين ، وأنه لن تبقى إلا المحبة بعد إنتهاء الزمن.

الآن نحن كمن ينظر في مرآة فيرى صورته. أي صورته الشخصية التي تحوي في داخلها على مستوى غير منظور صورة الله الجميلة جداً . ولكن هناك في الأبدية سأرى ذاتي الممجدة مجد المسيح. وستنفتح عيني على طبيعتي الجديدة التي خلقني عليها المسيح. وهذا لا يتأتى إلا بثبات

محبتي لله حتى النهاية . هناك سأعرف نفسي كاملةً حسب القياس الذي خلقني عليه الله - سأعرف كما عرفت - سأرى ذاتي بعيون الله. وأدرك كنهي بفكر الله وأرى في نفسي قصد الله وقد تم لها بملء القوة والبركة جميلة مبررة بحسب ما أراد لها الله، يوم فكر أن يخلق الإنسان..

بعد ذلك يركز معلمنا بولس الرسول على ثالوث فضائل أمهات..

[١٣] «.. أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة ولكن أعظمهن المحبة»

وهنا تبدو علاقة الإيمان بالرجاء. الإيمان يُثَبِّت الرجاء والرجاء يعطي الإيمان قوته ليكون سعي الإنسان للأبدية سعياً مباركاً. أما المحبة فهي التي تحفظ وتضمن سلامة المسيرة الروحية من كل انحراف وضياع لذلك قال الرسول أن أعظمهن المحبة. ذلك لأن في الأبدية سوف نرى بالعيان ما عشناه بالإيمان على الأرض وهناك لا يكون للإيمان دور كذلك الرجاء سينتهي متى تحقق لنا في السماء الآمال التي كنا نحياها بالرجاء على الأرض أما المحبة فهي لا تسقط أبداً. دائمة في القلب على الأرض ودائمة أيضاً في السماء دوام الله سرمدياً.

www.difa3iat.com

﴿ الأصحاح الرابع عشر ﴾
وأيضاً المواهب

مقدمة : في هذا الفصل المبارك من الرسالة يعود الطوباوي بولس مرة أخرى للحديث عن المواهب بعد الجملة الاعتراضية الطويلة. أعني أنشودة المحبة الخالدة التي فاجأنا بها في الأصحاح الثالث عشر. محولاً كل تعلق جذبنا إليه في الحديث عن المواهب في الأصحاح الثاني عشر. إلى تعلق هام جداً بأهمية المحبة التي أفرد لها أصحاحاً كاملاً. ذلك لأن المحبة هى أفضل (إن جاز التعبير) وأبقى هبات الروح القدس الذي وضع المحبة على رأس قائمة ثماره في المؤمنين فقال « أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام..» (غلا ٥ : ١٩) ، بل هى أيضاً أساس تقييم العطايا الأخرى والحكم عليها كما سنرى في الأصحاح الحالي موضوع الدراسة.

وفيه يقارن الرسول بولس بين موهبتي التنبؤ والتكلم بألسنة وسنرى أن أساس المقارنة هو أي من الاثنين أكثر نفعاً لبنيان المؤمن؟ وهكذا تبدو المحبة أيضاً إذ تبين أن أفضل المواهب هى التي تلتقي معها في أهدافها أي نفع الآخرين. لذلك بدأ الرسول الأصحاح بالكلام عن المحبة.

[١] «.. اتبعوا المحبة ولكن جدوا للمواهب الروحية وبالأولى أن تتنبأوا»

وواضح هنا الفرق بين الدعوة للمحبة (اتبعوا) والدعوة للمواهب (جدوا تنافسوا تشوقوا). الدعوة للمحبة هنا اتباع لا تدع مجالا لتفضيل أية عطية على المحبة.

ثم بين الرسول فضل موهبة النبوة عن التكلم بألسنة..

[٢] «.. لأن من يتكلم بلسان لا يكلم الناس بل الله لأن ليس أحد يسمع. ولكنه بالروح يتكلم بأسرار»

وبعد ذلك يقرر موضوع ماهية كل منهما كما سنرى.
لذلك يمكن تقسيم الأصحاح كالتالي :

١- التكلم بألسنة في الكتاب المقدس
٢- مقارنة بين التكلم بألسنة والتنبوء (١- ٢٥)
٢- الهنا إله سلام لا تشويش (٢٦- ٣٣)
٣- نصائح تكميلية (٣٤- ٤٠)

أولاً : التكلم بألسنة في الكتاب المقدس :

هنا يلزمنا أن نقف وندرس موضوع التكلم بألسنة وتاريخه في الكنيسة [١]، الذي يعتبره الآباء من أعقد الأمور المتصلة بالكنيسة الأولى وأكثرها صعوبة وغموضاً. اختلف علماء الكنيسة وآباؤها بخصوصه ولم يعطوا رأياً محدداً واضحاً بشأنه نظراً لأن هذه الظاهرة انتهت تقريباً بإنتهاء عصر الرسل.

ظهرت موهبة الألسنة مع مولد كنيسة العهد الجديد يوم الخمسين (أع ٢ : ١- ١٣) وبعدها نقرأ عنها مرتين في سفر أعمال الرسل (أع ١٠ : ٤٦ ايمان كرنيليوس ؛ أع ١٩ : ٦ كنيسة أفسس). أما في الرسائل فلم يتناولها سوى بولس الرسول في الرسالة التي بين أيدينا (١كو ١٢، ١٤).

والواقع أن موهبة التكلم بألسنة وان كانت تذكر صراحة بهذه التسمية في المواضع التي أشرنا إليها، لكنها تختلف عن بعضها في الجوهر ولا تعبر عن ظاهرة واحدة. فمعجزة يوم الخمسين كانت تمتاز بطابعها الخاص وهدفها الخاص. تكلم التلاميذ بفضلها بلغات مختلفة من أجل حاجة سامعيهم بقصد تبشيرهم. أما التكلم بألسنة المذكور في الرسالة إلى كورنثوس فهو عمل تعبدي خالص يختص بالصلاة ولا علاقة له بالتكلم بألسنة بقصد الكرازة والتبشير.

ففيما يختص بيوم الخمسين هناك رأيان: رأي يقول أن الرسل تكلموا بلغات جديدة لم يكونوا يعرفونها اتماماً لوعد المسيح « **يتكلمون بألسنة جديدة** » (مر ١٦ : ١٧) وهذا هو رأي

(١) الكلام هنا من كتاب الكنيسة المسيحية في عصر الرسل – لنيافة الأنبا يؤانس اسقف الغربية المتنيح.

غالبية آباء الكنيسة وعلمائها. ورأي آخر يقول لم يتكلم الرسل بلغات جديدة بل تكلموا اللغة الآرامية الخاصة بهم بينما سامعوهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بلغاتهم. وكان الروح القدس في هذه الحالة يقوم بدور المترجم، وكان يترجم فورياً لكل لغات الحاضرين ومن بين أصحاب هذا الرأي القديس غريغوريوس أسقف نيصص.

وفي رأينا (الكلام للأنبا يؤانس المتنيح) أن الرأيين على صواب. فالرسل تكلموا فعلا لغات جديدة لم يكونوا يعرفونها ما في ذلك شك كنص الكتاب (أع ٢ : ٦، ٨، ١١) بل تفاهموا مع سامعيهم بلغاتهم الخاصة (أع ٢ : ٣٧) وهذا واضح مما ذكره لوقا الطبيب في الأصحاح الثاني من سفر الأعمال ومما ذكره السيد المسيح صراحة في (مر ١٦ : ١٧)، ومن ناحية أخرى حينما ألقى بطرس الرسول عظتة (وطبعاً ألقاها بلغة واحدة أياً كانت) فهمها الجميع وبناء على ذلك تساءلوا ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة. وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الروح القدس – أثناء القاء بطرس لعظته – قد قام فعلاً بترجمة فورية لكل لغات الحاضرين. وعلى ذلك نستطيع القول أن الرسل تكلموا في يوم الخمسين بلغات حديثة لم يكونوا يعرفونها، وأن الروح في بعض المواقف كان يقوم بدور المترجم ولا غرابة في ذلك فالترجمة موهبة من مواهب الروح القدس (١كو ١٢ : ٤، ٨، ١٠).

ومهما يكن من أمر فآباء الكنيسة وعلماؤها رأوا أن الله أعطى الرسل موهبة التكلم بألسنة جديدة من أجل حاجة أعمال الكرازة وبخاصة في الدور التأسيسي للكنيسة. البعض رأى – ومنهم القديس يوحنا ذهبي الفم – أن كل تلميذ وهبت له اللغة الخاصة بالحقل الكرازي الذي عينه له الروح. والبعض رأى – ومنهم القديس أوغسطينوس – أن كلا من الرسل تكلم لغات جميع الشعوب ليظهر بذلك أن الكنيسة الجامعة ستضم كل الشعوب.

أما عدد اللغات التي تكلموا بها في ذلك اليوم التاريخي فقد اختلف الآباء أيضاً فيه. فمن قائل أنهم تكلموا بلغات الشعوب التي ذكرها القديس لوقا (أع ٢ : ٩، ١١) ومنهم من قال أنهم تكلموا ٧٠ لغة أو ٧٢ أو ٧٥ على عدد أبناء نوح أو يعقوب بينما رأى الآخرون أن الرسل تكلموا ١٢٠ لغة على عدد التلاميذ الذين حل عليهم الروح القدس في ذلك اليوم (أع ١ : ١٥) وعلى أي الحالات فقد كان التكلم بألسنة في يوم الخمسين للكرازة ولتمجيد الله بلغاتٍ متنوعة لم تكن معروفة للتلاميذ وشهادة لجميع الشعوب أن الله كان حقاً في وسطهم.

أما عن موهبة التكلم بألسنة التي عالجها القديس بولس في الرسالة إلي كورنثوس فتظهر أنها كانت عملاً من أعمال التعبد والصلاة. ويمكن القول أنها كانت نوع من الصلاة والتسبيح والتمجيد والشكر لله. ينطق بها الإنسان في حالة نشوة روحية لا ارادياً. وفي لغة يعطيها الروح القدس غير اللغة التي يتكلمها الإنسان وفي هذه الحالة تكون روح الإنسان في سلبية مستسلمة

للروح القدس. بينما يكون الذهن غير واعٍ بما ينطق به الإنسان. وهذا واضح من كلام بولس الرسول نفسه فهو يدعوها صلاة..

[٢] «.. من يتكلم بلسان لا يكلم الناس بل الله لأنه ليس أحدٌ يسمع ولكنه بالروح يتكلم بأسرار»

ويقول أيضاً:

[١٤] «.. ان كنت أصلي بلسان فروحي تصلي. أما ذهني فهو بلا ثمر»

وهكذا نرى أن التكلم بألسنة في كنيسة كورنثوس لم يكن في صورة تعليم أو نبوة بل كان نوعاً من التعبد الروحي الشخصي. ومن هنا نفهم لماذا يربط الرسول بولس بين التكلم بألسنة الناس وألسنة الملائكة (١كو ١٢ : ٣، ١٣ : ١) لأن ألسنة الملائكة تنطق دائماً بالتسبيح للجالس على العرش.

ويؤيد هذا المفهوم ما حدث أيضاً يوم الخمسين. لقد تكلم الرسل بألسنة أخرى قبل عظة بطرس وقبل أن يجتمع إليهم الشعب (أع ٢ : ٤، ٦، ٨) أما موضوع كلامهم بهذه الألسنة الأخرى قبل عظة بطرس فكان الكلام « بعظائم الله » (أع ٢ : ١١) ونفس هذا الأمر حدث في بيت كرنيليوس بعد حلول الروح القدس على المجتمعين فيه فقد سمِعوا ..

«.. يتكلمون بألسنة ويعظمون الله » (أع ١٠ : ٤٦)

وتعظيم الله هو عينه عمل التسبيح والتمجيد والشكر.

ومن حيث أن التكلم بألسنة التي أشار إليها بولس في كورنثوس هو عمل تعبدي خالص فإنه يعني المتكلم وحده دون الآخرين ..

[٤] «.. من يتكلم بلسان يبني نفسه »

ومن هنا فقد اعتبرت موهبة التكلم بألسنة – بهذا المعنى – أقل درجات المواهب الروحية لأنها تستهدف الذات ولا يترتب عليها بنيان الكنيسة كلها . لكن المؤمنين في كورنثوس رفعوا من قدر هذه الموهبة لأنها – كما يقول ذهبي الفم – كانت الموهبة الأولى التي نالها الرسل ومن الثابت أن هذه الموهبة انتهت تقريباً بانتهاء عصر الرسل. وثمة ملاحظة هامة ينبغي ألا نغفلها فيما يتعلق بموضوع التكلم بألسنة. لقد كانت هناك حكمة خاصة في كل مرة من المرات الثلاث التي حدثت فيها هذه المعجزة وأوردها القديس لوقا في سفر أعمال الرسل. ففي يوم الخمسين كان

التكلم بألسنة آية لجمهور المجتمعين « **من كل أمة تحت السماء** » وما حدث في بيت كرنيليوس كان علامة للرسل أن الرب قد فتح باب الخلاص للأمم الوثنية (أع ١١ : ١ – ١٨) وما حدث في أفسس كان آية لمن نالوا الروح القدس بعد أن قالوا. ولا سمعنا أنه يوجد روح قدس (أع ١٩ : ١ – ٦) أما أن يكون التكلم بألسنة بلا أدنى هدف أو حكمة إلهية كما يشاهد شيعة الخمسينيين حالياً فأمر يقطع ببطلان ادعائهم بأنهم يتكلمون بألسنة. ولا يعدو الأمر أن يكون بعض الحركات الهيستيرية أو المفتعلة..!! (انتهى كلام الأنبا يؤانس)

ثانياً : مقارنة بين التكلم بألسنة والتنبوء : (١ – ٢٥)

والآن بعد هذا الشرح الفائض – للقديس المتنيح الأنبا يؤانس – أصبح موضوع الأصحاح الرابع عشر واضحاً لدينا من جهة المفاضلة بين التكلم بألسنة والتنبوء..

[٣ – ٥] « .. من يتنبأ فيكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية. من يتكلم بلسان يبني نفسه وأما من يتنبأ فيبني الكنيسة... لأن من يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة إلا إذا ترجم حتى تنال الكنيسة بنياناً»

وهذا ما رأيناه في الحديث عن موهبة الترجمة في الأصحاح الثاني عشر، انها الموهبة التي تجعل موهبة الألسن نافعة للمؤمنين إذ تنقل لهم ما يقوله ويعيشه المتكلم بلسان فقط. وبذلك تنتفع الكنيسة كلها..

[٦] « .. فالآن أيها الأخوة ان جئت اليكم متكلماً بلسان فماذا أنفعكم ان لم أكلمكم اما باعلان – ترجمة – أو بعلم أو بنبوة أو بتعليم»

(انظر تفسير ١كو ١٢ : ٨ – ١٠)

حتى لا يدعهم يشكون فيما يوصيهم به. يتحدث معهم عن نفسه. حتى لو كان هو المتكلم بلسان لا ينفعهم – رغم رسوليته – ان لم يترجم ما يتكلم به. بعد ذلك يسوق لهم مثلاً بليغاً جداً عن الأصوات الخارجة من الآلات فيقول:

[٧ – ٩] « .. الأشياء العادمة النفوس – الغير عاقلة – التي تعطي صوتاً. مزماراً أو قيثارة مع ذلك ان لم تعط فرقاً للنغمات فكيف يُعرف ما زُمِّر أو ما عُزِف به فانه ان أعطى البوق صوتاً غير واضح فمن يتهيأ للقتال. هكذا أنتم أيضاً ان لم تعطوا

باللسان كلاماً يفهم فكيف يُعرف ما تُكلِم به فإنكم تكونون تتكلمون في الهواء»

فطريقة العزف، ونوع النغمات، هو الذي يميز آلة عن الأخرى. كذلك وضوح صوت البوق هو الذي يبلغ الاعلان بوضوح. هكذا اللسان ان لم يكن كلامه مفهوماً يصير مثل عدمه ويكونون هم كمن يتكلمون في الهواء بسبب عدم فهم ما يقولون حتى لو كان ما يقولونه بلغات حقيقية فهي بلا فائدة طالما السامع لا يفهمها.

[١٠- ١٢] «.. ربما تكون أنواع لغات هذا عددها في العالم وليس شئ منها بلا معنى فإن كنت لا أعرف قوة اللغة أكون عند المتكلم اعجمياً والمتكلم أعجمياً عندي - غريب أو أجنبي - هكذا أنتم أيضاً إذ أنكم غيورون للمواهب الروحية أطلبوا لأجل بنيان الكنيسة ان تزدادوا»

يريد الرسول أن يستثمر مواهبهم وتشوقهم إليها بأن يريهم الطريق الواضح أو العلاقات السليمة بين المواهب وبعضها لأجل سلامة ونفع وبنيان الكنيسة..

[١٤- ١٦] «.. من يتكلم بلسان فليصل لكي يترجم. لانه ان كنت أصلي بلسان فروحي تصلي وأما ذهني فهو بلا ثمر. فما هو إذاً. أصلي بالروح وأصلي بالذهن أيضاً. أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً»

عن الذهن في المؤمن نقول أنه واسطة إدراك النفس لأمور الروح ، وهو واقع بين الروح والجسد ويستخدمه الروح القدس لتوصيل أعمال الله من الروح إلى الجسد فكيان الإنسان كله. فيصير بذلك - الذهن - أعقد منطقة وأخطر مرحلة في علاقة الإنسان الخاصة بربنا، إن استنار أضاء كيان الإنسان كله وإن أظلم أغلق على الإنسان باب الروح.

والرسول بولس حينما يطلب صلاة الذهن.. يريد أن ينوه على استجماع الذهن (الذي يعني أيضاً الفكر أو القلب في كتابات الآباء) وحصره في فهم كلام الروح (اللسان) حتى يمكنه توصيله لكيان الإنسان كله (نفسه وجسده أيضاً) وكذا لجميع المؤمنين حتى ينتفعوا إما بترجمة أو بعلم أو بنبوة أو بتعليم.

فبلا ثمر هنا تعنى بلا منفعة للآخرين.

هذا ما عرفناه في الشرح السابق للأنبا يؤانس ولكن ما يريده الرسول هنا هو أن يقوم المتكلم بلسان باعلان ما يقوله عن طريق صلاة الذهن أيضاً. أي استحضار ذهنه بالصلاة لأجل هذا

الموضوع فربما يمكنه ذلك بنعمة الروح القدس – أن يترجم ما كان يقوله بلسان. وان تعذر عليه ذلك يترجم آخر ممن نالوا موهبة الترجمة وإلا فالصمت أفضل ان لم يوجد من يترجم (١كو ١٤: ٢٨).

[١٦، ١٧] «.. وإلا فإن باركت بالروح فالذي يشغل مكان العامي كيف يقول آمين عند شكرك لأنه لا يعرف ماذا تقول. فإنك أنت تشكر حسناً ولكن الآخر لا يُبنَى»

وكلمة «أمين» يونانية تعني «حقـاً». وتترجم رضى السامعين وتصديقهم على ما يقوله المصلي ومعناها في العبريـة «.. فليكن هذا». الرسول يريد أن يقول أن العامي الذي لا يفهم اللغة كيف يصدق على ما سمعه في الصلاة – العبادة الليتورجية وقد تعني الافخارستيا – طالما هو لم يفهمه؟!!

أنت تصلي وتشكر وروحك تستفيد وتبني نفسك ولكنه هو لا يستفيد ولا يبني بسبب عدم فهمه للغة.

[١٩، ٢٠] «.. أشكر إلهي أني أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم ولكن في كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهني لكي أعلم آخرين أيضاً أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان»

وبهذا يخرج الرسول تماماً من ذاته. فعند اجتماعه بالمؤمنين يكون اهتمامه الشاغل هو بنيانهم وتعليمهم أما انشغاله بنفسه فيمكن أن يتممه حينما يكون بمفرده أي في مخدعه. وربما يقول قائل أن الكلام هذا يعني الاجتماع للتعليم فقط دون الصلاة. ولكن المتعمق في الآية يجد أن الرسول يقول «خمس كلمات بذهني» والتي يعني بها الصلاة أيضاً ولكن بذهن حاضر غير منخطف. بهدف البنيان يجب أن يكون الذهن واعٍ ومثمر في عمله وكلماته مهما كانت قليلة طالما استفاد منها الآخرون، أما أن يضيع الاجتماع في مشاهدتي وأنا أتكلم بلسان. حتى لو تكلمت عشرة آلاف كلمة فالمحصلة في النهاية لا تبني السامعين لعدم فهمهم إياها!!

بعد ذلك يتوجه إليهم بنصيحة ودية يسبقها بكلمة أخوة حتى لا يظن أحد أن الرسول قد انعزل عنهم أو استاء منهم بل في محبة يقول لهم:

[٢٠] «.. أيها الأخوة لا تكونوا أولاداً في أذهانكم بل كونوا أولاداً في الشر وأما في الأذهان فكونوا كاملين»

وهو بهذا يريد أن يحول أنظارهم، اهتماماتهم، عن الاهتمام الساذج والمندفع لموضوع

الألسنة. والتعلق السريع – من صفات الأطفال – بما يحيط بها من مظاهر مبهرة. أقول يحول اهتماماتهم إلى أن يكونوا كاملين في الأذهان أي متيقظين.. باحثين عن كل ما يبني وينفع الآخرين أيضاً وليس فقط الذات. مهتمين بإظهار كلام المنفعة كما يفعل هو أيضاً ويصلي بذهنه أما قوله أولاداً في الشر فيقصد به عدم الزج بأنفسهم في متاهات الخطية حيث يقعون في شراك إبليس محولاً لهم هدف الموهبة وبركتها إلى فرصة للتشويش والعبث وبالتالي إساءة استخدامها مثل الأطفال السذج ، وكذا الهروب السريع من كل شر وشبه شر وبقوة مثلما يهرب الأطفال من أي أمر مخيف ويحتمون في والديهم.

[٢١] «.. مكتوب في الناموس أني بذوي ألسنة أخرى وبشفاة أخرى سأكلم هذا الشعب ولا هكذا يسمعون لي يقول الرب »

والاستعارة هنا من سفر اشعياء النبي (اش ٢٨ : ١١)، وهذه النبوة عن الغزو الأشوري لإسرائيل. وكأن الرسول يريد الربط بين معاناة إسرائيل للغة الغريبة التي يتكلم بها الغازون وبين سلوك المؤمن البسيط إذ ما رأى الكاملين يتكلمون بلسان غريب لا يعرفه. فكلا الموقفين يحمل في طياته معاناة من نوع ما. ***ملخصها في عدم القدرة على الاستيعاب والاحساس بالغربة والانعزال*** هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمهد الرسول بما سيقوله بعد ذلك من أن الألسنة هى أية لغير المؤمنين (بقصد تبكيتهم) فكما أعطى الله لأشور أن تغيظ إسرائيل بلسان غريب لم يفهمه الشعب كذلك صارت الألسنة غير المفهومة لدى مجموع السامعين من غير المؤمنين – ويخيل لي هنا أنه يقصد على وجه التحديد ما حدث في يوم الخمسين – صارت سبب دينونة عليهم وبالتالي سخروا من التلاميذ وقالوا أنهم سكارى!! (أع ٢ : ١٣) لذلك بالنسبة لبنيان المؤمنين فالرسول يوصيهم أن يهتموا بالنبوة أكثر من اهتمامهم بالألسنة.

[٢٢] «.. إذاً الألسنة آية لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين أما النبوة فليست لغير المؤمنين بل للمؤمنين »

وصيرورة الألسنة آية لغير المؤمنين ، تكمن أيضاً في انبهارهم لها وتعجبهم لها كمعجزة . الأمور التي ينبغي معها أن يطلبوا الدخول في الإيمان تماماً كما حدث في يوم الخمسين وفي كل المرات التي جاء فيها الحديث عن التكلم بألسنة. أما المؤمنون فتنفعهم أكثر النبوة.. إذ تفسر لهم ما غمض عليهم من مشورات وإرادة الله وتكشف لهم كثيراً من الأمور التي أغلق عليهم فهمها فهكذا ينتفعون..

[٢٣- ٢٥] «.. فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد وكان الجميع يتكلمون بألسنة فدخل عاميون أو غير مؤمنين أفلا يقولون أنكم تهذون. ولكن إن كان الجميع يتنبأون فدخل أحد غير مؤمن أو عامي فإنه يُوبَّخ من الجميع. يُحكَم عليه من الجميع وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة. وهكذا يخر على وجهه ويسجد لله منادياً أن الله بالحقيقة فيكم»

وهنا نفهم بوضوح الفرق بين موهبة التكلم وموهبة النبوة. الألسنة تعثر العامي أو غير المؤمن متى شعر أنه وسط جماعة لا يفهم شيئاً مما يقوله الجميع، فيقول عن اقتناع ورؤية «انكم تهذون» أما النبوة فهي تكشفه.. لا في مصارحة علنية بضعفاته ونقائصه بقصد التشهير به.. بل تبكيت مستتر يضمن له الروح القدس تأثيره يشعر الإنسان أنه في مجال روحي.. لا يستحق الوجود فيه بسبب نجاساته وهنا يسجد لله أي يطلب معرفته والإيمان به والإنضمام للكنيسة.

والآن لنا أن نقول أن موهبة النبوة مازالت تعمل في الكنيسة على هذا النحو الذي ذكره الرسول بولس وهذا يحدث مع كثيرين منا. متى حضر الإنسان اجتماعاً مشبعاً مقوداً بالروح القدس وكانت العظة مقودة بارشاده فالشخص يشعر أن كل كلام العظة ينطبق عليه هو وقد يحدث أنه يواجه المتكلم ظاناً منه أنه يعرفه وظروفه وقد يقول له: من قال لك ذلك علي؟! هذا هو عمل الروح القدس الذي يبكت العالم راغباً خلاص الكل وتوبتهم وتقريبهم إلى معرفة الله والحياة الأبدية.

وكم من نفوس تبكتها ضمائرها أثناء صلاة القداس.. أو في اجتماع صلاة هادئ يستخدمه الروح القدس لإتمام عمله في كشف النفس أمام صاحبها فيقوم ويطلب خلاص نفسه باشتياق وحرص.

ثالثاً : الهنا إله سلام لا تشويش : (٢٦- ٣٣)

بعد أن وضح الطوباوي بولس بيان وموقف كل موهبة من مواهب الروح القدس ، الآن يريد في هذا الجزء (٢٦- ٣٤) أن يعيد تنظيم التعامل مع المواهب وبها حتى تظل كنيسة المسيح هادئة ولا يشوبها تشويش كطبيعة الله.

[٢٦] «.. متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور له تعليم له لسان له اعلان له ترجمة فليكن كل شئ للبنيان »

يركز الرسول على الهدف من كل المواهب.. انه للبنيان قد أعطى لكم الروح ما تمارسونه على تنوعه واختلافه.

[٢٧، ٢٨] «.. ان كان أحد يتكلم بلسان فاثنين اثنين أو على الأكثر ثلاثة ثلاثة وبترتيب وليترجم واحد ولكن ان لم يكن مترجم فليصمت في الكنيسة ليكلم نفسه والله»

سبق أن علمنا أن الترجمة هى الموهبة التي تجعل كلام الألسنة معروفاً ومفهوماً لباقي المؤمنين بهدف منفعتهم هم أيضاً. وهنا يفضل صمت الكنيسة في عدم وجود مترجم عن الكلام بألسنة لأن وقتها ستظهر الكنيسة مشوشة تماماً.،. في ثرثرة وهمهمة دائمة غير مفهومة لا توحي أبداً أن هذا الاجتماع روحي حتى لو انتفع الأفراد. كان من اللائق بهم أن ينتفعوا فرادي كل في بيته (يكلم نفسه والله) عن الحضور والإجتماع بهذه الطريقة. ليت أصحاب طائفة الخمسينيين الآن يدركون فساد ما يفعلونه إذ يجتمعون لمثل هذه الإثارة والتشويش وفي شئ من الانفعال النفسي أو الافتعال وربما الشيطاني أيضاً. يتجاسرون وينادون بالتكلم بألسنة ظانين أنهم في ذلك يسيرون على نهج الإنجيل وهم أبعد ما يكون عنه!!

هذا عن التكلم بألسنة أما عن النبوة فيقول:

[٢٩- ٣٢] «.. الأنبياء فليتكلم اثنان أو ثلاثة وليحكم الآخرون (ممن نالوا موهبة التمييز.) **ولكن إن أعلن لآخر جالس فليسكت الأول لأنكم تقدرون جميعاً أن تتنبأوا واحداً واحداً ليتعلم الجميع ويتعزى الجميع وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء »**

والحديث هنا عن موهبة تمييز الأرواح.. التي تعتبر الضابط لموهبة النبوة كما كانت ترجمة الألسنة ضابطة للتكلم بألسنة. هذه الموهبة هى التي تميز بين النبوة الحقيقية والنبوة الكاذبة. والفيصل هنا أيضاً هو ، أي النبوات، تخدم بنيان الكنيسة ومجد الله ومنفعة المؤمنين ؟.

وهنا .. أعجب أشد العجب من عمل الله. إذ حينما يعطي الموهبة يعطي معها الضابط حتى لا ينحرف بها الإنسان ولا يجرفه الشيطان بعيداً عن هدفها الأصيل. والله إذ يكمل عمله هكذا يضمن لنا عبادة روحية بلا تشويش طالما الإنسان يفتح مسامع قلبه ويطلب ما هو لبنيانه الروحي بلا

أهداف جانبية تضطره لإساءة استخدام مواهب الله. وعبارة « فليسكت الأول » ليس المقصود بها الأمر بالسكوت الفوري بل محاولة انهاء عظته ونبوته لأن روح النبي خاضعة له (٣٢) وإعطاء الفرصة لجميع الأنبياء واحد تلو الآخر كلٌ يقول ما يريد الروح استخدامه فيه.

ومن الأمور القوية التي تميز النبوة الشيطانية الكاذبة هى أنه في حالة النبوة الروحية تكون أرواح الأنبياء خاضعة لهم أي لا يغيب ذهنهم بل يكونوا متحكمين في نفوسهم ويسترجعون شخصياتهم في أي وقت أرادوا. أما الانفعال الشيطاني فهو يجرد الإنسان من سلطانه على ذاته .

والآن نقول ان كل عبادة واجتماع وترنيم.. يخلو من جو الهدوء والسلام والتنظيم.. يصير عبادة غير مقبولة أمام الله حتى لو كانت داخل الكنيسة الأرثوذكسية، لأن صفات كنيسة القديسين هى هذه كقول معلمنا بولس الرسول:

[٣٣] « .. لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام كما في جميع كنائس القديسين »

رابعاً : نصائح تكميلية : (٣٤- ٤٠)

ولأن مواهب الروح القدس لا تفرق بين انسان وآخر. ذكر أو انثى. لا يفوت الرسول أيضاً أن يوصي النساء بما يجب عليهن من واجبات بخصوص الكنيسة والتدين. فهو يوصيهن بالصمت في الكنيسة بل ويقول عنهن أمراً:

[٣٤، ٣٥] « .. لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ولكن ان كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة »

وربما يكون الرسول يقصد الكلام الذي جاء في (تك ٣ : ١٦) « إلي رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » ولكن في عدم تحقير لشأنها أو اقلال من كرامتها ففي المسيح لا ذكر ولا أنثى (انظر تفسير ١كو ١١ : ١١، ١٢).

أما عن مجال تعليم النساء واعطائهن فرصة الحوار والنقاش فهذا دور الأزواج في المنازل. وفي الكنيسة حالياً يمكن أن يقوم ذلك بلا حرج في اجتماعات خاصة بالسيدات تناقش فيها كل أمورهن.

ويبدو أن الجو العام في كنيسة كورنثوس كان يوحي بكثرة النقاش والجدل خصوصاً فيما يخص وضع النساء.. فاستطرد قائلاً :

«.. إن كان أحد يظهر أنه يحب الخصام فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله » (١كو ١١: ١٦)

لذلك يتساءل الرسول معهم بصفة صارمة وساخرة في الوقت نفسه..

[٣٦] «.. ام منكم خرجت كلمة الله أم اليكم وحدكم انتهت »

أي من أنتم حتى لا تزعنوا للحق وتناقشوا فيما أقوله لكم. أنتم مجرد حقل واحد من حقول الكرازة الواسعة.. فلا تظنوا أنكم فقط الذين تعرفون الرب وأن أموره وقف عليكم وحدكم، وتتخذوا من شعوركم هذا فرصة للمخاصمات والمشاحنات فيما يخص حياة الكنيسة ونظامها. ليتعلم الجميع كيف يطيعون الوصية التي نأتيكم بها.

[٣٧، ٣٨] «.. ان كان أحد يحسب نفسه نبياً أو روحياً فليعلم أن ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب ولكن أن يجهل أحد فليجهل »

وهو في هذا يخلي مسئوليته تماماً إذ عنده روح الله أوصاهم بالروح أما مسئولية القبول والطاعة فتقع على عاتقهم وحدهم من أطاع أطاع.. ومن يهمل ولم يطع فهو حر فيما يعتقده ويفعله . وفي كلمة ختامية يقول..

[٣٩، ٤٠] «.. جدوا للتنبوء ولا تمنعوا التكلم بألسنة وليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب»

مفضلا كما رأينا التنبوء على الألسنة لوجود مكان للمحبة في موهبة التنبوء ولكن القانون العام الذي يقرره هو ليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب ذلك لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام.

✠✠✠

﴿ الأصحاح الخامس عشر ﴾

القيامـــة وأبعادهـــا

مقدمة : في هذا الأصحاح من الرسالة يركز الرسول على مركز حدث القيامة العجيب للرب يسوع من الأموات، سواء بالنسبة للمسيح له المجد أو بالنسبة لنا نحن الذين آمنا به وانتهت إلينا أواخر الدهور. وموضوع القيامة يعتبر حجر الأساس في الإيمان المسيحي لأنه يبلور تماماً قضية الفداء وغلبة الخطية والموت وأيضاً فساد الطبيعة الذي ساد على البشرية بسبب سلطان الخطية ومملكة الشر عليها. ولولا قيامة الرب يسوع لم تكن قيامة للمسيحية أيضاً لأنه لا معنى لموت المسيح دون قيامته غالباً مثله مثل سائر البشر (كما سنرى في الجزء الثاني)، لذلك أصبحت القيامة هى كل شئ بالنسبة للإيمان المسيحي والرجاء الذي يعيشه المسيحيون على مر العصور كما يقول في ذلك القديس بطرس الرسول في (١بط ١ : ٣، ٤)..

« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم »

ومعلمنا بولس الرسول يعيد لمؤمني كورنثوس كتابة ما سلمه إليهم شفاهة من قبل بخصوص قيامة الرب حتى يؤكد لهم ما قاله بهدف ثباتهم في هذه الحقيقة التي بدونها لا يكون هناك أي معنى لإيمانهم فيقول:

[١، ٢] **« وأعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضاً تخلصون ان كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً »**

وكلمة انجيل هنا تعني البشارة الحلوة المفرحة التي أسّرت اليهم بالأخبار السارة الخاصة بخلاص البشرية من حكم إبليس والخطية والموت . وحينما يتكلم هنا الرسول بولس يمدح مؤمني كورنثوس لأنهم لما سمعوا قبلوا ما قد نادى به إذ وثقوا ان في كلامه إليهم سر الخلاص وبذلك قاموا فيه، أي في الإيمان بالإنجيل. وليس عبثاً يقول «وتقومون فيه» انما هذه هى الحقيقة الواضحة لموضوع الخلاص في العمق اللاهوتي لأنه إذا كانت أجرة الخطية موت، فبسبب موت المسيح وقيامته صار للخطاة حق الحياة مرة أخرى كهبة مجانية لبر المسيح متى قبله المؤمنون ببساطة الإيمان «أجرة الخطية موت **أما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا** » (رو ٦ : ٢٣).

واللفظ «تقومون» يأتي بصيغة الفاعل المستمر بمعنى أن قضية قيامتنا وخلاصنا هى موضوع جهاد الكنيسة كل وقت. لأننا عرضة كل يوم للخطية والموت فبالتالي أصبحنا في احتياج دائم للقيامة التي تعني بدورها التوبة المستمرة، لأنه ان كانت الخطية موتاً فبالضرورة تكون التوبة قيامة.

هذا ويمكننا تقسيم الأصحاح إلى الأقسام التالية:

١- قيامة الرب يسوع (٢- ١١)
٢- الرب يسوع الباكورة (١٢- ٢٨)
٣- القيامة أساس الجهاد (٢٩- ٣٤)
٤- القيامة ومجد الملكوت (٣٥- ٥٠)
٥- لقاء الغلبة النهائية (فداء الأجساد) (٥١- ٥٨)

أولاً : أولاً قيامة الرب يسوع : (٢ - ١١)

معلمنا بولس الرسول يريد من الكنيسة أن لا تنسى أبداً هذه الحقائق حتى لا يخيب رجاء أحد منا في الخلاص، لأنه لو حدث ذلك سيكون هذا قد آمن عبثاً أي لم يكن إيمانه حسب ما يرضي

الله ويخلص الإنسان في الوقت نفسه. ومن يهمل خلاصه فهو في الحقيقة ينسى ما فعله المسيح لأجله لذلك قال لهم:

[٤] «...فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب»

ويكمل هذا المفهوم ما قاله أيضاً بالروح القدس عن المسيح أنه:

«.. أُسلم لأجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا » (رو ٤ : ٢٥)

الرسول بولس هنا يشير اشارة عميقة إلى التقليد الحي الذي يأخذ مأخذه الواسع في ايمان الكنيسة إذ عن طريق التسليم أمكن للمؤمنين توارث كثير من حقائق الإيمان وعقائده جيل بعد جيل محفوظة من دون تحريف أو تهويل أو إنقاص. فما قد تسلمه هو قبلاً سلمه إليهم. وهو بذلك يحقق أن حدث القيامة كان حدثاً في حقيقته غير عادي توارثه المؤمنون رغم محاولات اليهود اخفاء حقيقته وبذا أمكن أن يصير محور كرازة كل الآباء الرسل وعمود التدين عند كل من يرغب دخول الإيمان كما رأينا.

أما عن من تسلم بولس الإيمان فلعل في كلامه لأهل غلاطية هذه الاجابة إذ يقول:

«.. لم أقبله – الإنجيل – من عند انسان بل بإعلان يسوع المسيح » (غلا ١ : ١٢)

فموت المسيح وقيامته حدثان عرفهما وآمن بهما بولس بعد أن شهد بعينيه المسيح القائم، ذلك في الرؤيا العجيبة التي غيرته وذكرت كما نعلم في (أع ٩ : ١– ٣٠).

ولا يخفى أيضاً أن الرسول بولس عرف الكثير من حقائق الإيمان من القديس بطرس الرسول والقديس يعقوب الرسول وكذا برنابا وغيرهم من الآباء الذين تلامس معهم فور تجديده وقبل اعتماد رسوليته من قبل الكنيسة. وهو بنفسه قد حكى عن ذلك في (غلا ١ : ١٨؛ أع ١٥ : ٤). أما قوله حسب الكتب فهو يعني به نبوات العهد القديم التي أشارت لآلام الرب يسوع والتي منها على سبيل المثال ما ذكره اشعياء النبي (اش ٣٥) وكذا (المزمور ٢٢) وأيضاً شهادات الأنبياء عن قيامته الواردة في (مز ١٦ مع أع ٢) وكذا (اش ٥٣ : ١٠).

وفي هذا الجزء أيضاً نلمح الدقة العجيبة التي تحويها كتابات الرسول بولس فهو يصر على قوله (ودفن) رغم امكانية استقامة المعنى بدونها، أي قوله (مات حسب الكتب وقام). ولكنه يؤكد لنا المسيح مات بالجسد لأنه العنصر القابل للدفن في كيان الإنسان بكونه مادياً. وهذا حتى لا يتسرب لذهن أحد أي شك في اتمام فداء وتطهير الإنسان. وكأنه يريد القول أن الموت كان حقيقة مؤكدة

دليله الدفن، على مرأى من شهود كثيرين وبذا صارت القيامة أيضاً حقيقة مؤكدة لأن شخص القائم هو بذاته الذي مات ورآه الكل يُدفن.

وإذ يريد الرسول أن يؤكد حدث القيامة يسوق لهم الظهورات التي ظهر فيها الرب يسوع لتلاميذه بعد قيامته ليؤكدها أيضاً فيقول:

[٥-٨] «.. وأنه ظهر لصفا ثم للإثنى عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة شخص أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل جمعين وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا»

وهنا معلمنا بولس لا يذكر ظهورات القيامة بالترتيب الذي روته البشائر الأربعة، لأننا نعلم أن البشائر كتبت بعد سنة ٦٥م أي بعد كتابة الرسالة. لذلك لم يهتم هنا بالترتيب الدقيق للظهورات انما اكتفى ببيانها بغرض واحد هو تأكيد حقيقة القيامة في أذهان المؤمنين. وفي هذا السياق أيضاً نذكر لمحة عظيمة عن التقليد الكنسي الذي يعني التسليم الشفاهي لكثير من الحقائق الإيمانية التي يتداولها المؤمنون دون أن تكتب ولكن لها قوة الإنجيل المكتوب، ففي زمن الرسل كان الناس يعلمون بقيامة الرب وبهذه الظهورات التي يروي لهم عنها الرسول بولس بل وبنوع خاص من الدقة في العدد م يوضح دوراً هاماً جداً للروح القدس في حفظ هذه الحقائق وغيرها في صدور المؤمنين.

أما عن قوله «ثم للأثنى عشر» فكلنا نعلم أن عدد الرسل كان احدى عشر لغياب يهوذا مسلمه عنهم ولابد متياس لم يكن من الاثنى عشر فور قيامة الرب. مع ذلك فمن المحتمل جداً أن يكون الرب قد ظهر لهم بعد اختيار متياس الرسول الذي من المؤكد أيضاً أنه رأى الرب وعاش بعض الوقت مع التلاميذ حتى قبل اختياره فمن ثم يمكن اعتباره من الاثنى عشر الذين ظهر لهم الرب :

«.. فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا (صعوده) يصير واحدٌ منهم شاهداً معنا بقيامته» (أع ١ : ٢١، ٢٢)

ولا ينسى الرسول نفسه كآخر من ظهر له الرب يسوع (أع ٩) بهدف جذبه للتوبة والإيمان في الطريق إلى دمشق. وكيف أنه أصبح إناءاً مختاراً من الله يتألم من أجله بل ويموت أيضاً من أجله. وعجيب هو اتضاع هذا الرجل العظيم الذي يعتبر نفسه «سقطاً» بسبب تأخره في قبول الإيمان وهو الذي كان فيلسوفاً ومن المفروض أن يكون في الصفوف الأولى للمؤمنين والكارزين.

بحكم معرفته القوية بالناموس وكذلك الفلسفات.

[٩، ١٠] «.. لأني أصغر جميع الرسل أنا الذي لست أهلاً لأن ادعى رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاه لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي»

ولكن على أي الحالات سواء كنت أولاً أو أخيراً .. كاملاً أو سقطاً، العامل في الحقيقة هو نعمة الله التي تخدم وتغير وتعطي للكارزين برهان الروح والقوة، النعمة الفائضة التي استخدمته وهو سقط ليتعب ويكرز أكثر من جميع الرسل. وأنه لم يكن أكثر من مجرد إناءٍ صالح لتستخدمه النعمة وتغير به الناس. شأنه شأن كل الرسل والكارزين..

[١١] «.. وسواء أنا أم أولئك هكذا نكرز وهكذا آمنتم»

ثانياً : الرب يسوع الباكورة : (قيامته وقيامتنا) (١٢- ٢٨)

يركز الرسول في هذا الجزء على أن **خير دليل على قيامة الرب إلى جوار شهود الظهور هو الاعتقاد في قيامة الأموات** وهو يقسم كلامه إلى:

١- دليل عقلي على حقيقة القيامة (١٢- ١٩)

وفي هذا يأخذ الرسول الموضوع من وجهة النظر العكسية حتى يثبت الأولى، بمعنى أنه سيشرح لنا ما يترتب على إنكار حقيقة قيامتنا من الأموات كدليل منطقي عقلي لتأكيد قيامة المسيح التي تعني أيضاً قيامتنا فيقول:

[١٢، ١٣] «.. ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات. فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام »

وعلى هذا يعلق القديس يوحنا ذهبي الفم ويقول:

[[لماذا اتخذ المسيح جسداً حين جاء إلى العالم إذا لم يكن مزمعاً أن يقوم بالجسد؟ انه لم يكن في حاجة لهذا الجسد إلا من أجلنا. ثم يحلل الرسول هذا القول فيقول: ان لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام فهو يربط بين الأمرين، لأن المسيح لم يكن في حاجة إلى إقامة نفسه لذا فلم يكن يعنيه إلا إقامة الآخرين. الرسول بولس لم يتعرض لموضوع التجسد بل القيامة

الآخرين. لأن المسيح لم يبطل الموت لكونه قد تجسد بل لأنه قد مات، لأنه لو ظل في الجسد لبقى للموت سلطانه]]

[١٤-١٧] «.. وإذا لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زورٍ لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون. لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم »

ما هي كرازتنا إذن؟ وبماذا ننادي أو ماذا نتعب لأجله ان لم يكن المسيح قد قام؟ إننا ننادي بقيامة الرب التي بها عتقنا من خطايانا وتخلصنا من اللعنة القديمة وصارت لنا النصرة على الشيطان والموت. بماذا نكرز لكم ان لم يكن حدث القيامة مؤكداً؟ كرازتنا وقتها إذن باطلة وضرب من الهوس والأوهام. وهل يعقل أن يتعب أحد بل يموت في سبيل كرازة باطلة؟ المسيح قام يا أحبائي ودليل ذلك قيامتكم جميعاً فيه من خطاياكم وأيضاً قوة الكرازة فيكم!

وإلا سنكون كمثل شهود زور.. نشهد عن شيء وهو لم يحدث. وهذا أيضاً لا يُعقل لأن الذي قال : «.. **لا تشهد بالزور**» (انظر خر ٢٠ : ١٦) هو الذي أرسلنا لنكرز لكم بقيامة ابنه فمن السخف التفكير في إنكار قيامة الرب.

لأن انكار قيامة الرب المترتب على انكار قيامة الراقدين مُبين أن المسيح قد جاء إلى العالم بلا سبب فلماذا جاء إذن؟ إن لم يكن لأجل قيامتنا نحن لأنه بطبيعته قائم وغالب للموت فهو رب الحياة.

وان كان المسيح لم يقم وسلمنا بذلك جدلاً. نصبح الآن مازلنا تحت خطايانا لأن بموته أبطل سلطان خطايانا رافعاً خطية العالم..

«.. هوذا حمل الله الذي يحمل خطية العالم » (يو ١ : ٢٩)

وبقيامته أعطانا الغلبة. إن لم يكن المسيح قد قام.. فخطاياكم باقية.. وأنتم بعد تحت العبودية.. بماذا تؤمنون اذن؟ وفيما تعتقدون بخصوص تطهيركم؟

[[سمى المسيح حملاً كي يذبح فإذا لم يقم فهو لم يذبح إذن.. وان كان لم يذبح فالخطية لم ترفع اذن.. وان كانت الخطية لم ترفع فأنتم مازلتم في خطاياكم، فكرازتنا باطلة، وان كانت كرازتنا باطلة فإيمانكم بأنه قد تمت المصالحة صار باطلاً وهكذا سيبقى للموت سطوته ان لم يكن المسيح قد قهره بقيامته. لأن من يمسه الموت فلا يفلت من أنيابه أو يقهره كيف يستطيع

أن ينقذ الآخرين من الموت وهو المغلوب منه على أمره؟]] (القديس يوحنا ذهبي الفم) لهذا السبب أضاف الرسول فوراً..

[١٨] « .. إذن الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا »

أين الرجاء إذن الذي ماتوا فيه..؟!

لقد قبلوا كل شئ على رجاء الحياة الأبدية.. وتحملوا الكثير لأجل ذلك.. أفي النهاية يهلكوا؟!

وهذه النتيجة الصعبة جداً والمترتبة على انكار قيامة المسيح وبالتالي قيامتنا تجعلنا نعود ونؤكد إيماننا بقيامة الرب. ذلك لأن كل الذين رقدوا في المسيح وعلى رجائه قد نالوا المواعيد التي انتظروها.. إذن هناك قيامة للأموات.. مؤكدة على أساس حتمية قيامة الرب يسوع من الأموات أيضاً.

بعد ذلك يستطرد الرسول في تخيل ما نعانيه ان لم يكن المسيح قد قام..

[١٩] « .. ان كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس »

ان لم يمت الجسد ويقوم ثانية يبقى الإنسان بلا مجد ولا اكليل يُعد له في السماء. فإن كنا نقول أن المسيح لم يقم أو حتى لم يمت.. تبقى لنا فرصة الحياة في الجسد فقط التي مآلها كما نعلم التراب الذي اخذنا منه ويبقى أن نقف أمام الله حاملين خطايانا ونجاستنا التي شبعنا منها في فرصة الحياة بالجسد، وبذلك نصير أشقى جميع الناس بسبب المصير الذي ينتظرنا.. وأيضاً بسبب زوال العالم الذي نرجوه من المسيح فقط رجاءً ناقصاً..

ب - القيامة كأساس قيام المسيحية وكمال التدبير (٢٠ - ٢٨)

المسيح يا أحبائي ادخل إلى عالمنا قوة جديدة.. جددت فينا رجاء الخيرات الأبدية أنرفضها ونكتفي بالأرض والتراب؟!

المسيح أقامنا بقيامته صائراً بنفسه باكورة الراقدين ليهبنا مجد قيامته ويحقق لنا رجاء الحياة الأبدية، وهذا هو أساس ايماننا المسيحي.

[٢٠] « ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين »

وكدليل آخر على قيامة الأموات.. فنقول أن لفظ الباكورة نفسه يعني بالضرورة أن يتبعه حصاد آخر، فالباكورة هى بداية الحصاد وفي الوقت المناسب – تمام النمو – يتم جمع الحصاد كله (أنظر لا ٢٣: ١٠– ١٢) وقد كان اليهود في عيد الباكورة يرددون أمام الرب أول حزمة حصاد شعير اشارةً وإعلاناً بأن الحصاد كله له.

من هنا نفهم أن كون المسيح له المجد باكورة الراقدين يلزم بالضرورة أن يتبعه الكل قائمين من الموت ولكن حين أوان الحصاد، أعني القيامة العامة.

ومن جهة التدبير اللاهوتي للخلاص كان المسيح هو الباكورة في قيامته وصرنا نحن كلنا حصاده لما قبلنا معموديتنا وتحقق فينا أمر الدفن والقيامة كقول الرسول:

« دفنا معه بالمعمودية حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جـده الحياة (الحياة الجديدة المقامة) **»** (رو ٦: ٤)

بعد ذلك يعود الرسول بولس ويذكر لنا دليلاً آخر على ارتباط قيامتنا بقيامة الرب يسوع فيقول:

[٢١، ٢٢] «.. فإنه إذ الموت بإنسان. بإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيَا الجميع »

والحديث هنا عن سقطة أبوينا الأولين التي استتبعها بالضرورة موت البشرية كلها نتيجة للخطية **«.. موتاً تموتا»**، ذلك لأن البشرية كلها كانت في صُلْب آدم حينما أخطأ.

أما قوله بإنسان كان الموت فلا يعني به أن الإنسان هو مصدر الخطية والموت لأننا نعلم أن الشيطان هو علة الشر والخطية في الوجود. إنما المقصود هنا أن الإنسان حينما أطاع المشورة الرديئة وأخطأ جلب على نفسه ونسله اللعنة والعار وحكم الموت. ولكن يا لغنى مراحم الرب الذي لما متنا جميعاً في آدم. لم تتحمل أحشاؤه[1] أن ترانا وقد قوى علينا ابليس وحكم الموت حق في يده، أخذنا جميعاً في جسده وفي فكره وفي عمق تدبيره لنكون معه فوق الصليب لنموت ونحيا قيامة لا يغلبها الموت بعد! ولم يكن في احتياج لكل ما عمله بل عمل الكل لحسابنا. فمتى

---

(١) في صلوات لفان عيد الغطاس يصلي الكاهن ويقول:

[قدوس قدوس أنت أيها الرب وقدوس في كل شيء. أنت الإله الكائن غير المحدود وغير المبتدئ وغير الموصوف. أتيت على الأرض وأخذت شكل العبد وصرت في شبه الناس ولم تتحمل يا سيدنا من أجل رأفات رحمتك أن تنظر جنس البشر وقد قوى عليه إبليس فأتيت وخلصتنا. نعترف بالنعمة ونبشر بالرحمة ولا نخفي إحسانك لأنك أتيت وخلصتنا].

عدنا لننكر ذلك نحن بالحقيقة نضر أنفسنا ونتنازل في غباء عن مجد عظيم صنعه الرب لنا من أجل محبته.

وأعتقد أن هذا الدليل الأخير يعتبر أقوى دليل على قيامة الرب لأنه يمس احتياج الإنسان الذي اختبر مرارة الموت بسبب الخطية وحق له الآن أن يفرح بالقيامة، فاشتياقه للفرح بالقيامة سوف يجعله بالضرورة يؤمن بقيامة الرب يسوع من الأموات لأجله.

ولعل قائل يقول إذا كان الأمر هكذا ، حسناً فلن يقوم من الأموات إلا من هم في المسيح أما باقي البشر – الذين لم يؤمنوا بالمسيح – فلن يقوموا!

في الحقيقة الرسول بولس يركز بالأكثر على موت وقيامة أعمق بكثير من موت الجسد وقيامته وهو يقصد بجوار الموت الجسدي. الموت الروحي والأدبي بل والأبدي الذي أصاب الطبيعة البشرية بالسقوط في آدم . هذا عالجه الرب يسوع وادخل في طبيعة المؤمنين به غلبته.

وهذه الغلبة سوف لا تعفيهم الموت الجسدي بل تجعلهم يعتبرونه رحلة وممراً ومعبراً لعالم المجد الباقي في السماء بقاءاً أبدياً. فالكل يموت هذا الموت الجسدي – مؤمنون وغير مؤمنين – والكل سيقوم في القيامة العامة، ولكن يعبر إلى الملكوت الأبدي من آمن وعمل في محبته لإيمانه بالرب يسوع أما من لم يؤمن أو من آمن إيماناً ميتاً بلا ثمر فسيعبر إلى الهلاك والإزدراء الأبدي حسب قول رب المجد نفسه:

« .. تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يو ٥: ٢٨، ٢٩)

هذا ولكي لا يتطرق في ذهن أحد شكٌ آخر قال لهم:

[٢٣] **« .. كل واحد في رتبته. المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه »**

لئلا يقول قائل قد قام المسيح. هذه حقيقة. فما بال الأموات كما هم لم يقوموا؟

القديس بولس هنا يمارس بالروح القدس ذكاءه الذي عهدناه فيه حينما يستخدمه الرب للحديث عن الأمور المعقدة مثل هذه. الكل سيقوم ولكن بحسب تدبير الله، بما أن المسيح هو الباكورة فبديهي جداً أن يقوم هو أولاً. ثم متى كملت أيام الحصاد يأتي أوان الجمع ويقوم الكل كما رأينا أن الباكورة إعلان أن الحصاد كله هو للرب كما الباكورة أيضاً. وهو هنا يقرر أيضاً موضوع مجيء الرب للدينونة حتى يتكامل الموضوع الذي يبحثه من كل جهة ولا يترك مجالاً لكي يجتهد أحد باجتهاد أو فتوى شخصية.

وقد ينسحب كلام الرسول أيضاً على موضوع الرتب في الملكوت. بمعنى أنه ليس الجميع سيتمتعون بنفس النصيب في المجد (٤١) كما أيضاً في العقاب. فموضوع الرتب الذي يقصده هنا هو هذا التفاوت. طبيعي أن تكون الباكورة مميزة جداً عن باقي الحصاد ولكنها منه – لأن السيد المسيح هو منا بالجسد – وإلا لما كانت باكورة لها رتبة خاصة سيبحثها الرسول تواً. يأتي بعد ذلك القديسين والشهداء وفي مقدمة الكل المعمل الإلهي السماء الثانية بل ملكه السمائيين – السيدة العذراء والدة الإله مريم القديسة.

نعود الآن لموضوع مجئ الرب لنجد الرسول يقرره في هدوء عجيب:

[٢٣، ٢٤] «.. المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه وبعد ذلك النهاية»

فمتى قام الراقدون في مجئ الرب يكون كل شئ قد انتهى ويبدأ زمان العدل والدينونة الأخيرة، هذا الفكر هو ما قاله الطوباوي أيضاً:

«.. لأنه ان كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع – الذين للمسيح – سيحضرهم الله معه – سيقومون – ... إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجئ الرب لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب» (١تس ٤ : ١٤– ١٧)

انه موقف عجيب سيشبع كل نفس تتوقعه بالحب وتعيشه بالرجاء وتتشوق إليه كل يوم وتقول لماذا يبطئ ربي عن المجئ؟ ... أسرع وتعال يا مخلصي حتى ينتهي زمان غربتي وأكون معك في كل حين. وهذا العزاء أيضاً لم يفت رسولنا العظيم أن ينوه عنه فقال:

«.. لذلك عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام» (١تس ٤ : ١٨)

في الجزء القادم (حتى العدد ٢٩) يضعنا بولس الرسول أمام غموض شديد نقترب إليه ونحن نصلي أن يرشدنا الروح القدس ويفسر لنا ويرسل القديس بولس ليرينا ما الذي يقصده مرافقاً إيانا ومصلياً لأجلنا. يقول الرسول أن النهاية ستكون:

[٢٤ – ٢٦] «.. متى سلم – المسيح – الملك لله الآب. متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة. لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدو يبطل هو الموت»

صعب جداً علينا الأخذ بالتفسير الحرفي لهذه الأعداد، فسوف نقع في أخطاء كثيرة كما يقول ذهبي الفم:

[[سيكون المسيح قد تنازل عن الملك ولم يعدله سلطان. ولا يقتصر هذا المعنى على ما فيه من سخف بل يعني أيضاً أن الآب قبل تسلمه الملك لم يكن يملك السلطان. من ثم – بحسب هذا المعنى – لم يكن الآب ملكاً قبل أن يتسلم السلطة. ولم يعد للابن سلطان بعد تسليمه الملك للآب. كيف يستقيم المعنى مع قول الابن عن نفسه «أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضاً أعمل» (يو ٥: ١٧) وكيف نفسر قول دانيال عنه:

«.. سلطانه سلطان أبدي مالن يزول وملكوته مالا ينقرض» *(دا ٧: ١٤)؟]]*

هناك اذن معنى روحي ولاهوتي في الوقت نفسه علينا بحثه بنعمة الرب. حقاً أن الرب يسوع قد أكمل كل تدبير الخلاص والفداء على الصليب. وفي صليبه قد أخضع الكل له.

«.. محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب إذ جرد الرياسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه»
(كو ٢: ١٤، ١٥)

ولكننا مازلنا نرى ونشعر أن لإبليس وأعوانه قوة مازالوا يعملون بها في العالم وكأنهم لم يُخضعوا بعد، هنا نقول أنه مازال هناك عمل يعمله المسيح طالما أن الشيطان مازال يعمل بأفكاره وإغراءاته. صحيح أن شوكة الموت قد نُزعَت في الصليب ولكننا بسبب ضعف إيماننا نخاف ونسقط من مجرد زئيره كأسدٍ مربوط! لذلك مازال الرب يسوع يعمل حتى يخلصنا إلى التمام من كل ضعف ومن كل وهمٍ. لذلك قال «متى أبطل» أي متى أفسد حيل إبليس ومكره وخططه التي يدبرها لهلاك البشر دون ما سلطان منه بل بضعفهم هم. إبليس مازال يترأس على أمم وممالك لم تطلب الرب يسوع ليكون سيدها ورأسها، مازالت أجناد الشر تبث سمومها ومشوراتها لأجل هلاك البشر في كثير من بلدان العالم وللأسف الشديد مازال العالم يقبل الغواية ويتنازل عن حريته وكرامته في المسيح لأجل سلطة وكبرياء وعظمة مادية، دور إبليس فيها مجرد الغواية وليس السلطان.

يتضح الآن أن ما يقصده الروح القدس هو أن النهاية ستكون متى سلم المسيح الملك لله – وهذا ما سنبحثه – وذلك سيكون متى أبطلت كل قوة إبليس الفاعلة في الكون كقول الرسول أيضاً:

«.. ان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر. مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف ٦ : ١٢، ١٣)

ولا يخفى علينا أن نصرتنا في هذه الحرب موكولة لنعمة الروح القدس العامل فينا، وأيضاً بجهادنا وثباتنا وتمسكنا بمواعيد الخيرات الأبدية وثقتنا في عمل الله وقدرة ابنه يسوع المسيح.

عن فعل المسيح معنا في العهد الجديد يقول الرسول:

[٢٥- ٢٧] «.. لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع أعدائه تحت قدميه. آخر عدو يبطل هو الموت. لأنه أخضع كل شئ تحت قدميه»

بمعنى أننا جميعاً يجب أن نخضع لملكنا السماوي المتحنن الذي يقودنا في موكب نصرته كل حين (٢كو ٢ : ١٤) حتى نتذوق معه نصرتنا الأكيدة على كل قوات الظلمة والشر. وأقسى ما يمكن محاربتنا به هو الموت، ورغم ذلك سندوسه بنعمة الرب العاملة معنا. أما عن ابطال الموت فسوف يكون في تحرير الأجساد من قبضته والتي ظن إبليس أنه لن يستطيع أحد النجاة من يده كما يقول بذلك ذهبي الفم :

[[عندما يحطم الرب إبليس الذي جلب الموت فإنما يكون قد حطم عمله أيضاً]]

وكلمة (حتى) هنا لا تفيد نهاية ملك الرب يسوع ومحدوديته بإخضاع الكل له. ولكنها تفيد ان سلطان الرب يسوع وقوته غير متناهية إلى الدرجة التي سيدوس فيها جميع أعدائه وأعداء شعبه. ثم بعد ذلك - بعد أن ترتاح الأرض من الحروب ويرتاح شعبه من المحاربات - يسلم الملك إلى الآب. ليس **عن تخلي عنه** بل عن إعلان لكمال التدبير الإلهي وإتمام العمل الذي من أجله جاء. وهنا يقول القديس ذهبي الفم:

[[المسيح يقول «دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (متى ٢٨ : ١٨) ناسباً كل شئ إلى الآب الذي ولده - أزليا - لا لعدم كفاية بل ليبين أنه ابن ومولود غير مخلوق. هذه المملكة إذن يسلمها بمعنى يوصلها إلى نهاية مناسبة]]

«.. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو ١٧ : ٤، ٥)

وعن كمال التدبير هذا يقول الرسول بولس أنه بالمسيح صار للبشرية بمختلف أجناسها القدوم والدالة لدى الآب بلا مانع وبلا عائق سوى عدم الإيمان بالمسيح فيقول:

«.. فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين لأن به لنا كلنا البعيدين والقريبين – قدوماً في روح واحد لدى الآب» (أف ٢ : ١٧، ١٨)

وهذا هو مفهوم الخضوع الذي سيشرحه بولس في الأعداد التالية ويمكننا الاستزادة في موضوع «..يجب أن يملك حتى..» إذا ما تذكرنا أن ملكوت الرب يسوع المقصود هنا هو سيادته على قلوبنا. وتتويجنا إياه ملكاً وربّاً على الكل حتى ينتصر بنا ولحسابنا على كل الأعداء وآخرهم أي أقواهم الموت. وبعد ذلك تصير النهاية حين يطمئن قلبه على رعيته أنه انتصر لهم وأكمل تدبيره وأوصلهم بصليبه إلى مكان الملكوت الأبدي الدائم، حيث ندخل أحضان الآب مرة أخرى فرحين بالعودة، وحيث يجلس هو نفسه – الرب يسوع – ممجداً كطبيعته بل رب المجد حتى وان كان قد تخلى عن مجده لأجلنا فترة تجسده.

[٢٧، ٢٨] «.. لأنه أخضع كل شئ تحت قدميه ولكن حينما يقول أن كل شئ قد اخضع فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل. ومتى اخضع له الكل فيحنئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل»

هنا الرسول بولس يمس حقيقة لاهوتية بشئ واسع من الحذر لخطورة تأويل الآيات إلى غير ما يقصده..

فهو يقرر أنه ان كان الرب يسوع قد أخضع الكل فمازال الآب خارجاً عن دائرة خضوعه[1]. وهذا حق للآب لأنه علة كل وجود وينبغي له دوماً الخضوع حتى من ابنه الرب يسوع كما سنرى. والعجيب أن القديس بولس يقرر فعلاً أن الابن أيضاً سيخضع! وذلك حتى يكون الله الكل في الكل علامة على كمال التدبير كما قلنا آنفاً.

في هذه الأعداد نرى توافقاً عجيباً بين رغبة وارادة الآب وبين طاعة وارسالية الابن، فالهدف واحد هو أن يعمل الابن حتى يخضع الكل لأبيه! وهذا ليس غريباً لأنه **«.. بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته»** (عب ١ : ٣)

من هنا نفهم موضوع الخضوع أنه إلى جوار اخضاع الكل له وتسليم العمل في كمال التدبير، هو أيضاً يعني خضوعاً بكون الابن يسوع المسيح لا يحمل أبداً إرادة مخالفة لإرادة أبيه وهذا في حد ذاته خضوع..!!

---

(١) دائرة خضوع الإبن فيها الإبن هو الرأس لكل المخلوقات والكل خاضع له. ولكن يبقى الأب خارج هذه الدائرة منتظراً خضوع الإبن بكون الآب علة وجود الابن أزلياً وفيه كل الخليقة بكون الآب أيضاً علة وجودها زمنياً.

«.. الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك.. انا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً.. لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني» (يو ٥: ١٩، ٣٠)

في هذا الشاهد نفهم أكثر أن الابن لا يحمل إرادة شخصية منفردة عن ارادة الآب بل هما واحداً في الإرادة. لأننا لو تصورنا أن للابن ارادة منفردة نكون قد سلمنا بوجود قوتين إلهيتين. وهذا هو المحظور الذي نخشاه، أن ننادي بثنائية الوجود الإلهي. وهنا نبتعد تماماً عن الحق كما يقول القديس فم الذهب:

[[ولكن ماذا يعني بالقول «.. يكون الله الكل في الكل»؟

أي أن كل شئ يتوقف عليه حتى لا يُظن أن هناك سلطتين لا بداية لهما وان هناك مملكة للابن منفصلة بذاتها. فعندما يخضع الأعداء تحت قدمي الابن فلا فرق بين ذلك وبين أن يكونوا تحت قدمي الآب، بل في توافق وتكامل يصبح الله هو الكل في الكل.

منذ تلك اللحظة فصاعداً سيخضع الجميع لمشيئته ولن يكون هناك شر فحينئذ يكون الله هو الكل في الكل]] (القديس يوحنا ذهبي الفم)

ثالثاً : القيامة أساس الجهـاد : (٢٩- ٣٤)

بعد أن أوضح الرسول بولس قيامة الرب بالدليل العقلي والمنطقي مبينا عمل السيد المسيح بعد القيامة وأنه كان لابد من القيامة والصعود والجلوس عن يمين الآب بالبشرية ليكون لها قدوم لديه. الأمر الذي أسماه خضوع الإبن، يعود الآن مرة أخرى ويحدثنا عن ضرورة القيامة ولكن من منظور أخلاقي أدبي سلوكي حتى بذلك يكون قد وفى اثباتات القيامة من كافة نواحيها فيقول:

[٢٩] «.. وإلا فماذا يصنع الذين يعتمدون من أجل الأموات. إن كان الموتى لا يقومون البتة فلماذا يعتمدون من أجل الأموات»

وقد ثارت على هذه الآية تساؤلات وصعوبات كثيرة ولكن رأي ترتليانوس إنها تشير إلى عادة قديمة كان يتبعها الوثنيون الذين يموت لهم عائل أو قريب كان قد آمن بالمسيح وهم لم يعتمدوا

---

(١) تذكر معي ما فعله في أثينا حينما دخل ورآها مملوءة أصناماً. (أنظر أع ١٧: ٢٢، ٢٣)

بعد، فقد كانوا يتقدمون للمعمودية رغبة في الحصول على الشركة معه في مصيره الأبدي بعد الموت. حتى يكونوا معه كل حين يمارسون معه كل أمور المحبة التي ألفوها في وجوده معهم على الأرض.

وهذا الرأي وان كان ضعيفاً إلا أنه يخدم إلى حد بعيد رغبة الرسول في التدليل على القيامة. وهو الذي استخدمه الروح القدس وطوع ثقافته وفلسفته لخدمة الكرازة [1]. فقد كان يستغل عادات الشعوب حتى يجذبهم بما في اعتقادهم إلى الاعتقاد القويم حتى يثبت العقائد فيهم.

هذا وهناك رأي يقول أن الوثنيين كانوا يعتمدون لحساب أخيهم المتوفي دون معمودية لعل معموديتهم هم تنفعه وبها تغفر خطاياه حين يعمدوا لحسابه. ولكن هذا الرأي ضعيف جداً لم يأخذ به أحد.

إنما الرأي الأول هو الأقرب إلى الحقيقة لأننا ومازلنا نرى البعض يؤتون بأعمال معينة مما كان يفعلها المنتقلون عنا، وهم حينما يفعلون ذلك يعتبرونه اكراماً واعزازاً لمن رحل عنهم.

في اختصار.. سواء كانت هذه عادة خرافية أو حقيقية هى تدل بنوع أكيد على اعتقاد الذين يمارسونها في أن هناك قيامة بعد الموت. ومن الواضح أنها كانت تمارس بكثرة ودليل ذلك أن الرسول بولس يذكرها في تركيز واختصار دون إسهاب، لعلمه أنهم يعرفونها ويمارسونها.

بعد ذلك يتطرق معلمنا بولس إلى الجهاد من أجل الكرازة والإيمان ويدلل به أيضاً على القيامة فيقول:

[٣٠] «.. ولماذا نخاطر نحن كل ساعة »

أي أنه إن لم تكن لنا قيامة بعد الموت لا يبقى لنا رجاء في راحة وحياة أخرى نرتاح فيها من أتعاب الأرض ونجاهد هنا بمخاطرة للحصول عليها هناك. خصوصاً وان ما يدعونا إليه الرب يسوع هو طريق كرب وباب ضيق علينا اجتيازه حتى نحصل على الملكوت، فكيف نقبل هذه الآلام دون رجاءٍ في حياة أخرى ننعم فيها بالهدوء والسلام؟

[١٩] «.. إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فنحن أشقى جميع الناس»

رجاء القيامة يعطينا ان نصير ونثابر ونستهين بالآلام لعلمنا أن:

«.. خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدي » (٢كو ٤ : ١٧)

أما عن هذه المخاطر فاسمعه يقول لهم:

«.. في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات. في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في أسهار في أصوام» (٢كو ٦ : ٤، ٥)

[٣١] «.. إني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم»

الرسول يعتبرهم وقد آمنوا بالمسيح قد صاروا سبب افتخاره أمام الرب يسوع. وقال أيضاً لأهل تسالونيكي **«أنتم مجدي وفرحي»** (١تس ٢ : ١٩، ٢٠). وحتى هذه الآية يقولها لا لشئ إلا ليدلل على القيامة فهو يقبل أن يموت كل يوم حتى ينال الافتخار في يوم الدينونة حيث تمتحن النار عمل كل واحد (١كو ٣ : ١٣- ١٥). ويصيروا هم فخره ومجده وفرحه وأكليله . فلو لم تكن قيامة للأموات، على أي رجاء إذن في افتخار، هو يسعى ويجاهد ويكرز ويعرض نفسه للموت كل يوم؟ ولكي يوضح لهم جزءاً مما عاناه يقول:

«.. ان كنت كإنسان قد حاربت وحوشاً في أفسس فما المنفعة لي (ان كان الموتى لا يقومون؟) **»** (ع ٣٢)

فقد كان في أفسس معبداً لأرطاميس (إلهة القمر عند اليونانيين) فلما رأوه ينادي بإله آخر هاجوا عليه كالوحوش وأرادوا قتله..

«.. حدث في ذلك الوقت شغبٌ ليس بقليل.. فلما سمعوا امتلأوا غضباً وطفقوا يصرخون قائلين عظيمة هي أرطاميس الأفسسيون فامتلأت المدينة كلها اضطراباً واندفعوا بنفس واحدة إلى المشهد خاطفين معهم غايوس وارسترخس المكدونيين رفيقيْ بولس في السفر» (أع ١٩ : ٢٣، ٢٤)

ويقول الرسول بولس: ان كنت كإنسان. يريد أن يوضح أيضاً حقيقة القيامة. ان كنت أنا انسان عادي غير مرسل من قبل المسيح ولا حتى مؤمن به، ما الذي يدفعني وما المنفعة لي من محاربة الوحوش في أفسس؟ أما وأنا قد أؤتمنت على رسالة الإنجيل فيجب أن أنادي به على رجاء قيامة الأموات (أع ١٧ : ٣١، ٣٢) أجاهد وأكرز وأتعرض للموت كل يوم..

«من أجلك نمات كل النهار» (رو ٨ : ٣٦)

لذلك استطرد وقال:

[٣٢] «.. ان كان الموتى لا يقومون لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت»

طالما ليست هناك قيامة وغداً نموت موت الحيوانات ونفنى ، لماذا نضيق على أنفسنا ونخاطر

ونحتمل؟.. لنحيا حياتنا بالطول والعرض .. لنأكل ونشرب ونسكر ونعربد طالما لا توجد قيامة وبالتالي لا يوجد دينونة وحساب!! وهذا أيضاً دليل على قيامة الرب وقيامتنا أيضاً، يريد أن يقول لهم على أي رجاء تسعى يا من تلتزم بالأخلاقيات الإنسانية؟ وأي هدف تروم لو لم تكن الحياة الأبدية مشتهاك؟ فالتزامنا الأدبي والأخلاقي يوضح أن هناك حياة أخرى سنحياها ونثاب أو نعاقب فيها بهذا المقياس الأخلاقي الأدبي النابع من التدين الحقيقي والإيمان بالرب يسوع.

[٣٣] «.. لا تضلوا فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة»

أي دعوكم من مهاترات الوثنيين ولا تضلوا معهم وتعيشوا بحسب المبدأ القائل «لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت» لأنه فاسد وردئ سوف يحرمكم بركة إيمانكم إذا عشتم بمقتضاه.

والرسول هنا يعمم هذا المبدأ وقد استعاره من شاعر يوناني قديم [١]، ان التصاقنا بالناس الأشرار ومعاشرتنا لهم تفسد أخلاقنا الجيدة لذلك طوب الكتاب الرجل الكامل:

«.. طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس» (مز ١ : ١)

وغنيّ عن الكلام هنا ما تفعله المعاشرات الرديئة من تأثير سيئ على أولادنا وشبابنا الذي يفرط في أحسن سنوات عمره في علاقات خاطئة ثم يعود ليندم وقد صار حطام انسان بسبب المعاشرات الرديئة. صدق الرسول بالروح القدس حين اعتبرها ضلالاً!

وهنا في الرسالة كأن الرسول يقول لهم ان اعتراضهم على مبدأ القيامة نشأ أساساً كاعتقاد خاطئ نتيجة ضلالهم وراء المعاشرات الرديئة التي جعلتهم يقولون لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت لذلك ينصحهم ونحن معهم قائلاً:

[٣٤] «.. اصحوا للبر لأن قوماً - فيكم ومعكم - ليست لهم معرفة بالله أقول ذلك لتخجيلكم»

اصحوا للبر، هذا هو المقابل لكلمة لا تضلوا.. الإنسان الضال هو كمن ينام فينسى ذاته ويسير بلا هدى في طريق لا يعرف نهايته. وهنا قد اعتبر ضلالهم هو عن جهل وعدم معرفة بالله [٢]

---

(١) هو مينندر Menander حوالي سنة ٢٩٣ ق.م. وقد كان نص القول «.. الكلمات السيئة تفسد الضمائر السليمة» بحسب تحقيق ابن العسال.

(٢) الكلمة في اليونانى αγνωσια = agnosia تعني أكثر من مجرد الجهل وقد جاءت بمعناها في الآية في ٢ بط ٢ : ١٥ قد تركوا الطريق المستقيم فضلوا تابعين ضلالة بلعام بن بصور الذي أحب أجرة الإثم»

وعبث ردئ ومجاراة للفلسفة الوثنية الفاسدة.

وهناك اشارة خفية إلى أن جوهر المعرفة الحقة بالله وبالكتب تنطوي على الاعتقاد في القيامة ذكرها الرب يسوع في (مر ١٢ : ٢٤) حين سأله الصدوقيون عن مصير المرأة التي تزوجها سبعة اخوة في القيامة لمن تكون؟ فأجابهم الرب:

«.. لهذا تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله» (مر ١٢ : ٢٤)

لعلكم إذن أيها الكورنثيون تخجلون من أنفسكم وقد صرتم هكذا ظاهرين ومكشوفين في ضوء كلمة الله، وتقوموا من هذا العبث والفساد ولا تنكروا قيامة الرب وقيامتكم أيضاً، بل ليكن هذا الاعتقاد سبب بركة لكم ودافع قوي إلى الحياة بحسب البر والتيقظ الدائم والاستعداد مثلي أنا بولس ان تموتوا كل يوم من أجل الرب على رجاء القيامة»

رابعاً : القيامة ومجد الملكوت : (٣٥- ٥٠)

١- كيفية القيامة :

بعد ذلك يصف معلمنا بولس مجد القيامة وطريقتها بمشابهات من الطبيعة حتى يقرب إلى الأذهان فكرتها وضرورتها. ويؤكد حقيقتها. ذلك بفرض أن أحدهم أرسل يسأله:

[٣٥، ٣٦] «.. كيف يقام الأموات وبأي جسم يأتون. يا غبي الذي تزرعه لا يحيا ان لـــم يمـت»

لعل توبيخ الرسول هنا بقوله يا غبي لا يقصد به الغباء المعنى المفهوم بل يعني به التغافل وعدم دراية الإنسان بالأمور الطبيعية حوله. ودليل ذلك أن الرسول أخذ في إيراد مشابهات في الطبيعة لتوضيح فكرة لعلمه لإحتياج المتسائل لأنه لا يعرف ليس عن غباء بل عن جهل وعدم دراية. الإنسان بالأمور الطبيعية حوله. ودليل ذلك أن الرسول أخذ في إيراد مشابهات في الطبيعة لتوضيح فكره لعلمه لإحتياج المتسائل لأنه لا يعرف ليس عن غباء بل عن جهل وعدم دراية.

يبني الرسول كلامه هنا على تشبيه قاله رب المجد نفسه:

«.. ان لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير» (يو ١٢ : ٢٤)

وهو يشبه الجسد أو الذات بحبة الحنطة لا يمكن أن تنال حياةً كاملةً دون أن تموت مثل حبة البذار. ان لم تدفن في الأرض .. ويغمرها الطين والمياه . ويسود لونها وتتهرأ قشرتها. ان لم يحدث لها ذلك فلن تثمر ولن تنمو منها الشجرة التي هى كمال الحياة لتعطي ثماراً فبذاراً كثيرة. وما افتخار الحبة إذن بذاتها وهى وحدها؟ حقاً ان الحياة كامنة فيها ولكن ما فائدتها دون أن تثمر الثمر الكثير المكمل لدورة حياتها؟ هكذا الجسد أخذنا فيه بذرة القيامة والحياة الأبدية كإمكانية ولكي تثمر فينا هذه الحقيقة يجب أن يموت لتستعلن بعد ذلك امجاد القيامة منه. جسد القيامة النوراني أخذناه في المعمودية ولكنه مخفى الآن تحت ثقل وكثافة الجسد الترابي الذي يصلح فقط للتعامل مع العالم. هذا الجسد الترابي يذكرني بقشرة الحبة التي تذيبها المياه وأملاح التربة حتى تأخذ بذرة الحياة دورها في النمو من جذر فساق إلى أغصان وأوراق وثمر.. وفي النهاية تختفي الحبة كذات وتبدو الحياة التي كانت فيها. هكذا الجسد بحسب كلمات الكتاب أيضاً إذ يقول:

«.. فإن سيرتنا نحن هى في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسده في المجد»

(في ٣: ٢٠، ٢١)

فالرسول يقصد لا تغيير الجسد بل تغيير شكله أي استعلان المجد المستتر فيه. وهذا ما أسماه الكتاب أيضاً فداء الأجساد..

«.. نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو ٨: ٢٣)

وبطريق آخر نقيس أنفسنا على قيامة الرب يسوع. لقد إختزل الوقت الذي تتغير فيه الأجساد من جسد مادى ترابي إلى جسد نوراني ممجد ، اختزل إلى ثلاثة أيام قضاها الرب يسوع في القبر بالجسد. هذا الوقت في حياتنا يناظر ما أخذناه في المعمودية – دفننا وقيامتنا – ولكن سيستعلن في الزمان الأخير. أما بقيامتنا ان كنا قد انتقلنا من الأرض أو بتغييرنا في الإختطاف إن كنا مازلنا أحياءً لمجئ الرب:

[٣٧، ٣٨] **«.. الذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقي (بواقي البذار) ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد ولكل واحد من البذور جسمه»**

ولعل «كما أراد».. تذكرنا بخلقة النباتات حيث أعطى الله للإنسان أنواعا مختلفة من النباتات والبذور بتباين واضح . يورد هنا الرسول هذا الكلام لكي يعد به أمام الإنسان نماذج مختلفة من

امكانيات الحياة التي تنمو من موت البذار حتى لا يتساءل ويستغرب أحد منا عن كيفية القيامة لذلك يقول أيضاً:

[٣٩ - ٤١] «.. ليس كل جسد جسداً واحداً بل للناس جسد واحد. وللبهائم جسد آخر وللسمك آخر وللطير آخر وأجسام سماوية وأجسام أرضية لكن مجد السمويات شئ ومجد الأرضيات آخر مجد الشمس شئ ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد»

استمراراً للحديث عن مخلوقات الله الناس - والبهائم والسمك والطير.. ، يورد الرسول الحديث عن الأجسام السماوية والأجسام الأرضية. ولعله يقصد بالأجسام السماوية كاصطلاح يقصد به عادة الشمس والقمر والنجوم وغيرها [١]. ويفرق الرسول بين مجد الأجسام السماوية التي تضئ بسبب ما فيها من حرارة ولمعان. ومجد الأرضيات التي تظهر بهائها بأوضاعها وأشكالها وألوانها ولكل منها بهاءه الخارجي الذي يميزها عن غيرها لذلك لا نشك في أن الله قادر على أن يزود الجسد المقام بالمجد الذي يلائمه.

ومما هو جدير بالدراسة أيضاً أن هناك فوارق في المجد بين الأجسام السموية أيضاً «مجد الشمس شئ ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد» فكل جسم يضئ بمجده بحسب استطاعته الذاتية على التكيف مع مصدر المجد وهكذا أيضاً سيكون شأن أجسادنا المقامة ستضئ بالمجد بحسب قدرة استيعاب كل منها وهذه دالة في قرب أو بعد الإنسان عن الحياة الروحية أثناء حياته الأرضية. وهذا ما يميز القديسين من بعضهم ومن باقي المؤمنين. ولكن لن يشعر أحد أنه محروم من المجد ولن يقارن أحد نفسه بآخر أكثر منه في المجد لأنه كما قلنا كل سيأخذ بحسب ما يستوعب فلن يشعر باحتياج أو حرمان ولن يجد نفسه مضطراً أن يقارن نفسه بغيره. تماماً كما يجلس مجموعه من الناس على مائدة يأكلون فيقوم الكل وقد شعر بالشبع ولكنهم تفاوتوا في كمية ما أكلوه من أطعمة بحسب استيعاب معدة كل منهم. هكذا في المجد الكل سيشبع وان اختلفوا في مقدار ما أخذوه من مجد.

---

(١) الكلمة جسد في قوله « للناس جسد واحد » أتت بمعنى Flesh. وفي قوله « أجسام سموية » أتت بمعنى حيز أو وجود Bodies وهذا ما يخدم تفسيرها على الشمس والقمر والنجوم.

٢ - طبيعة جسد القيامة :

يقول عنه القديس بولس الرسول:

[٤٢، ٤٣] «.. هكذا أيضاً قيامة الأموات يُزرع في فساد ويقام في عدم فساد. يزرع في هوان ويقام في مجد يزرع في ضعف ويقام في قوة »

والزرع هنا المقصود به دفن الجسد. هذا متى تأملنا الوضع مقارنةً بتشبيه البذرة التي تدفن لتموت ثم تأتي بثمارها. أما الفساد والهوان والضعف الذي يقصده الرسول بولس فما هو إلا حالة الجسد وهو يعود إلى التراب الذي أخذ منه إذ يبدأ يدب فيه التحلل كطبيعة الخلية الحية متى ماتت. ويتلاشى الجسد عائداً إلى أصله لحين القيامة العامة ليقوم بهياً بالطبيعة الجديدة التي أعطيت له كإمكانية من قبل في المعمودية كما قلنا فيقوم الجسد نافضاً عنه الفساد والهوان والضعف لابساً قوة القيامة - قيامة المسيح - التي تضمن له عدم الفساد والمجد وكذلك القوة.

وإذا تساءلنا عن مجد الجسد المقام يرد علينا بولس أيضاً في (فى ٣ : ٢١) قائلاً:

«.. المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده »

فجسد تواضعنا هو ما نحيا به الآن. الجسد المعرض للمرض والألم والإحتياج ثم الموت والتحلل والفساد كقمة ضعف الجسد ولكن بنعمة المسيح متى جاء الرب في مجده سوف يغير شكل هذا الجسد لنكون مثله في المجد أي سنلبس نفس جسد قيامة السيد الممجد. وهنا نقول أن تغيير الجسد الذي نبحثه وما سوف يحدث لنا بعد موتنا ورقادنا وانتظارنا سنيناً لحين القيامة العامة قد اختزل في حياة السيد المسيح إلى ثلاثة أيام قام بعدها بجسده الممجد ليرينا امكانية تغيير الجسد حقيقة مؤكدة أمام أعيننا . فنحن سنلبس بالفعل جسد قيامة الرب الممجد بحسب قول الكتاب أيضاً.

«.. متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد » (كو ٣ : ٤)

أما عن كون الطبيعة الممجدة مستقرة فينا منذ المعمودية ومنتظرة تكميل الجهاد وفداء الأجساد فقد قال عنها الرسول:

«.. لأنكم قد متم (في المعمودية) وحياتكم (قيامتكم) مستترة مع المسيح (القائم) في الله» (كو ٣ : ٣)

وإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن هذه المفارقات أعنى الفساد والهوان والضعف في مقابل عدم الفساد والمجد والقوة. لننظر للرب يسوع كيف باحتماله الآلام صار منظره هكذا مفسداً أكثر من

الرجل (اش ٥٢ : ١٤) وكيف احتمل كل صفوف الهوان والمذلة:

«.. لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه محتقر ومخزول من الناس»
(اش ٥٣ : ٢، ٣)

ثم في قمة الضعف يجلدوه ويصير هزأةً وعاراً ولعنةً فوق الصليب لأجلنا. وفي قيامته يقوم في جسد مجده لا يعاني فساداً. ممجداً مجداً لم تألفه البشرية من قبل وفي قوة مكنته من اختراق القبر رغم الحجر والختوم وكذا دخل العلية والأبواب مغلقة. كل هذه الامكانيات سنأخذها في جسدنا الممجد مجد المسيح متى جاء هو وجعلنا مثله على صورته في المجد. هذا عن حالة الجسد من جهة الفساد وعدمه والهوان والمجد والضعف والقوة. أما عن طبيعة الجسد بعد القيامة فيقول الكتاب..

[٤٤] «.. يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً»

وللكلمة «حيواني» مرادفات وردت في (١كو٢ : ١٤) بمعنى «طبيعية» وفي رسالة معلمنا يعقوب (يع ٣ : ١٥) بمعنى «أرضية نفسانية شيطانية» والمقصود بها في كل المواضع الطبيعية الجسدية التي تتكيف لكي تلائم أغراض الحياة الدنيا. هذه الطبيعة هى المؤلفة من اللحم والعظام أما الجسم الروحاني – جسد القيامة – فهو جسد ممجد نوراني، مشكل من الروح وامكانياتها وكلنا نعلم أن وجود الروح هو المبدأ السائد في حياة الإنسان العقلية والأخلاقية والدينية. وبذلك يكون الجسد الروحاني هو ما يناسب طبيعة الإنسان الداخلي الذي زُرِع فينا وتغيرنا إليه سراً في المعمودية آخذاً قوته ووجوده ومجده من الرب.

«.. أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق»
(أف ٤ : ٢٢، ٢٣)

وهذا الجسد الروحاني مع كونه يخلو من طبيعة الجسد الأرضية الترابية إلا أنه ليس معنى ذلك إنكاراً لذاتية الجسد ووجوده ، ولا ادماجه وتلاشيه في الروح . بل هو طبيعة جديدة خارقة سيتغير إليها الجسد الأرضي ليتنعم بها في الملكوت أو يعذب بها في جهنم. وهذا حقه ومآله بحسب اشتراكه مع الروح في العمل الصالح أو الشرير أيام كان معها في حياته الأرضية. هذا الجسد وان كان لم يعد مؤلفاً من اللحم والعظام إلا أنه له ماديته الخاصة ولكن بوضع متغير مهذب مصفى غير منغلب من الجسديات الأرضية ليناسب الحياة السماوية لذلك قال الرسول أيضاً:

[٤٤] «.. يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني»

بمعنى أنه مادام الله يهيئ لنا سبيل الحياة الحاضرة بجسد مادي (حيواني) فهو بلا شك قد هيأ لنا سبيل الحياة المستقبلة بجسد روحاني نوراني.

[٤٥] «.. هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفسا حية وآدم الأخير روحاً محيياً»

فنحن في آدم نأخذ الطبيعة الجسدية وهبة الحياة الطبيعية أو الحيوانية وفي المسيح نأخذ الطبيعة الروحانية وهبة الحياة الروحية التي تناسب الخلود. وهنا لاحظ معي أن التغيير الذي طرأ على جسد ربنا عند القيامة لم يكن مجرد انتقال من الموت إلى الحياة بل إلى حياة أسمى وأرقى وأفضل مما عرف البشر من قبل . حياة يمكنها أن تهب من ذاتها للآخرين ومن ثم قال عنه الرسول «روحاً محيياً» وأيضاً لم يقل الرسول «آدم الثاني بل آدم الأخير» قاصداً أن يدلل أنه بعد المسيح لن يكون هناك رأس آخر للجنس البشري يهبه حياة أفضل.

«.. الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو ٦ : ٦٣)

ولكي يفرق الرسول زمنياً ومادياً بين الجسداني والروحاني عاد ليؤكد قوله:

[٤٦، ٤٧] «.. لكن ليس الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني. الإنسان الأول من الأرض ترابي والإنسان الثاني الرب من السماء»

ولعل في قوله «الرب من السماء» ما يؤكد اعتقادنا الأرثوذكسي باتحاد لاهوت رب المجد بناسوته المأخوذ من طبيعتنا الترابية حتى يرفعنا فيه إلى السماء التي نزل منها لفدائنا. وأيضاً يعتبر هذا اشارة إلى رفعة خلقتنا وسموها عن الخلقة الترابية التي ورثناها من آدم الأول. فنحن لن نتغير إلى الجسد الروحاني إلا ليمكننا معايشة السماء والتحقق من كل ما فعله الرب يسوع لأجلنا واهباً إيانا الحياة الأبدية ، لذلك قال الرسول أيضاً:

[٤٨، ٤٩] «.. كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضاً وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي»

ونحن هنا نعود ونركز على قولنا سابقاً أننا بالمعمودية دفنا الجسد الترابي المخلوق في آدم والذي فسد بالخطية وصار عتيقاً ولبسنا صورة الرب يسوع – السماوي – في قامة القيامة من الأموات. أما لفظة المستقبل في قوله «سنلبس» فهي تشير إلى كمال خلاصنا واستعلان الطبيعة الروحانية السماوية التي خلقنا عليها في المعمودية ، وهذا ما سوف يحدث في مجئ الرب مرة ثانية لتمجيد القديسين ودينونة الأشرار الأمر الذي درسناه ودعاه الكتاب فداء الأجساد كما رأينا.

ولكي يختم القديس بولس الرسول حديثه عن الملكوت السماوي يطالعنا بعبارة قاطعة ينفي تماماً بها امكانية الحياة في السماء بجسدٍ مادي من لحم ودم.

[٥٠] «.. فأقول هذا أيها الأخوة أن لحماً ودماً لا يرثان ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد»

وقد يقول أحد أن ما قاله الرسول هنا تحصيل حاصل ومعلومات قديمة بالية يعرفها الجميع ولكني أرى أنه شعر لزاماً عليه إنهاء الحديث بهذه المقولة حتى يقطع الفرصة أمام أي مدعي أننا في الملكوت سنحيا كما كنا على الأرض بجسد ودم ماديين لأن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً كما نعلم. وان اللحم والدم سماها الكتاب هنا «الفساد» والمقصود بذلك ليس أنهما فساداً في ذاتهما بل هما عرضة للفساد ووراثة الخطية فهذا ما حدث في آدم إذ حينما أخطأ فسدت معه الطبيعة البشرية.

ولكن بقيامة الرب يسوع من الأموات غلبنا فساد الطبيعة هذا وأصبحنا مؤهلين لميراث عدم الفساد بحسب قول الرسول بطرس.

«.. مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم (منتظر الاستعلان وفداء الأجساد) » (١بط ١ : ٣، ٤)

سادساً : لقاء للغلبة النهائية : (٥١- ٥٨)

بعد أن أوضح الرسول على مدى الأصحاح عقيدة القيامة وأهمية الإيمان بها وأدلتها وكذا درجات المجد، يختم الآن قوله بحديث شيق عن لقاء الغلبة النهائية على الموت .. آخر عدو يبطل وان كان قد قصد ضمنياً كيفية تغيير الفاسد إلى عدم الفساد وكيف سنلبس صورة السماوي كما لبسنا صورة الترابي فقال:

[٥١، ٥٢] «.. هوذا سرٌ أقوله لكم. لا نرقد ولكننا كلنا نتغير، في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير»

وقوله عن ذلك أنه سر ، فالمقصود به أنه قد أعلن له سرياً من قبل كيفية حدوث هذا التغيير. أو أنه كموضوع اهتمام المؤمنين ظل سراً حتى أخبرهم به بولس. بدليل أنه قد أعلنه لأهل تسالونيكي مفصلا إذ قال:

«.. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب أننا نحن الأحياء الباقين إلى مجئ الرب لا نسبق الراقدين لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب» (١تس ٤ : ١٥ – ١٧)

هذا السر هو نزول الرب لاختطاف المؤمنين على سحاب السماء، اللحظة التي يتغير فيها الأحياء الباقون ويقوم فيها أيضاً الراقدون ويجتمع الكل مع الرب وقديسيه في سحاب السماء.

وبوق الله هو الأداة التي سوف يستخدمها الرب لجمع مختاريه من أنحاء الأرض للاجتماع به أحياءاً كانوا فيتغيرون أو أمواتاً فيقومون، وهذا ما أعلنه رب المجد حينما قال عن مجيئه الثاني:

«.. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع رياح من أقصاء السموات إلى أقصائها» (مت ٢٤ : ٣١)

وللبوق قصة طويلة في الكتاب المقدس إذ صار صوت البوق علامة على حضور الله:

«.. وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً فارتعد كل الشعب الذين في المحلة » (خر ١٩ : ١٦)

وهنا نزل الرب من السماء بمجده وأعطى الشريعة المكتوبة للشعب وكذلك استخدم البوق في مناسبات عديدة نذكر منها:

+ جمع الشعب عموماً ولاسيما في الأعياد والمناسبات الدينية:

«.. كلم الرب موسى قائلاً اصنع لك بوقين فضة مسحولين تعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات» (أنظر عدد ١٠ : ١ – ١٠)

+ قرب مجئ يوم الرب وخلاص إسرائيل:

«.. يكون في ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون في أرض أشور والمنفيون في أرض مصر ويسجدون للرب في الجبل المقدس في أورشليم» (اش ٢٧ : ١٣)

«.. اضربوا بالبوق في صهيون صوتوا في جبل قدسي ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب» (يؤ ٢ : ١)

+ ولعل قوله: **«البوق الأخير»** يذكرنا بالملاك السابع آخر من بوق في الكتاب المقدس ليعلن

ويتم باعلانه سر الله كما بشر عبيده الأنبياء (رؤ ١٠ : ٧)

هذا ولعل قول الرسول بولس «**نحن كلنا**» يعكس لنا كيف كانت الكنيسة تتوقع بالصبر وتعيش حقيقة مجئ الرب . لقد كان بولس يتوقع أن يكون حياً عند مجئ صوت البوق! أو لعله قال ذلك حتى يلهب مشاعرهم بانتظار ذلك اليوم المجيد، وترك ما ساروا فيه من خطايا وبدع وسلوكيات رديئة ذلك لأنه عاد وتحدث عن موته ربما بسبب إصابته بشوكة الجسد التي هددت صحته فقال لتلميذه تيموثاوس..

«.. فإني أنا الآن اسكب سكيباً ووقت انحلالي قد حضر» (٢تى ٤ : ٦)

نعود للرسالة لنجد أن هذا البوق – بوق الله – نذير القيامة من الأموات.

[٥٢، ٥٣] «.. فإنه سيبوَق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن – الأحياء – نتغير لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت»

وفي الحقيقة الأحياء والأموات سوف يجوزون تغييراً من نوع ما.. ليكون الكل في مجد يليق بالقديسين ويستطيعوا أن يحتملوا مجد الله ويتوافقوا مع قداسته. والشق الأول من الآية (هذا الفاسد يلبس عدم فساد)، ربما يقصد به الأحياء والثاني (هذا المائت يلبس عدم موت) يقصد به الأموات. وعلى أي الحالات ان كان الموت الذي نجتازه وسماه الكتاب «**زرع**» هو وسيلة الدفن كحبة حنطة أو أحد البواقي لتأتي بثمار الحياة ، يصير بذلك الموت هو وسيلة التغيير لأنه كما رأينا هو المجال الذي نشترك فيه مع الرب الذي «**أُسلِم لأجل خطايانا وأقيم لتبريرنا**» (رو ٤ : ٢٥)

[٥٤] «.. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة»

هذه الكلمة المكتوبة جاءت في سفر اشعياء النبي:

«.. يبلع الموت إلى الأبد» (اش ٢٥ : ٨)

والكلمة يبلع العبرية جاءت بمعنى يدل على حالة من النشاط الداخلي (الحياة) تحول دون تطرق الفساد والانحلال لمدة غير محدودة (إلى الأبد) وجاءت في الانجليزية بمعنى (يدمر destroy) وهى بكلا المعنيين توضح نجاة الإنسان من الموت الأبدي الأمر الذي صار كبركة عظمى من بركات الصليب المحيي (اشعياء النبي في الفقرة اش ٢٥ : ٦– ١٢ يتحدث عن الخلاص من الأعداء – موآب – كصورة مصغرة للخلاص النهائي من الأعداء الروحيين).

ولكن الرسول بولس يخلع على الكلمة معنى أوسع وأجمل ثم في تهليل وبهجة كأنما اهتزت نفسه حينما تذكر القيامة صاح قائلاً:

[٥٥] «.. أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية»

وهذه الفكرة مقتبسة من (هو ١٣ : ١٤) حيث تنبأ هوشع عن رجوع اسرائيل إلى استقلالهم فقال:

«.. أين أوباؤك يا موت أين شوكتك يا هاوية»

ولكن الاقتباس ليس مضبوطاً لا من النص العبري ولا من اليوناني. ولعله مأخوذ من ترنيمة مسيحية صيغت حول هذه العبارة ومثل هذه الترانيم كثيرة في «أناشيد سليمان» (١).

وعلى أي الأحوال الكلمة تفرحنا بانجاز هذه النبوات أو المواعيد أو البركات بهذه الطريقة التي تدفعنا كما دفعت بولس إلى التهليل ولعل ما يوضح ذلك قول الكتاب:

«.. تحيا أمواتك تقوم الجثث. استيقظوا ترنموا يا سكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة» (اش ٢٦ : ١٩)

«.. فتعلمون أني أنا الرب عند فتحي قبوركم واصعادي إياكم من قبوركم ياشعبي» (خر ٣٧ : ١٣)

ولأن الرسول صاغ ترنيمة في صورة تساؤل **«أين شوكتك.. أين غلبتك»** عاد ليوضح للمؤمنين بركات الخلاص التي أنقذهم من شوكة الموت وقوة أو غلبة الهاوية فقال :

[٥٦] «.. أما شوكة الموت فهي الخطية وقوة الخطية هي الناموس»

فالخطية هي شوكة الموت لأن بها ينغرس الموت فينا كأجرةٍ لها، ونتيجة في الوقت نفسه. وهنا يخيل إليَّ أن الموت يتجسد في صورة حية قاتلة بأنيابها السامة ليفترس المؤمنين. (أنظر رو ٥ : ١٢ لترى أنه بدون الخطية لا يكون للموت سلطان علينا) أما عن نجاتنا من الخطية كشوكة للموت ففي الزمان الأخير سننجو حتى من معرفة الخطية وننطلق إلى الحياة في المجد الأبدي. ذلك لأن الموت نفسه لن يوجد هناك بحسب قول الكتاب :

«.. سيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد» (رؤ ٢١ : ٤)

---

(١) كتاب ترانيم مسيحية يرجع تاريخه إلى القرن الأول والثاني.

وقوة الخطية هى الناموس، أي أن الخطايا الخفية التي يفعلها الإنسان عن جهل تصير في ضوء الناموس عصياناً سافراً ضد الله وبذلك يقف أمامها الناموس الإلهي مطالباً بحق عدل الله: موتاً تموت.

هذا وقد حلل الرسول هذا المفهوم تحليلاً وافياً في رسالته إلى رومية ولكنه يوجزه هنا مما يدل على أنه كان موضوع كرازته وتعاليمه في كورنثوس.

اقرأ معي (رو ٧: ٧- ١٣) لنرى كيف صارت الخطية واضحة ومكشوفة ومعلنة بمجرد دخول الناموس الذي أظهر قوتها.

«.. لم أعرف الشهوة .. انها شهوة وخطية - لو لم يقل الناموس لا تشته »

وكيف تبلور مفهوم حكم الموت بالناموس حتى يوضح أمام الإنسان نتيجة الخطية وأجرتها..

«.. أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً - غير عالم بخطيتي شوكة الموت - **ولكن لما جاءت الوصية** - وكشفت الخطية - **عاشت الخطية فمت أنا »**

وقد كان هذا قصد الله من الناموس المكتوب أن يدرك الإنسان أن أجرة الخطية هى موت وأن الخطية خاطئة جداً ، ولقد أدى الناموس هذا الدور تماماً.

والمتتبع لسياق الحديث في (رو ٧: ١٤- ٢٤) سيرى الصراع القوي داخل الإنسان.. حيث تتنازعه نواميس مختلفة.. ناموس الخطية والموت.. ناموس ذهني .. الضمير المنغلب من الخطية.. ناموس الله .. هذا الصراع الذي احتدم جداً وصرخ معه بولس شاعراً بقوة الخطية فقال...

«.. ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت » (رو ٧: ٢٤)

وهنا تتفق الرسالتان إلى رومية وإلى كورنثوس في النتيجة الحتمية لعمل الرب يسوع الخلاصي إذ في كلتيهما يشكر الرسول بولس الرب..

«.. أشكر الله بيسوع المسيح ربنا » (رو ٧: ٢٥)

[٥٧] **«.. ولكن شكرا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح »**

هذه الغلبة في ذهن الرسول ليست فقط حريته في المسيح بل بل هي غلبة نهائية يتخلص بها الإنسان المؤمن من كل خطية وشبه خطية. غلبة توقفه منتصراً منتظراً الرب يسوع الآتي لاختطاف الغالبين.

«.. من يغلب يرث كل شئ وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً » (رؤ ٢١ : ٧)

سابعاً : خاتمة عملية لموضوع الأصحاح :

[٥٨] «.. إذن يا اخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب»

لم يجد الرسول بولس أقوى من هذه الوصية حتى يثبت المؤمنون أكثر فأكثر في الإيمان بالرب يسوع وعدم الإنقياد للمحاربات وزعزعة الإيمان. وذلك بالإكثار في عمل الرب كل حين أعني أعمال المحبة التي نوجهها لله من عبادة وصوم وصلاة وبذل وخدمة وعطاء وسهر . الأمور التي يمكن اعتبارها أعظم ضامن للإيمان وحافظاً له من الضعف والضياع مهما كلف الإنسان ثباته في الإيمان من تعب [١] وجهد مضنٍ فذلك لن يضيع باطلاً لأن الله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة.

✠...✠...✠

(١) الكلمة «تعب» في الأصل اليوناني لا تعني مجرد العناء الذي يبذله الإنسان في عمل ما، بل تنصرف إلى الإنهاك الذي يعقب جهد مضن يبذل فيه الأنسان كل قواه.

www.difaaiat.com

﴿ الأصحاح السادس عشر ﴾

خاتمة الرسالة

مقدمة : في هذا الفصل يختم الرسول بولس كلامه إليهم بوصايا خاصة كثيرة حتى يكون كلامه إليهم شاملا ولا يفوته أن يذكر الكل ويوصي الكل. ذلك في النقاط التالية:

أولاً : ارشادات في جمع التبرعات لفقراء أورشليم (١ – ٤)

ثانياً: حديثاً في أموره الخاصة ومشروعات أسفاره (٥ – ٩).

ثالثاً: توصية لقبول تلميذه تيموثاوس (١٠، ١١).

رابعاً : اشارة سريعة إلى أبلوس (١٢).

خامساً: طلبه إليهم عن أنفسهم ورعاتهم (١٣ – ١٨).

سادساً: تحيات المؤمنين والأصدقاء لهم (١٩ – ٢١).

سابعاً: انذار – بركة ختامية (٢٢ – ٢٤).

أولاً : فقراء أورشليم : (١ – ٤)

وقصة الجمع لأجل فقراء أورشليم بدأت حينما تنبأ أحد الأنبياء عن الجوع المزمع حدوثه هناك..

«.. وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية – مكان تواجد الرسول بولس – وقام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئاً خدمة إلى الأخوة الساكنين في اليهودية ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول (بولس)» (أع ١١ : ٢٧ – ٣٠).

وكانت توصية الرسل بالجمع ليست فقط بهدف جمع المعونات بل أيضاً بهدف تقرير وبلورة روح الوحدة وحياة الشركة التي كانت تحياها كنيسة الآباء الرسل. فأوصى بولس في مجال كرازته بهذا الجمع كما أشار هو في الآية الأولى:

[١] «... أما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً»

وقد جاءت وصيته لأهل غلاطيه بصورة ضمنية كتكليف خدمة استلمه من الآباء التلاميذ حينما أعطوه يمين الشركة فقال:

«.. فإذا علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا (بطرس) ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وهم للختان غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله» (غلا ٢ : ٩، ١٠)

لذلك نرى اهتمام الرسول عظيماً جداً في تشجيعه وحثهم على مشاركة اخوتهم في محنتهم لأخذ بركة هذا العمل الذي يخدم حياة الشركة بينهم فقال عنهم لأهل رومية:

«.. لأن أهل مكدونية وآخائية (كورنثوس) استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم استحسنوا ذلك وأنهم لهم مديونون» (رو ١٥ : ٢٦)

وقد كان تدبير الرسول لهم في حرص وتدقيق حتى يطمئن كل من يعطي أن أمواله سوف تذهب بأمانة إلى من يستحقها... فقال :

[٢] «..في كل أول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذ»

وقد كانت هذه أول اشارة إلى حفظ يوم الأحد (اليوم الأول) والظاهر أن تسمية يوم الرب (رؤ ١ : ١٠) لم تكن قد استعملت بعد.

أما قول بولس «خازناً ما تيسر» فنفهم منه أن المال كان يخزن في البيوت ولا يؤخذ إلى الكنيسة بل عند عودة الرسول يتم الجمع من المنازل بصورة منظمة بحسب طاقة كل واحد بمعنى آخر، أن كل مؤمن كان يخزن عشوره مثلاً ويجمعها في مكان منفصل في البيت لحين تجميع هذه المبالغ لصرفها في أمور الخدمة. وهذا هو مفهوم الكنز الذي تحدث عنه رب المجد يسوع في (مت ٦ : ٢٠) فقال:

«.. اكنزوا لكم كنزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب السارقون ويسرقون»

وأيضاً قول بولس لتلميذه تيموثاوس :

«.. ان يكونوا أسخياءً في العطاء كرماء في التوزيع مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية» (١ تى ٦ : ١٨ ، ١٩)

ولعل هذا أيضاً يخدم كلام رب المجد حينما أوصانا بالعطاء في الخفاء فقال:

«.. متى صنعت صدقة فلا تُعرِّف شمالك ما تفعله يمينك» (متى ٦ : ٣)

فبدل أن يذهب المؤمنون إلى الكنيسة وفي كل اجتماع أو قداس يتصدقون بجزء من مالهم مما يعرضهم لحروب عدم الخفاء هذه.. أوصاهم بولس بوضع عطاياهم في البيوت حتى متى عاد يجمعها كلها مرة واحدة! ولا يضطر للتنبيه المتكرر على أهمية الجمع (لا يكون حينئذ جمع).

هذا وقد عين الرسول بولس مندوبين عن الكنائس المختلفة التي كرز فيها وجمع منها ليرافقوه إلى أورشليم لتسليم عطايا كنائسهم وابلاغهم أن اعاناتهم قد وصلت وقدمت للفقراء وقد كان هؤلاء المندوبين من اختيار المؤمنين وليس اختياره الشخصي حتى يضمن أن لا يعثر فيه أحد.

[٣] «.. ومتى حضرت فالذين تستحسنوهم أرسلهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم»

ولكننا بمطالعتنا لسفر أعمال الرسل (اع ٢٠ ، ٤ ، ٥) نجد أنه كان هناك مندوبون من كنائس مكدونية وغلاطية وآسيا ولم يكن أحد من كورنثوس فإما ان تكون كنيسة كورنثوس لم تكن قد استعدت بعد لإرسال تقدماتها، وإما أن تكون قد سلمتها ليد بولس نفسه منعاً أو تخوفاً من تكرار ما سبق فيها من غش واستغلال. ولعل قوله «ارسلهم برسائل» يدل على تحوطه الشديد لمنع وقوع مثل هذا الاستغلال وضياع أموال الفقراء و هذا ما يفسر لنا أيضاً كلامه لهم حينما قال:

[٤] «.. وان كان يستحق أن أذهب أنا أيضاً فسيذهبون معي»

ولذلك تخبرنا رسالة رومية أن بولس الرسول ذهب بالعطية (أنظر رو ١٥ : ٢٦ ، أع ٢٤ : ١٧). ومن الشواهد المختلفة لهذا الموضوع يمكننا في نقاطٍ أن نستخلص طبيعة تدبير العطاء في العصر الرسولي أو ما يمكننا اعتباره نموذج التدبير.

- التبرع بانتظام وفي اجتماع الافخارستيا (يوم الرب – أول الأسبوع)

- إحسانٌ بمعنى تقدمة شكر لله وعطف على فقرائه (رو ١٥ : ٢٦- ٢ كو ٨ : ١- ٤)

- عطاء بسخاء وتوزيع بكرم (١تى ٦ : ١٨، ١٩)

- التدقيق والتنظيم وحسن التصرف مثل تنظيم الحسابات والميزانية ونشرها أمام الكنيسة واختيار الأمناء للتصرف فيها. (١كو ١٦ : ٣، ٤)

ثانياً : مشروعات أسفاره : (٥- ٩)

بولس في هذا الجزء يعد الكورنثيون بزيارتهم بعد أن يجتاز بمكدونية. وقد تمت هذه الزيارة فعلاً التي استغرقت ثلاثة شهور في الشتاء التالي..

[٥، ٦] «.. وسأجئ اليكم متى اجتزت بمكدونية. لأني أجتاز بمكدونية وربما أمكث عندكم أو أشتى أيضاً لكي تشيعوني إلى حيثما أذهب »

والمطالع لسفر أعمال الرسل في (أع ٢٧ : ٩- ٢٠) يرى كيف كان السفر في الشتاء خطراً ومتعذراً مم يرجح أن بولس قد شتى عندهم فعلاً (قضى شهور الشتاء هناك) ودليل ذلك قوله لهم:

[٧] «.. لأني لست أريد أن أراكم في العبور- عابراً بزيارة سريعة - لأني أرجو أن أمكث عندكم زماناً إن أذن الرب »

لقد كان بولس يفكر ربما في رحلة تبشيرية إلى فيلبس وتسالونيكي وبيريه (بلاد مكدونية) (أنظر ٢كو ٢ : ١٣) وكان في مقدورة أن يمر عليهم من أفسس (مكان كتابة الرسالة) إلى كورنثوس ثم ينطلق إلى تسالونيكي عن طريق ترواس ولكن في هذه الحالة سيصعب عليه الاقامة طويلاً عندهم وهو كان يرجو أن يمكث عندهم زماناً لذلك فضل أن يمكث في أفسس واضعاً في نيته أن يجتاز مكدونية وكورنثوس ثم يذهب إلى أورشليم (أنظر أع ١٩ : ٢١).

[٨، ٩] «.. ولكنني أمكث في أفسس إلى يوم الخمسين. لأنه قد انفتح لي باب عظيم فعال ويوجد معاندون كثيرون »

ومن هذا (مع أع ٢ : ١ ؛ أع ٢٠ : ١٦) نرى أن الكنيسة الأولى كانت قد بدأت في إعتبار يوم الخمسين عيداً عظيماً والاحتفال به. ولهذا السبب فضل بولس أن يستمر في الاقامة في أفسس حتى ينتهي الشتاء ويحتفل مع مؤمني أفسس بعيد الخمسين خصوصاً وقد انفتح له عندهم

باب فعّال للخدمة والكرازة والخلاص.

ولكن المتتبع لسياق الأمور في (أع ١٩ : ٢٣- ٤١) يرى أنه قد حدثت هناك ثورة أثارها ديمتريوس الصانع هياكل الفضة لأرطاميس إلهة الأفسسين اضطرت الرسول أن يغادر المدينة معجلاً بالرحلة إلى أورشليم ماراً بكورنثوس حيث قضى شتاءه هناك بحسب وعده (انظر الخريطة الخاصة بالرحلة التبشيرية الثالثة للرسول بولس في آخر الكتاب).

ثالثاً : توصيته لهم بقبول تلميذه تيموثاوس : (١٠، ١١)

[١٠، ١١] «.. ثم إن أتى تيموثاوس فأنظروا أن يكون عندكم بلا خوف لأنه يعمل عمل الرب كما أنا أيضاً. فلا يحتقره أحد بل شيعوه بسلام ليأتي إليّ لأني أنتظره مع الأخوة»

هنا يبدو أن الرسول بولس يريد من الكورنثيين أن يكرموا تيموثاوس ولا يحتقروه بسبب صغر سنه وطريقته الهادئة في تصرف الأمور. ويبدو أيضاً على حد وصف الرسول لتيموثاوس نفسه أنه كان خجولاً رقيق المزاج.. فنراه يحدثه قائلاً:

«.. لهذا السبب أذكرك ان تضرم أيضاً موهبة الله التي فيك بوضع يدي لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢تى ١ : ٦، ٧)

«.. تقو أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع» (١تى ٢ : ١)

لذلك طلب منهم اعتباره لأنه يقوم بالخدمة مثله ، الخدمة التي هى عمل الرب. وأيضاً لأنه صار تلميذاً مشهوداً له من الأخوة (أنظر اع ١٦ : ١- ٣).

أما كلمة الأخوة في الشاهد (١كو ١٦ : ١١) فربما المقصود بها المؤمنين في أفسس. أو الأخوة المسافرون مع تيموثاوس الذين ذكر منهم أرسطوس (أع ١٩ : ٢٢).

رابعاً : اشارة سريعة إلى أبلوس : (١٢)

[١٢] «.. أما من جهة أبلوس الأخ فطلبت إليه كثيراً أن يأتي اليكم مع الأخوة ولم تكن له ارادة البتة ان يأتي الآن. ولكنه سيأتي متى توفق الوقت»

ويفسر العلامة أوريجانوس هذا الكلام بقوله أن أبلوس وهو رجل قديس ومحب للسلام وعالم بنزعة التحزب في كنيسة كورنثوس أراد أن لا يشجع بحضوره الذين زعموا أنه رئيسهم وتحزبوا له وبذلك يصير رفضه السفر اليهم فضيلة إذ لا يريد أن تتكرس فكرة التحزب مرة أخرى حتى لا يقسم كنيسة المسيح (أنظر تفسير ١كو ١ : ١٣).

ولعل كلمة البته هنا تفيد اصراره على عدم الذهاب وهذا ان دل على شئ فسيدل على انكاره لذاته وهروبه من تعلقهم المريض به رغبةً في توجيه أنظارهم للرب يسوع الذي وحده له كل العمل وهو الذي ينمي.

على أي الحالات لقد وعدهم بولس أن أبلوس سوف يذهب إليهم متى توفق الوقت أي متى حانت الفرصة ورآهم قد أصلحوا من أنفسهم وتنازلوا عن التحزبات والانقسامات.

خامساً : طلبه إليهم عن أنفسهم ورعايتهم : (١٣- ١٨)

[١٣، ١٤] «.. اسهروا اثبتوا في الإيمان كونوا رجالاً تقووا ولتصر كل أموركم في محبة»

لم يجد الرسول بولس أجمل من هذه الوصايا القصيرة ليختم بها رسالته إليهم حتى متى أطاعوا لا يعودوا مرة أخرى لما قد سقطوا فيه من خطايا حدثهم عنها وتركوها بنعمة الرب.. اسهروا.. هى وصية قديمة طلبها منا الرب يسوع إذ قال:

«.. ما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا» (مر ١٣ : ٣٦)

+ **اسهروا** حتى لا يتسلل إبليس بينكم ويزرع مرة أخرى الانشقاقات والتحزبات ويسرق منكم ثباتكم ونموكم.

+ **واثبتوا في الإيمان**.. أي كونوا راسخين غير متزعزعين.. لا تتزعزوا سريعاً عن ثباتكم حتى لا تقعوا فيما وقعتم فيه من تجاسر وخطايا ضد الإيمان المسلم لكم منا.

+ **وكونوا رجالاً .. تقووا** .. أي لتكن لكم الجدية والنشاط في العمل الروحي وكفاكم العيش زماناً طويلاً في متع وملذات الحياة الأرضية وليكن في أيديكم أيضاً سلاح الله حتى بقوته تنتصروا ويدوم انتصاركم.

والمتأمل في الأربع وصايا القصيرة السابقة يدرك تسلسلها الطبيعي.. فالسهر يقوي ويثبت

الإيمان.. والإيمان الثابت يخلق في الإنسان الجدية ويقوي عزمه على الثبات في التجارب والتصدي بقوة لمحاربات عدو الخير..!!

وأخيراً يختم وصيته بأهمية المحبة في كل أمورهم.. مقرراً لنا أن علة الإنقسام في الكنيسة بل وعلة كل ضعف هي فتور المحبة. ولعله بقوله «كل أموركم» يركز على أهمية المحبة في كل ظروف وملابسات الحياة اليومية والمعاملات الدائمة والمتكررة بين المؤمنين. أو ربما يقصد .. كل أفكاركم ومشاعركم وأعمالكم إذ يجب أن تسود المحبة وتهيمن على حياة الإنسان المسيحي كلها.

بعد ذلك يوصيهم الرسول بالخضوع إلى الخدام (بيت اسطفاناس) الذين رسمهم الرسل ورتبوهم لأجل الخدمة في كورنثوس. على أساس من الحب والدراية بحجم البذل والمعاناة اللذين يتحملونهما ككهنة للرب وخدام لبيته فيقول:

[١٥، ١٥] «.. أطلب اليكم أيها الأخوة. أنتم تعرفون بيت اسطفاناس انهم باكورة آخائية وقد رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين. كي تخضعوا أنتم أيضاً لمثل هؤلاء وكل من يعمل معهم ويتعب»

بعد ذلك يعلن لهم الرسول فرحة للقائه مع المندوبين الكورنثيين الذين جاءوا إليه ليسألوه ويطمئنوه على حال الكنيسة عندهم..

[١٧، ١٨] «.. ثم أني أفرح بمجئ استفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس لأن نقصانكم هؤلاء قد جبروه. إذ أراحوا روحي وروحكم فاعرفوا مثل هؤلاء»

الرسول هنا ينظر إلى القلة التي وصلت إليه من الكنيسة في كورنثوس أنهم في عينيه يمثلون الكنيسة كلها. وكأنه رأى كل المؤمنين إذ علم بأخبارهم فاطمأن عليهم وأيضاً أراحهم من جهة الأمور التي سألوه عنها. وذلك بتعزية الإيمان الذي فيهم كما قال لأهل رومية:

«.. لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم أي لنتعزى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً إيمانكم وإيماني » (رو ١: ١١، ١٢)

أما قوله «فاعرفوا مثل هؤلاء» ففيه توجيه لهم أن يقتربوا إليهم ليسمعوا منهم ما كتبه الرسول رداً على تساؤلاتهم وأيضاً حتى يعترفوا بخدماتهم بروح الشكر والامتنان.

سادساً : تحيات المؤمنين والأصدقاء لهم : (١٩- ٢١)

بعد ذلك ينقل الرسول إليهم تحيات اخوتهم المؤمنين في الكنائس الأخرى..

[١٩] «.. تسلم عليكم كنائس آسيا ..»

وكلمة آسيا هنا هى الولاية الرومانية التي تشمل الجزء الغربي لما نسميه الآن آسيا الصغرى، وهذه نجدها في سفر الرؤيا سبعة كنائس (رؤ ١ : ١١) وهى (أفسس – سميرنا – برغامس – ثياتيرا – ساردس – فيلادلفيا – لاودكية) على أننا لا نتأكد ان كانت هذه الكنائس قد تأسست فعلاً عند كتابة الرسالة أم لا ولكن مما لاشك فيه أن كنيسة أفسس كانت زعيمة هذه الكنائس كلها.

«.. يسلم عليكم في الرب كثيراً أكيلا وبريسكلا مع الكنيسة التي في بيتهما »

وهذان كان بولس قد عاش معهما في كورنثوس وجاءا معه إلى أفسس حيث اجتمع بعض المسيحيين في بيتهما للعبادة. وقد كان يرافقان بولس في بعض تنقلاته ... ويقومان بهذه الرحلات بحكم عملهما في صناعة الخيام فنراهما في رومية (رو ١٦ : ٣) وبعد ذلك مرة أخرى في أفسس (٢تى ٤ : ١٩).

«.. يسلم عليكم الأخوة أجمعون» جامعاً بذلك كل المؤمنين وفي هذا نرى روح الوحدة والمحبة التي تربط كنيسة الله وكيف كان حرص الرسول بولس على تنمية هذه المحبة وتأصيلها بين المؤمنين . حتى لو فرقت بينهم الأقطار فهم واحد في المسيح يجمعهم الروح القدس روح الشركة.

وكتكريس لروح الوحدة والمودة الأخوية يطلب اليهم الرسول قائلاً :

[٢٠] «.. سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة »

وهذه هى ما صارت إليه الآن.. قبلة المصالحة .. في طقس القداس الإلهي إذ يتصالح المؤمنون في سلام وألفه بينهم حتى متى تقدموا للتناول يكونوا أهلاً للسلام السمائي ان يعطيهم إياه الرب.

والقول مقدسة.. أي بلا غش بلا غدر بلا خيانة .. ليست مثل قبلة يهوذا الخائن بل هى قبلة صلح وسلام توفظ المحبة بين المؤمنين.

بعد ذلك لا يفوت الرسول بولس أن يسلم عليهم كيما يشترك في محبتهم ومودتهم فيقول:

[٢١] «.. السلام بيدي أنا بولس »

وكأنه حاضراً معهم ماداً يديه إليهم في مصافحة مودة ومحبة وصلح! ويقال أنه إلى هذه الآية كان الرسول يملي رسالته ولكنه الآن يتناول القلم ويختم الرسالة بنفسه لكي تحمل دليل صدقها..

سابعاً : انذار .. وبركة ختامية : (٢٢- ٢٤)

[٢٢] «.. ان كان أحد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن اناثيما »

بعد أن خاطبهم الرسول عن المحبة الأخوية.. والمحبة الإلهية التي أُدخلَت في طبيعتنا بعمل الله وقد خلقتها فينا نعمته حتى نرتبط بعضنا ببعض .. يعود ويقرر أنه ما لم يحب الإنسان الرب يسوع فهو محروم وواقع تحت اللعنة! لأنه بدون المحبة لا يمكن لإنسان أن ينال شيئاً.

هذا ولكي يزيد الرسول من رهبة تحذيره هذا قال لهم:

«.. ماران آثا » أي **«الرب آت »** أو يارب تعال. الجملة التي صارت كلمة السر بين المسيحيين ليتذكروا أن الرب قريب (في ٤ : ٥) وبنعمته يتقووا وينتظروه بلا عيب لذلك قال:

[٢٣] «.. نعمة الرب يسوع المسيح معكم »

ثم يعود مرة أخرى للمحبة حتى لا يتشكك فيه أحد.. ويظن أنه لا يحبهم بسبب ما عنفهم لأجله وأحزنهم به فيقول لهم:

[٢٤] «.. محبتي مع جميعكم في المسيح يسوع آمين »

وهكذا نراه في بداية الرسالة يخاطبهم **«بولس المدعو رسولاً ليسوع المسيح»** ، ويختمها بقوله **«محبتي مع جميعكم في المسيح يسوع»** حتى يوضح لنا كيف كان الرب يسوع المسيح هو محور وهدف وأساس دعوته وخدمته وكرازته وبذله وأيضاً محبته تجاه الرعية.

إلى هنا أعاننا رب الجنود
له كل المجد

بعض المراجع

١ – الكتاب المقدس بعهديه:

- طبعة بيروت.
- الطبعة الكاثوليكية.
- كتاب الحياة (الترجمة التفسيرية) دار الثقافة.
- الترجمة الإنجليزية (N.I.V.) New International Version.
- الترجمة الإنجليزية (T.E.V.) To day's English Version.

٢ – معجم اللاهوت الكتابي

٣ – تفسير الرسالة – تأليف / د. براون ترجمة / حبيب سعيد

٤ – الكنيسة المسيحية في عصر الرسل المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية

٥ – سر الافخارستيا (الجزء الأول) القمص متى المسكين

٦ – مجموعة كتب « كنوز النعمة » المتنيح الأستاذ / بانوب عبده

٧ – تفسير سفري الخروج والعدد القمص تادرس يعقوب ملطي

٨ – فلسفة المسيحية جزء ١ ، ٢ الأستاذ / يوسف درة الحداد

٩ – الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر القمص تادرس يعقوب ملطي

١٠– المرأة ومكانتها في الكنيسة الأولى القمص متى المسكين

١١– روحانية طقس القداس الإلهي نيافة الأنبا متاؤس

١٢– حل مشاكل الكتاب المقدس المتنيح القس منسى يوحنا

١٠– باكورة الراقدين القديس يوحنا ذهبي الفم ترجمة القمص متياس فريد

١٤– كيف يتم تقديس النفس بالروح القدس القديس كيرلس عمود الدين (مطبعة دير أنبا مقار)

١٥– المعيـــن (معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس)

+++

رحلة بولس الرسول

التبشيرية الثالثة

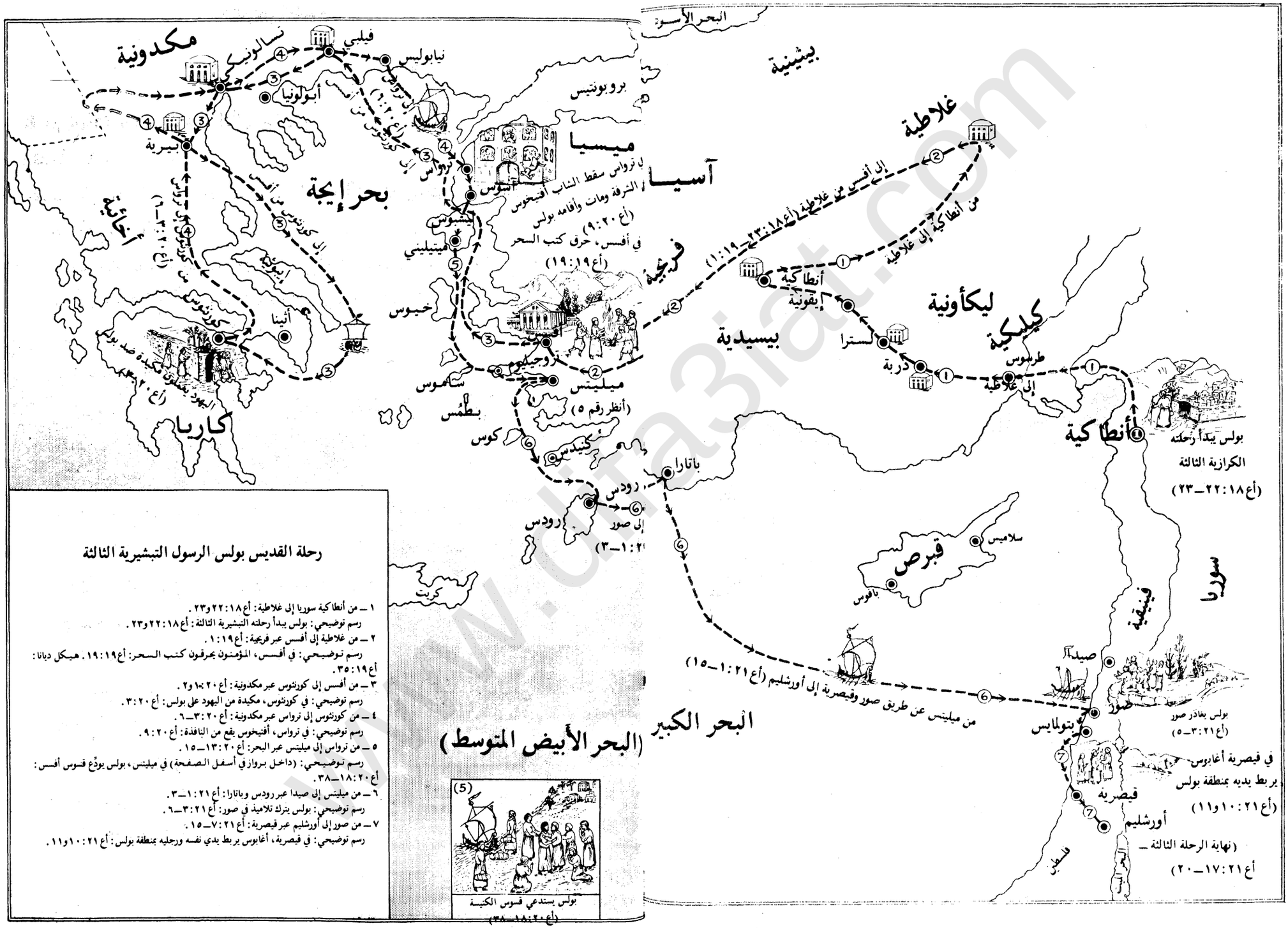

رحلة القديس بولس الرسول التبشيرية الثالثة

١ ـ من أنطاكية سوريا إلى غلاطية: أع ١٨: ٢٢و٢٣.
رسم توضيحي: بولس يبدأ رحلته التبشيرية الثالثة: أع ١٨: ٢٢و٢٣.
٢ ـ من غلاطية إلى أفسس عبر فريجية: أع ١٩: ١.
رسم توضيحي: في أفسس، المؤمنون يحرقون كتب السحر: أع ١٩: ١٩. هيكل ديانا: أع ١٩: ٣٥.
٣ ـ من أفسس إلى كورنثوس عبر مكدونية: أع ٢٠: ١و٢.
رسم توضيحي: في كورنثوس، مكيدة من اليهود على بولس: أع ٢٠: ٣.
٤ ـ من كورنثوس إلى ترواس عبر مكدونية: أع ٢٠: ٣ـ٦.
رسم توضيحي: في ترواس، أفتيخوس يقع من النافذة: أع ٢٠: ٩.
٥ ـ من ترواس إلى ميليتس عبر البحر: أع ٢٠: ١٣ـ١٥.
رسم توضيحي: (داخل برواز في أسفل الصفحة) في ميليتس، بولس يودّع قسوس أفسس: أع ٢٠: ١٨ـ٣٨.
٦ ـ من ميليتس إلى صيدا عبر رودس وباتارا: أع ٢١: ١ـ٣.
رسم توضيحي: بولس يترك تلاميذ في صور: أع ٢١: ٣ـ٦.
٧ ـ من صور إلى أورشليم عبر قيصرية: أع ٢١: ٧ـ١٥.
رسم توضيحي: في قيصرية، أغابوس يربط يدي نفسه ورجليه بمنطقة بولس: أع ٢١: ١٠و١١.

www.dita3iat.com

فهرس الكتاب

صفحة

- تقديم لنيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس ٧
- مقدمة عامة ٨
- مقدمة للرسالة [مدينة كورنثوس - الرسالة - قانونيتها - أهميتها] ٩
- الأصحاح الأول ١٢

[افتتاحية والدعوة للقداسة (١-٣/١٢)، صفات الكنيسة (٤-٩/١٥)، المخاصمات (١٠-١٧/١٨)، الحكمة الإنسانية والكرازة (١٨-٢٥/٢١)، تدبير الله العجيب في الكرازة (٢٦-٣١/٢٦)]

- الأصحاح الثاني ٣٠

[برهان الروح والقوة (١-٥/٣٠)، أزلية الحكمة الإلهية (٦-٩/٣١)، الروح القدس روح الحكمة والإعلان (١٠-١٣/٣٤)، الإنسان الطبيعي والإنسان الروحي (١٤-١٦/٣٦)]

- الأصحاح الثالث ٣٩

[السلوك الروحي والسلوك الجسدي (١-٤/٣٩)، حقيقة الخدمة (٥-٩/٤١)، مكافأة الخدمة (١٠-١٥/٤٥)، هيكل الروح القدس (١٦،١٧/٥٠)، الفطام من الخدام للإرتباط بالمسيح (١٨-٢٣/٦٢)].

- الأصحاح الرابع ٦٩

[خطية الإدانة (١-٥/٦٩)، مثال الخدام المتواضعين (٦-١٣/٧٦)، بولس الأب (١٤-٢١/٨٤)].

- لأصحاح الخامس ٩٠

[المرض (١، ٢/٩٠)، العلاج عزل خميرة الشر (٣-٨/٩٢)، الوقاية عدم مخالطة الزناة (٩-١٣/٩٩)]

• **الأصحاح السادس** ١٠٤

[التقاضي والقانون الكنسي (١-١١ / ١٠٤)، تقديس الجسد (١٢-٢٠ / ١١١)]

• **الأصحاح السابع** ١٢١

[طبيعة العلاقات الزوجية (١-٧ / ١٢٢)، وصية للمتزوجين بخصوص الطلاق (٨-١١ / ١٢٤) ، زواج مؤمن بغير مؤمنة (١٢-١٦ / ١٢٧)، وصايا عامة للداخلين في الإيمان (١٧-٢٤ / ١٢٩) ، وصية للعذارى (٢٥-٣٨ / ١٣٢)، وصية للأرامل (٣٩، ٤٠ / ١٣٩)].

• **الأصحاح الثامن** ١٤٠

[ما ذبح للأوثان].

• **الأصحاح التاسع** ١٤٩

[حقوق الرسولية (١-١٥ / ١٤٩)، خوف الرسول على أكليله (١٦-١٨ / ١٥٦)، شركة مجد الإنجيل (١٩-٢٣ / ١٥٧)، الجهاد والسعي (٢٤-٢٧ / ١٥٩)].

• **الأصحاح العاشر** ١٦٤

[درس تحذيري من إسرائيل (١-١٣ / ١٦٠)، أعياد الأوثان وعشاء الرب (١٤-٢٢ / ١٧١)، حرية أبناء الله (١:١١-٢٣ / ١٧٣)].

• **الأصحاح الحادي عشر** ١٧٨

[المرأة في الكنيسة (١-١٦) ، الاستعداد لسر الإفخارستيا (١) ممارسات خاطئة (١٧-٢٢ / ١٨٣)، (٢) حقيقة الإفخارستيا (٢٣-٢٦ / ١٨٧)، (٣) الإستحقاق للتناول (٢٧-٣٤ / ١٩١)].

• **الأصحاح الثاني عشر: المواهب الروحية وحياة الشركة** ١٩٥

[حقيقة المواهب وبرهانها (١-٣ / ١٩٥)، مصدر المواهب الروحية (٤-١١ / ١٩٧)، حياة الشركة : (١) وحدانية الجسد (١٢-١٤ / ٢٠١)، (٢) توافق أعضاء الجسد (١٥-٢٧ / ٢٠٣)، (٣) الكنيسة جسد المسيح (٢٨-٣٠ / ٢٠٥)].

• **الأصحاح الثالث عشر: أنشودة المحبة الخالدة** ٢٠٨

[أهمية وضرورة المحبة (١-٣ / ٢٠٩)، صفات المحبة الحقيقية (٤-٧ / ٢١١)، ثبات المحبة أبداً (٨-١٣ / ٢١٩)].

www.difaasiat.com

• **الأصحاح الرابع عشر : وأيضاً المواهب** ٢٢١

[التكلم بألسنة في الكتاب المقدس (٢٢١)، مقارنة بين التكلم بألسنة والتنبؤ (١-٢٥/٢٢٥)، إلهنا إله سلام لا تشويش (٢٦-٣٣/٢٢٩)، نصائح تكميلية (٣٤-٤٠/٢٣١)].

• **الأصحاح الخامس عشر : القيامة وأبعادها** ٢٣٣

[قيامة الرب يسوع (٢-١١/٢٣٣)، الرب يسوع الباكورة (١٢-٢٨/٢٣٧)، القيامة أساس الجهاد (٢٩-٣٤/٢٤٦)، القيامة ومجد الملكوت (٣٥-٥٠/٢٥٠)، لقاء الغلبة النهائية (فداء الأجساد) (٥١-٥٨/٢٥٦)].

• **الأصحاح السادس عشر: خاتمة الرسالة** ٢٦٢

[ارشادات في جمع التبرعات لفقراء أورشليم (١-٤/٢٦٢)، حديثاً في أموره الخاصة ومشروعات أسفاره (٥-٩/٢٦٥)، توصية كقبول تلميذه تيموثاوس (١٠، ١١/٢٦٦)، اشارة سريعة إلى أبلوس (١٢/٢٦٦)، طلبه إليهم عن أنفسهم ورعاتهم (١٣-١٨/٢٦٧)، تحيات المؤمنين والأصدقاء لهم (١٩-٢١/٢٦٩)، إنذار وبركة ختامية (٢٢-٢٤/٢٧٠)].

• **بعض مراجع الكتاب** ٢٧١

• **خريطة الرحلة التبشيرية الثالثة لبولس الرسول** ٢٧٢

• **الفهرس** ٢٧٤

للمؤلف أيضًا :

- خواطر إرادة تنزف ..... دروس روحية في جهاد الإرادة
- مفتدين الوقت ..... دراسة روحية عن الخلاص والزمن
- لكي لا ندان ..... دراسة كتابية عن التناول باستحقاق
- عزوا عزوا شعبي ..... دراسة عن التجسد في سفر اشعياء النبي
- أطلقت أسراك ..... الوجه غير المنظور لأحداث الصلب والقيامة (سفر زكريا النبي)
- عند باب المـــاء ..... دراسة تأملية عن الليتورجيا والقداس (سفر نحميا)
- كنيستي حنطة وخمر وزيت ..... دراسة عن الكنيسة والبركة

تطلب هذه المطبوعات من :

- المؤلـــف
- مكتبة كنيسة الشهيد العظيم جورجيوس
  ٣٢ ش أبي طاقية – حدائق شبرا – ت : ٢٠٣١٠١٥
- جميع المكتبات المسيحية بالقاهرة والأقاليم.

www.diaaiat.com

هذه هي
الحياة الأبدية
أن يعرفوك
أنت
الاله الحقيقي وحدك
ويسوع المسيح
الذي أرسلته

يو ١٧ : ٣

www.dita3iat.com

www.difa3iat.com

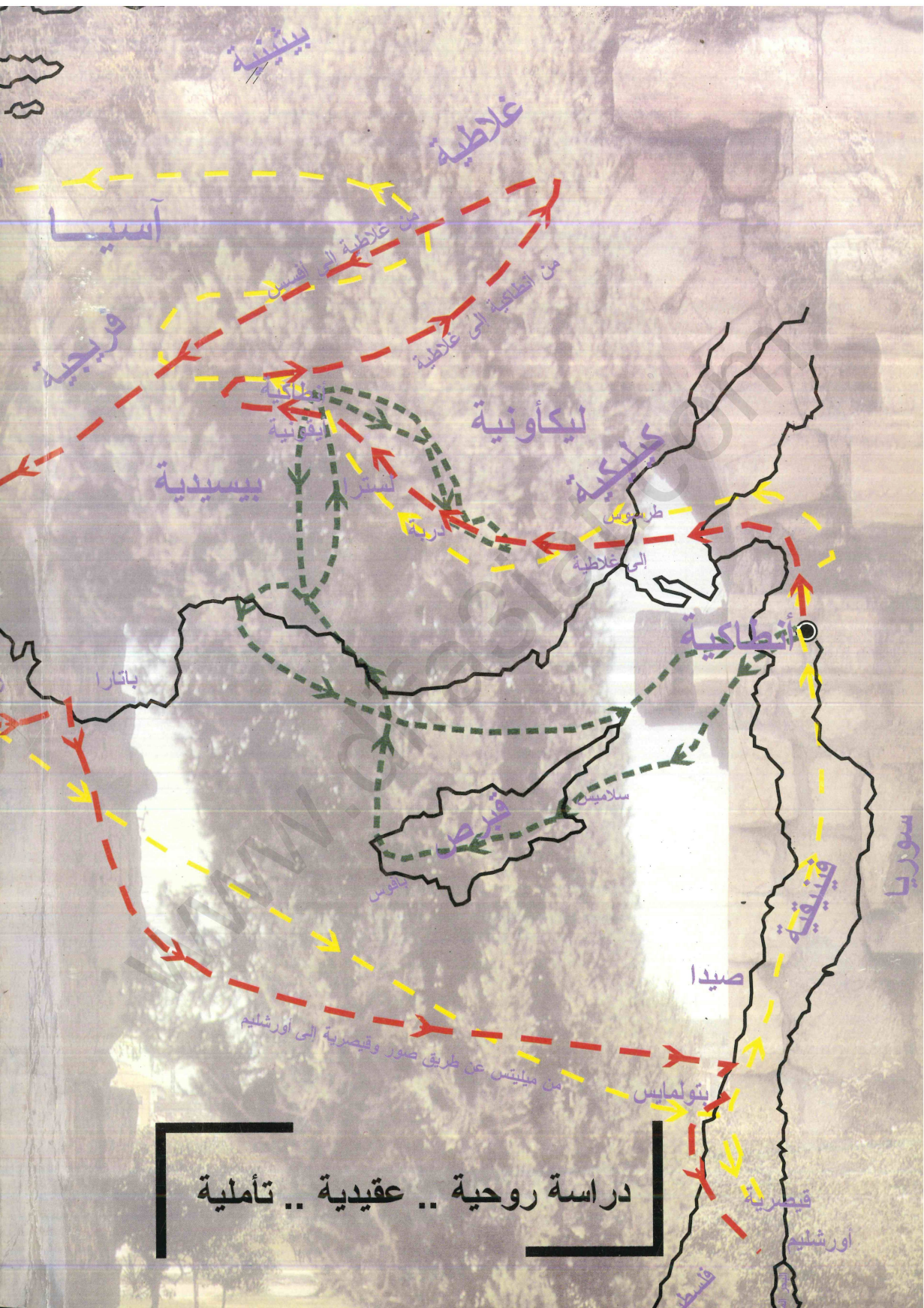

دراسة روحية .. عقيدية .. تأملية